واقع وآفاق الدراسات العثمانية بالجزائر
عرض تعريفي ونظرة تقييمية

د. ناصر الدين سعيدوني،
باحث وأكاديمي جزائري

قبل البدء:

لقد عرضت الأفكار الرئيسية لهذا البحث في محاضرة سمينار قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الكويت، بتاريخ 2 مارس 2003. كما نُشر جانب منها في الكتاب التكريمي للأستاذ د. علي محافظة. وقد حظي البحث باهتمام كبير نظرا لأهمية المسائل التي يتطرق إليها والإشكاليات التي يطرحها، مما توجب مراجعة مادته و إعادة صياغة أطروحاته مع العلم بأن البحث في مجمله يعبر بالضرورة على نظرة كاتبه وحصيلة تجربته لفترة تناهز خمسين سنة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

و قد فرضت الأمانة العلمية على كاتب البحث أن يسجل آرائه ويعرض أفكاره في هذا البحث بحرية ودون تحفظ أو مجاملة مما قد يجر عليه الانتقاد، وعذره في ذلك هو محاولة تحريك المياه الراكدة وإحداث رد فعل قد يعيد النشاط للضمائر المحبطة ويفرض إعادة النظر لبناء الذهنية التاريخية الجزائرية ومحاولة السير في طريق نهضة حقيقية تتجاوز فكرة الرعية المسيرة في معالجة التاريخ إلى مفهوم المواطنة المسؤولة والمتحررة من الوصاية والتوجيه تحت أي شعار وفي أي ظرف.

هذا وحتى تكتمل الفائدة من هذا البحث ويمكن ربط الأطروحات التي يعرضها بواقع الكتابات التاريخية المتعلقة بالعهد العثماني،

فقد ارتأينا أن نلحق بالبحث ثبتا مفصلا بما نُشر من الدراسات العثمانية التي أنجزها مؤرخون وكتاب جزائريون منذ الاستقلال وحتى الآن. من كتب ورسائل جامعية وبحوث ومقالات وتعليقات، مرتبة ألفبائيا حسب ألقاب أصحابها.

مقدمة:

تكتسي الدراسات العثمانية بالجزائر أهمية خاصة، سواء لدى القارئ العادي أو الباحث المختص، لما تثيره من تساؤلات وما تطرحه من إشكاليات خاصة ما يتعلق منها بتوسيع آفاق البحث وتوجهات الدراسات التاريخية، وذلك لخصوصية المصادر التاريخية المتعلقة بالعهد العثماني من تاريخ الجزائر، وتباين مواقف المؤرخين حول رصد وتقييم الأحداث التي ارتبطت به ونوعية الحكم الذي ميزه.

فالعهد العثماني من تاريخ الجزائر (1517- 1830) يغطي فترة العصور الحديثة وهي فترة مهمة وحاسمة من تاريخ الجزائر باعتبارها حلقة وصل بين العهود الإسلامية بأوضاعها الاجتماعية وواقعها الاقتصادي وتفاعلاتها السياسية، وبين الفترة الاستعمارية وما حملته من هيمنة عسكرية وتبعية حضارية وتوجهات اقتصادية وقناعات ثقافية لا زالت آثارها ماثلة وتأثيراتها فاعلة في مختلف مجالات الحياة بالجزائر الحالية ؛ فالفترة العثمانية في تاريخ الجزائر تعتبر في الذاكرة التاريخية حيزا زمنيا(1517-1830) أكسب الجزائر خصوصيتها المتميزة وأعطى للوطن الجزائري مواصفاته الخاصة ومقوماته الأساسية ؛ ففيها تبلورت خصوصيات الكيان الجزائري من حيث النظام السياسي والعلاقات الدولية. فالجزائر العثمانية كباقي ولايات المغرب العثمانية (تونس وطرابلس) تطورت في ظرف ثلاثة

قرون من تبعية مباشرة إلى استقلال فعلي ؛ فقد كانت جبهة جهاد بحري في مواجهة المد الاستعماري الإسباني في سواحل بلاد المغرب في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي على عهد الباي لاربايات (1517- 1588)، ثم تحولت إلى إقليم تخوم وولاية حدود تحافظ على التوازن الدولي بين الدولة العثمانية والإمبراطورية الإسبانية في غرب المتوسط أثناء فترة حكم الباشوات (1588- 1659)، لتصبح قوة محلية لها وضع مميز في منطقة المغرب العربي، عندما تولى أمرها قادة الجيش (الآغوات) (1659- 1671) وحكمها منتخبو الديوان (الدايات الأوائل) مع بقاء الباشوات كممثلين شرفيين للسلطان (1671- 1710)، لتنتهي إلى وضع الدولة المستقلة في عهد الدايات الباشوات (1710- 1830)، بحيث لم تعد تربطها بإستانبول سوى اعتبارات أدبية ومصالح متبادلة تستند إلى مبدإ التضامن الإسلامي وترتكز على أحقية السلطان العثماني باعتباره الخليفة الشرعي لعامة المسلمين، الأمر الذي مكن حكام الجزائر من ممارسة سيادة حقيقية سواء في أمورهم الداخلية أو علاقاتهم الخارجية مع أوربا. (ناصر الدين سعيدوني، 2009: 171؛ ناصر الدين سعيدوني، 2008: 120- 122؛ أو. هابنسترايت، 2008: 28- 29؛ Peyssonnel et Desfontaines, 1838; Mouradgea d'Ohsson, 1788-1824 :299-300 ; N. Weissman, 1964 :69)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فعلاقات الجزائر الخارجية مع أوربا تطورت من موقع المواجهة والتحدي في القرنين العاشر والحادي عشر الهجري/السادس عشر والسابع عشر الميلادي، إلى حالة الدفاع ثم التراجع في القرن الثاني عشر والنصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري/الثامن عشر والربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، لتنتهي إلى مواجهة غير متكافئة مع التحالف الأوربي

(مؤتمر فيينا 1815، مؤتمر إيكس لاشابيل 1818)، قبل أن يضع الغزو الفرنسي للجزائر (1830) نهاية مأساوية للكيان الجزائري المستقل في العهد العثماني والذي كانت له ملامح دولة ذات سيادة. (Nacereddine Saïdouni, 2001 :409-410)

أما من حيث النشاط الاقتصادي والبنية الاجتماعية والوضع الثقافي، فقد تحكم فيها أسلوب الإدارة المحلية ونوعية علاقاتها بالسكان، وأثرت فيها طبيعة المؤسسة العسكرية (الأوجاق)، سواء من حيث التنظيمات المالية والإجراءات الجبائية أو نوعية الملكية وطريقة استغلال الأرض ومزاولة النشاط الحرفي والتجاري. وهذا ما جعل المجتمع الجزائري في العهد العثماني يقوم على تنظيم هرمي من حيث الخدمات المقدمة والامتيازات المحصل عليها، يتحكم فيه عاملان أساسيان هما امتلاك القوة العسكرية واكتساب الثروة والنفوذ. وهذا ما أدى إلى تحديد أوضاع طوائف المدن (أتراك، كراغلة، حضر، يهود، برانية) وتأكيد مكانتها على حساب جماعات الريف، كما تسبب في اضطراب الوضع الاقتصادي وتأزم في العلاقات الاجتماعية وخمود في الحياة الثقافية وانهيار في الوضع الصحي والديمغرافي وضعف في المستوى المعيشي ؛ وقد نتج عن هذا الوضع المتأزم انقطاع في علاقة الحكام بالسكان في الريف، وجعل الجزائر كغيرها من الولايات العثمانية تعيش انسدادا وتأزما في مستهل القرن التاسع عشر، كان خير مساعد للفرنسيين على احتلالها الجزائر فيما بعد (1830). (ناصر الدين سعيدوني، 2000: 120- 122)

انطلاقا من هذه الخلفية التاريخية، يتضح لنا أن العهد العثماني من تاريخ الجزائر كان خاتمة للعصور الإسلامية وبداية للفترة الحديثة، فهو حلقة الوصل بين الجزائر الإسلامية الأصيلة وبين المشروع الاستعماري

الفرنسي الدخيل على الجزائر، وهذا ما جعل الكتابات التاريخية حول الفترة العثمانية متنوعة من حيث مصادرها وتوجهاتها ومتباينة من حيث الآراء والأحكام المتعلقة بها. كما جعلها موضوعا محببا للمهتمين بالماضي وميدانا مفضلا لدارسي التاريخ، لكون المادة التاريخية تتجاوب مع الثقافة العامة وتتلاءم والتخصص الدقيق والتناول الأكاديمي وقد تعبر عن الموقف الإيديولوجي، حتى غدا العهد العثماني بالنسبة لبعض الكتابات استعمارا تركيا وعند البعض الآخر حكما وطنيا.

تنقسم الكتابات التاريخية حول العهد العثماني من تاريخ الجزائر التي أنجزت قبل 1962، في مجملها إلى مساهمتين، إحداهما فرنسية والأخرى جزائرية. فالمساهمة الفرنسية وإن كانت غنية في مادتها ومواضيعها إلا أنها تكاد يقتصر في مرجعيتها على المصادر الأوربية، وقد لا تتجاوز في نظرتها المفهوم الاستعماري الفرنسي الذي ينظر إلى الجزائر العثمانية على أنها مستعمرة تركية مضطهدة وخاضعة لاستبداد شرقي، يكاد تاريخها يتلخص في كل ما يتصل بعلاقاتها مع أوربا مثل النشاط البحري الذي يُصور على أنه قرصنة ولصوصية وما نتج عنه من رد فعل أوربي متمثل في عقد المعاهدات وشن الحملات العسكرية. بينما المساهمة الجزائرية وإن كانت محدودة في مادتها ومتواضعة في تناولها، إلا أنها هادفة في توجهاتها، فهي تحاول توظيف ماضي الجزائر العثمانية لصالح القضية الوطنية الجزائرية، وتعمل على إحياء أمجاد ماضي الجزائر بتحقيق ونشر ما تيسر لها من مصادر عربية تعود إلى العهد العثماني. (ناصر الدين سعيدوني، 2000: 31- 48 و2ج و59)

لقد كان لصدى هاتين المساهمتين الفرنسية والجزائرية في تاريخ الجزائر العثمانية تأثير بالغ في توجه وتطور الدراسات العثمانية في الجزائر بعد الاستقلال. فقد كان كلا الإسهامين الفرنسي والجزائري بمثابة الأرضية والمنطلق لما سوف يكتب عن الجزائر العثمانية (منذ 1962)، كما كان لها انعكاس واضح على طبيعة المادة التاريخية في حد ذاتها، وكذلك من حيث الأحكام المتعلقة بها والمناهج المطبقة عليها والمسائل المستعملة في إنجازها. وهذا ما نحاول التعرض له من خلال التعرف على المادة التاريخية والإطار العلمي ومناقشة التصورات المطروحة وإشكالية المنهج وأسلوب المعالجة ورصد التوجهات الحالية وتحديد الشروط المتوجبة مستقبلا للرقي بالدراسات العثمانية بالجزائر والوصول بها إلى مستوى المساهمة العلمية الجديرة في إطار مدرسة تاريخية جزائرية أصيلة و مجددة بقدر ماهي متجاوبة ومتكاملة ومتفاعلة مع المساهمات المماثلة لها في الأقطار العربية.

1- المادة التاريخية :

ارتبطت الدراسات العثمانية بالجزائر منذ الاستقلال (1962) وحتى الآن بطبيعة المادة التاريخية المتوفرة ونوعية المعلومات التي توفرها المصادر الموزعة عليها، وهي في مجملها تصنف إلى مصادر أرشيفية وتقاييد معاصرة ودراسات تاريخية حديثة، ويمكن ترتيبها كالتالي :

أولا: المصادر الأرشيفية : تتمثل في وثائق الأرشيف التي ترجع إلى العهد العثماني، سواء ما هو موجود بالجزائر أو متوفر بتركيا أو فرنسا أو غيرهما من البلدان التي كانت لها علاقة مع الجزائر العثمانية. ففي الجزائر تشكل الوثائق الأرشيفية الخاصة بالعهد العثماني رصيدا غنيا ضمن ودائع الأرشيف

الوطني الجزائري،(ناصر الدين سعيدوني، 2000: 51- 71؛ عبد الجليل التميمي، 1079؛ شهاب الدين يلس، 1986؛ Jean Deny, 1921) وتتوزع على:

1. مجموعة دفاتر البايليك (386 دفتر ضمن 36 علبة)، تتعلق خاصة بالأملاك الموقوفة ومعاملات البايليك.
2. مجموعة سجلات بيت المال (64 سجلا ضمن 11 علبة)، جلها تتعلق بتركات وعائدات بيت المال.
3. مجموعة وثائق المحاكم الشرعية (125 علبة بعضها ذات ترقيم مزدوج)، تهم خاصة المعاملات والأوقاف.
4. مجموعة الوثائق المصورة من أرشيف إستانبول (حوالي 3000 وثيقة مسجلة).

أما في فرنسا وتركيا فهناك مجموعات من الوثائق تتصل بالفترة العثمانية من تاريخ الجزائر، خاصة بأرشيف الرئاسة بإستانبول وأرشيف ما وراء البحار بإيكس- آن- بروفانس وأرشيف وزارة الحرب بفانسان والأرشيف الوطني الفرنسي بباريس وأرشيف الغرفة التجارية بمرسيليا.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثانيا. التقاييد والكتابات العربية والأجنبية التي تعود إلى العهد العثماني :

سواء كانت تقاييد أو مخطوطات تعود إلى الفترة العثمانية، أصبحت في متناول القارئ بعد أن تم نشر أغلبها من طرف جزائريين وفرنسيين. فكان في طليعة من نشر المصادر العربية محمد بن شنب ونور الدين عبد القادر ومحمد بن عبد الكريم ورابح بونار والمهدي البوعبدلي؛ (ناصر الدين سعيدوني، 2000: 46- 48) كما عمل على نشر ما كتب بالفرنسية وترجمة بعض ما وضع بالعربية باحثون فرنسيون في طليعتهم دوفو (Devoulx)

ودوني (Deny) وكولومب (Colombe) وبلانتي (Plantet) وديلفان (Delphin) وإيفار (Yver) ومارسيل إمري (M. Emerit). (G. Yver, 1931 ; W. Marçais, 1931)

ثالثا: تسجيلات وتقارير متأخرة يرجع بعضها إلى أواخر العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي : أغلبها وضعه ضباط فرنسيون في النصف الأول من القرن التاسع عشر في شكل تقارير وتسجيلات وانطباعات وترجمات لبعض النصوص والوثائق، ساهم فيه خاصة كل من : كلوزال (Clauzel) وبرتوزان (Berthezиne) وفال باريزو (Val Parisot) وديسبريز (Desprez) وبارتو (Bartout) وغيوم (Guillaume) وبوتييت (Petiet) وروبان (Robin) وإيسترهازي (Esterhazy) وبيليسيه راينو (Pйllissier de Reynaud) وتروملي (Trumelet) وفيرو (Fйraud) وجانتي دو بوسي (Genty de Bussy) ورين (Rinn) ودونييه (Dennié) وفلاندان (Flandin) وروزي (Rozet) وبربروقجي (Berbrugger) ودوفو (Devoulx) ودوما (Daumas) ولوروا (Le Roy) وكاريت (Carette) وأوكابيتان (Aucapitaine) وإيلي دولابريمودي (Йlie de la Primaudie). (ناصر الدين سعيدوني، 2000: 79- 80؛ Ch.-A. Julien, 1964; Guy Tubert-Delof, 1976; R. L. Play-Faire, 1898)

رابعا: كتابات تاريخية عامة وضعها فرنسيون منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى النصف الثاني من القرن العشرين : بدافع الهواية والرغبة في التعرف على الماضي، فجمعت بين العرض العام للوقائع ومحاولة تحليل الأحداث التاريخية والتعليق عليها، كما تعبر عنه كتابات كل من : جيبير (Gibert) وفايسات (Vayssettes) وبلانتي (Plantet) وغرامون (Grammont) ومرسييه (Mercier) وإيسكر (Esquer)، لتتحول إلى دراسة الأحداث ومحاولة تحليلها كما هو الشأن عند : ماسون (Masson) وإيفار (Yver) وإمري (Emerit)

وبواييه (Boyer) وشارل آندريه جوليان (Ch.-A. Julien) ونوشي (Nouschi) وياكونو (Yacono). (ناصر الدين سعيدوني، 2000: 80- 81)

خامسا: كتابات تاريخية عامة ساهم بها جزائريون بدافع إحياء الماضي والرد على الأطروحات التي أخذ بها الفرنسيون في دراستهم لتاريخ الجزائر وخاصة الفترة العثمانية منه : فكانت خطابا تاريخيا معاديا للمفهوم الاستعماري، منها ما حققه محمد بن أبي شنب، و ما جمعه أبو القاسم الحفناوي كتراجم تعريف الخلف برجال السلف، أو ألفه الشيخ مبارك الميلي وعبد الرحمن الجيلالي ونور الدين عبد القادر، و نشره الأستاذ أحمد توفيق المدني، وساهم به لاحقا مؤرخون آخرون منهم أبو القاسم سعد الله وناصر الدين سعيدوني ويحيى بوعزيز. (ناصر الدين سعيدوني، 2000: 46- 48) (من أهم هؤلاء نذكر على سبيل المثال: محمد بن أبي شنب (ت. 1929): الرحلة الحجازية لابن عمار (1902)؛ وكتاب البستان لابن مريم (1908)؛ ورحلة نزهة الأنظار للورتلاني (1908)؛ وعنوان الدراية للغبريني (1910). وكذلك تأليف أبي القاسم الحفناوي (ت. 1942) في التراجم "تعريف الخلف برجال السلف" (1906)؛ والشيخ مبارك الميلي "تاريخ الجزائر في القديم والحديث، جاء في جزئين، 1929 و1932؛ والشيخ عبد الرحمن الجيلالي "تاريخ الجزائر العام"، صدر في جزئين، 1954 و1955؛ والشيخ نور الدين عبد القادر الذي نشر تاريخ حاضرة قسنطينة للشيخ الحاج المبارك (1952)، وغزوات عروج وخير الدين (1934)، وتقاييد ابن المفتي التي حورها وأضاف إليها بعنوان "صفحات من تاريخ مدينة الجزائر (1964). ويُضاف إلى هؤلاء الإسهام الغني للأستاذ أحمد توفيق المدني ومنه "كتاب الجزائر" (1931)، ومحمد عثمان باشا (1932)، ومذكرات أحمد الزهار (1974)، وحرب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1968). وكذلك ما حققه ونشره حول الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر كل من محمد بن عبد الكريم، وأبي القاسم سعد الله، ويحيى بوعزيز، وناصر الدين سعيدوني. أنظر: ثبت بالكتابات التاريخية الجزائرية حول تاريخ الجزائر العثمانية الملحق بالبحث.)

سادسا: كتابات تاريخية أكاديمية مختصة ساهم فيها فرنسيون وجزائريون : أغلبها أطروحات جامعية، بدأت في الفترة التي سبقت الاستقلال (1962) وتطورت مع نمو أقسام ومعاهد التاريخ بالجامعات الجزائرية، لتشكل اليوم رصيدا معتبرا كفيلا بتوفير إسهام تاريخي أكاديمي خاص بالفترة العثمانية من تاريخ الجزائر، مما يجعل منها منطلقا لإسهامات نوعية تسمح بتشكل مدرسة تاريخية أصيلة وموضوعية وذات مقاربة وطنية وبعد إنساني. (لم تسمح الظروف بتكوين مدرسة تاريخية جزائرية متميزة بمناهجها ومقارباتها وطرق بحثها وإشكالياتها، نظرا لمحدودية الإنتاج في السنوات الأولى للاستقلال، وتواضع المعرفة التاريخية، وغياب المنظور العلمي القائم على التحليل والخاضع للنقد والمستند إلى المقارنة والبحث عن المصادر. فظلت الكتابات التاريخية حول الفترة العثمانية يغلب عليها طابع المبادرة الفردية أو المناسبات الرسمية أو البحث المتخصص في مواضيع نوعية لتحضير رسائل جامعية، ولعل الشيء الخطر في ذلك هو انقطاع تواصل التجربة بين الاجيال وتنوع الرؤى وتبني مؤسسات رسمية لمسألة البحث، في غياب مبادرة الباحثين أنفسهم وتوجيه البحث إلى ما يخدم التوجهات الرسمية المرتبطة بمسألة السيادة الوطنية وشرعية السلطة. للتعرف أكثر على واقع البحث التاريخي في الجزائر، أنظر: (ناصر الدين سعيدوني، 2000: 482- 491.)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد كان لهذا الإسهام التاريخي باختلاف أنواعه وتنوع مواضيعه تأثير ملموس على واقع الدراسات التاريخية في الجزائر بعد الاستقلال، كما كان له انعكاس مباشر على توجه تلك الدراسات ونوعيتها من خلال إشكالية المنهج وطريقة المعالجة، ولعل هذا ما دفع بالدراسات العلمية في عشريات الاستقلال إلى التنوع من حيث الكمية والاختلاف من حيث أسلوب المقاربة، وعمل على تكريس التباين من حيث النظرة وطبيعة المواضيع وأبقى الدراسات العلمية في الجزائر حتى الآن تفتقر إلى التطور المتكامل من حيث المادة والمنهج والنظرة وطريقة التناول، وهذا ما يتضح لنا من خلال تحديد طبيعة الكتابات التاريخية بالرجوع إلى مستوى أصحابها وتوجهاتهم الإيديولوجية وميولهم الثقافية.

2- المواقف والتصورات والأحكام :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تأثرت الدراسات التاريخية المتعلقة بالعهد العثماني بالجزائر بالميول الثقافية والرؤى الفكرية والمواقف الإيديولوجية والقناعات الذاتية، مما أثر على تناول الأحداث وتقييمها والحكم عليها، فتلونت الأحداث واصطبغت الأحكام بفعل النظرة المتعاطفة والمعجبة أو الموقف الناقد والمعادي، بين مؤيد معجب ومعارض ناقم، وبذلك غاب النقد وانعدم التحليل في العديد من الدراسات المتعلقة بالفترة العثمانية بالجزائر.

فإذا تجاوزنا ما كتبه الأوربيون عن العهد العثماني أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر بفعل النظرة الأوربية المعادية للآخر والتبشير وتبرير الاستعمار، نلاحظ أن ما كتب حديثا وخاصة منذ الخمسينيات من القرن العشرين، لم يسلم هو الآخر من الميول الذاتية والمواقف الإيديولوجية،

فاختلفت المواقف بين معادين للحكم العثماني بالجزائر ومناصرين له وواقفين منه موقف الحياد الذي لا يجسر على إبداء موقف أو التصريح برأي.

أ. التوجه المعادي للحكم العثماني بالجزائر :

يشمل أغلب ما كتب بالفرنسية من الفرنسيين ومن تأثر بهم من الجزائريين. وهذا ما تعبر عنه كتابات كل من بواييه (Boyer) وأ. برنار (A. Bernard) وغوتييه (E.-F. Gautier)، (P. Boyer, 1960 ; P. Boyer, 1963 ; Au. Bernard, 1929 ; E.-F. Gautier, 1952.) وتشهد عليه استنتاجات كل من محيي الدين جندر (M. Djender) ومولود قايد (M. Gaïd) وعبد الرحمن بن آشنهو (A. Benachenhou). (من كتابات هؤلاء الكتاب الجزائريين المعادين للوجود العثماني بالجزائر نذكر: M. Djender, 1968; M. Gaïd, 1974; A. Benachenhou, s.d.)

يستمد هذا التوجه المعادي أفكاره ويصوغ رؤاه من مضمون ما سجله رجال الدين والرحالة والتجار والأسرى وممثلو البعثات الأوربية بالجزائر عن الجزائر العثمانية قبل الاحتلال الفرنسي، فجاءت تعبيرا عن النظرة الأوربية التقليدية المعادية لقيم الحضارة العربية الإسلامية والناقمة على أسلوب المواجهة و التصدي الذي انتهجه الحكم العثماني بالجزائر إزاء الضغوطات الأوربية، ولعل هذا ما دفع تلك الكتابات التاريخية الأوربية إلى اعتبار الحكم العثماني بالجزائر هو المسئول عن ما لحق بالأوربيين من اعتداءات، بما تقتضيه المشاريع الاستعمارية التجارية والسياسية، فهي تنظر من الخارج وتحاول إسقاط الواقع الأوربي على أوضاع الجزائر.

ب. التوجه المتفهم لواقع الحكم العثماني بالجزائر :

يصبغ على الحكم العثماني طابعا شرعيا مستمدا من استمرارية الانتماء الإسلامي للجزائر في إطار نظم الخلافة الإسلامية وطبيعة العلاقة

بين الجزائر وإستانبول ومظاهر السيادة التي اكتسبتها الجزائر أواخر العهد العثماني. وقد التزم بهذا التوجه جل من كتب بالعربية عن تاريخ الجزائر العثمانية، وهم في أغلبهم يرون أن هذا التاريخ هو المعبر عن الذاكرة التاريخية للشعب الجزائري والمدعم لثوابته الحضارية. ويمثل هذا التوجه بالنسبة للجيل الأول الأستاذ أحمد توفيق المدني، ومولود قاسم نايت بلقاسم بالنسبة للجيل المتأخر.

جـ. النظرة الأكاديمية المحايدة:

اتخذت موقفا وسطا بين التوجهين المعادي والمناصر، وقد حاول تناول الفترة العثمانية انطلاقا من وثائق الأرشيف ورجوعا إلى المصادر الأولية، دون أن يصل فيما كتب إلى أحكام جازمة ومواقف محددة. وقد بدأت هذه المساهمة محتشمة في كتابات بعض الأساتذة الجامعيين الفرنسيين في الخمسينيات، وتجسدها كتابات كل من : إسنار (Isnard) وياكونو (Yacono) وإمري (Emerit) وبوسون دوجنسن (Busson de Jensens) وجاك بيرك (J. Berque) وأوغسطان بيرك (Au. Berque) ومانتران (Mantran) وريمون (Raymond) ونوشي (Nouschi) وشوفال (Shuval). (نذكر على سبيل المثال أهم إسهامات هؤلاء المؤرخين الفرنسيين الذين كتبوا عن الجزائر في العهد العثماني:

(H. Isnard, 1937 ; X. Yacono, 1966 ; M. EMERIT, 1954; Gérard Busson de Janssens, 1950 ; J. Berque, 1978, 1949 ; R. Mantran, 1962 ; A. Raymond, 1981 ; A. Nouschi, 1961 ; T. Shuval, 1998.)

ثم تطورت هذه المساهمة وأصبحت تعبر عن توجه عام مع بلوغ الجيل الجديد من الباحثين الجزائريين مرحلة الإنتاج المعرفي والعطاء العلمي. ومما يُلاحظ أن هذا التوجه المحايد الذي يدعي العلمية ويرفع شعار الموضوعية والذي فرض حضوره في فترة الاستقلال، أصبح يثير إشكالية من حيث

المنهج والطريقة والمواضيع التي يعالجها، بعد أن تبنت الدوائر الرسمية في الجزائر مسألة التاريخ وربطته بشرعية ممارسة السلطة وعملت على تكريس أحادية الرؤية التاريخية واستقطاب نشاط المشتغلين بالبحث التاريخي، (تعتبر مسألة الشرعية التاريخية في الحياة السياسية بالجزائر منذ الاستقلال قضية وطنية لارتباطها بممارسة السلطة وتأكيد التوجهات السياسية، مما أكسب التاريخ الرسمي أهمية بالغة وبعدا إستراتيجيا ارتبط بالتوجهات السياسية والثقافية وأصبح محل اهتمام، مما تطلب إنشاء مؤسسات بحث لاستقطاب المؤرخين الجزائريين وتأطير نشاطهم البحثي، فأنشئ مركز الدراسات التاريخية (C.N.E.H.)، وعندما تحجر بفعل الروتين الإداري استحدث المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 الذي حرص على تقديم أطروحات التاريخ الرسمي و اعتمد أساسا في نشاطه الثقافي على جيل الشاب من الباحثين في مجال التاريخ و الآثار والتراث وعلوم السياسة والاجتماع .)

وهذا ما دفعنا إلى عرض التصورات المتعلقة بالمنهج وأسلوب المعالجة واستخلاص الملاحظات التي تحدد آفاق الدراسات العثمانية بالجزائر.

3- قضية المنهج وكيفية المعالجة :

تميزت الدراسات باختلاف مستوياتها وتباين توجهاتها وتضارب أهدافها، تبعا لثقافة وقناعات من كتبوا عن العهد العثماني بالجزائر. وقد نتج عن اختلاف المنهج المتبع في الدراسات العثمانية بالجزائر تباين نوعية الإنتاج واختلاف نظرة ووجهة المساهمين فيه، وهذا ما يسمح لنا بتصنيف

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المساهمة التاريخية المتعلقة بالعهد العثماني، والتي عرفتها الجزائر في عشريات الاستقلال الأربع، بغض النظر عن اللغة التي كتبت بها إلى :

- دراسات جامعية في شكل أطروحات ومذكرات وبحوث مختصة ساهم بها باحثون في إطار مؤسسات ومراكز بحث جامعية.

- دراسات عامة مجملة تندرج ضمن مسعى نشر الثقافة التاريخية والتعريف بالفترة التي سبقت الاحتلال الفرنسي، يغلب عليها طابع الهواية والعرض الكرونولوجي والسرد القصصي.

- دراسات عامة أجنبية تتصل ببعض جوانب العهد العثماني من تاريخ الجزائر، وهي غالبا ما تتناول العهد العثماني في سياق تعرضها للفترات التاريخية الأخرى من تاريخ الجزائر، فهي تعالج العهد العثماني كإحدى مراحل أو محطات أو فصول التاريخ الجزائري، سواء في شكل كتب أو مقالات أو بحوث أو عروض.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا ويمكن تصنيف الكتابات التاريخية الجزائرية المتعلقة بالعهد العثماني من تاريخ الجزائر، حسب اختصاصات وتوجهات وميول من ساهم فيها إلى المجموعات التالية:

أ. المؤرخون المختصون في العهد العثماني :

أغلبهم ارتبط بالعهد العثماني عن طريق الدراسة الجامعية، وتركزت اهتماماته على الفترة العثمانية انطلاقا من تحضير رسائل جامعية وإنجاز بحوث تاريخية حسب المواصفات الأكاديمية، ويشكل هؤلاء المؤرخون بالرجوع إلى طبيعة إنتاجهم وميولهم وإلى فترة إنتاجهم إلى طبقتين،

كل طبقة تشكل جيلا يتميز بتجربته التاريخية. (ظلت مسألة تكامل الأجيال المتعاقبة من المؤرخين الجزائريين أمنية تراود الكثيرين من ذوي النيات الحسنة لضرورة تكامل و التراكم المعرفي، وقد غدت موضوع تساؤل وحيرة في المنابر المعبرة عن التفاعل الثقافي والمعروفة بالإنتاج التاريخي، وهذا ما كرس بالفعل تشتيت الجهود وعمق اختلاف الرؤية وتعدد الأطروحات، بعد أن حرصت المؤسسات الرسمية المؤطرة للبحث أو الموجهة للدراسات على تأطير العديد من مؤرخي جيل الشباب في عروض و لقاءات وندوات تاريخية مرتبطة بالمناسبات الوطنية أو موجهة لانجاز مشاريع بحث مبرمجة مسبقا برؤية سياسية، مما حد من الرؤية النقدية و أكد الطابع النضالي في التعامل مع أحداث التاريخ و لم يسمح بحوار مثمر بين المؤرخين، بل أعطى الفرصة في غياب التقاليد الأكاديمية الصارمة لمثقفي المناسبات من غير المؤرخين أن يتصدروا الساحة الثقافية و أن يقدموا أنفسهم بديلا عن دور المؤرخ في المجتمع.) فالجيل الأول يتشكل من الأساتذة المختصين في الدراسات العثمانية من خريجي الجامعات الأجنبية والعربية الذين ارتبط إنتاجهم بتدريس التاريخ بالجامعة الجزائرية. ومن وجوه هذا الجيل الأول الذين ارتبط إسهامهم بالفترة العثمانية نذكر على سبيل المثال الأساتذة: أبو القاسم سعد الله، ومحفوظ قداش، ومولاي بلحميسي، ويحيى بوعزيز، وناصر الدين سعيدوني، وجمال قنان، والعيد مسعود. وقد وُفق أغلب هؤلاء في تقديم إسهام تاريخي ذي مواصفات علمية وقيمة أكاديمية. ومما يُلاحظ أن هذا الجيل ما لبث أن تعززت صفوفه بباحثين في فترة استقلال الجزائر،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

درس أغلبهم في جامعات مشرقية أو غربية، مما سمح لمؤرخي هذا الجيل الأول أن ينجزوا في فترة الثمانينات أطروحات ويساهموا ببحوث احتلت مكانة معتبرة في مجال الدراسات العثمانية المتعلقة بتاريخ الجزائر.

أما الجيل الثاني وهو الطبقة الثانية، وإن أصبح اليوم يتصدر الساحة التاريخية فهو يتكون في غالبيته من طلبة الدراسات العليا في فترة الثمانينات والتسعينات، ورغم أنه بدأ يتلمس طريقه في البحث والإسهام التاريخي إلا أن الظروف لم تسمح لأغلب العناصر المجدة باستكمال دراستهم في الجامعات الأوربية والاحتكاك بالمناخ العالمي للبحث التاريخي؛ كما أن استقطاب المؤسسات الثقافية الرسمية للنشاط التاريخي لهؤلاء المؤرخين الشباب، حد من قدرتهم على التركيز في البحث والتعمق في التخصص، وإن استطاعت بعض العنصر من فرض حضورها العلمي بجدارة في مجال الدراسات العثمانية، خاصة فيما يتعلق بإنجاز الأطروحات العلمية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلى كل فإن المؤرخين المختصين في دراسة قضايا و إ شكاليات العهد العثماني من كلا الجيلين وبمختلف توجهاتهم وتباين مستوياتهم وتنوع إسهامهم، استطاعوا في ظروف محبطة و شروط قاسية أن يوفروا للمكتبة الجزائرية مادة علمية أثبتت إسهامهم العلمي وأكدت حضورهم الأدبي في الساحة الثقافية، إلا أنهم لم يتمكنوا بفعل تشتتهم وانقطاع التواصل والتعاون بينهم من تكوين مدرسة تاريخية جزائرية مختصة في الدراسات العثمانية لها مميزاتها المحددة وأسلوبها الخاص ونظرتها المميزة لإشكاليات وقضايا الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر.

ب. الأثريون والأنثروبولوجيون ودارسو الألسنية والديمغرافية والعمارة والفنون والجميلة :

انطلق اهتمامهم بالعهد العثماني من تاريخ الجزائر من العلوم التي لها صلة بالتاريخ والتي تشكل أساس اختصاصهم ومحور اهتمامهم، مثل علم الآثار والوثائق والمسكوكات والترجمة والديمغرافية والعمارة والجغرافيا والأدب والفلسفة، فكانت مساهماتهم معتبرة وذات مستوى أكاديمي من حيث القيمة العلمية والمقاربة المنهجية، فاستطاع العديد منهم أن يحظى بمكانة مميزة في دراسة الجوانب النوعية من تاريخ الجزائر العثمانية، فحققوا بذلك تكاملا مع المؤرخين المختصين بالعهد العثماني من حيث المواضيع وأسلوب البحث وجدية المقاربة، ولعل أكثرهم ارتباطا بدراسة العهد العثماني وتميزا في تحليل قضاياه الأساتذة رشيد بورويبة وعبد العزيز الأعرج في الآثار، ومعاوية سعيدوني ومصطفى بن حموش وسكينة ميسوم في العمارة، وأبو العيد دودو وأحمد أبو عياد في الآداب، وعلي تابليت في الترجمة، وعبد القادر حليمي والجيلالي صاري في الجغرافيا.

جـ. الهواة من ذوي الثقافة العامة:

يغلب على كتاباتهم طابع الاندفاع الحماسي والولع بالأحداث والإشادة بالمواقف، وتكتسي كتاباتهم طابع إحياء التراث والتوجه التربوي، وقد استطاعوا بفعل نشاطهم وارتباطهم بالدوائر الرسمية أن يحتلوا مكانة مرموقة بكثرة إنتاجهم وحضورهم على الساحة الثقافية.

و تتصدر هؤلاء المؤرخين الهواة المولعين بالعهد العثماني بعض الوجوه الثقافية التي كان لها تأثير في الدوائر السياسية والأجهزة الإدارية، نذكر منهم على سبيل المثال الأساتذة: مولود قاسم نايت بلقاسم، والمهدي البوعبدلي، وشعيب محمد المهدي، ومحمد الشريف الساحلي، ومحيي الدين جندر، وعبد الرحمن بن آشنهو، ومولود قايد، وإسماعيل العربي، ومحمد بن عبد الكريم، ورابح بونار، وعبد الرحمن الجيلالي.

د. الإيديولوجيون من ذوي الاهتمامات الاجتماعية والاقتصادية والنظرة السياسية:

أغلبهم من ذوي القناعات اليسارية، عالج جلهم العهد العثماني من تاريخ الجزائر بالرجوع إلى الفترة الاستعمارية وانطلاقا من واقع الدراسات السوسيواقتصادية حسب مبادئ وطرق البحث التاريخي بالجامعات الفرنسية، متأثرين في ذلك ببعض المؤرخين اليساريين أمثال لابروست (E. Labrouste)، وفيلار (Vilar) وغاليسو (R. Gallissot)، وفالنسي (L. Valensi)، أو أخذوا بأطروحات بعض المستشرقين الفرنسيين أمثال جاك بيرك (J. Berque) (P. Vialar, 1963; R. Gallissot, 1966; R. Gallissot, 1968; L. Valensi, 1968; L. Valensi, 1977; E. Labrousse, 1933). ولعل هذا ما جعل بعضهم ينساق وراء فرضيات علم الاجتماع وطريقة التحليل الجدلي للإشكاليات التاريخية، مما حد من الموضوعية في عملهم، في الوقت الذي ازداد فيه حضورهم العلمي وتأثيرهم الأدبي على الجيل الصاعد من المؤرخين بفعل حداثة المنهج الذي التزموا به، وتموضع أغلبهم في الدوائر الثقافية الفاعلة والدوائر السياسية

المؤثرة، وتعاملهم مع أجهزة الدولة واحتكاكهم بالأوساط السياسية التي ساعدتهم على تحويل التاريخ إلى منبر سياسي.

4- واقع الدراسات التاريخية العثمانية بالجزائر :

تظل المساهمة التاريخية الجزائرية فيما يتعلق بالعهد العثماني بالجزائر رغم تعدد أصنافها وتنوع توجهاتها وتباين مستوياتها دون الأمل المنشود لإنجاز كتابة تاريخية نوعية تبرز خصوصية الفترة العثمانية وتعرض أوجه الحياة التي سادت فيها والقضايا التي تثيرها والمسائل التي تطرحها والتي بدونها تظل هذه الفترة المهمة من تاريخ الجزائر التي تزيد عن ثلاثة قرون (1517- 1830) حلقة مفقودة رغم كونها الحيز الزمني الذي يصل بين العهود الإسلامية بخصوصيتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وبين الفترة الاستعمارية وتوجهاتها الخاصة وتأثيراتها الفاعلة في صيرورة التاريخ الجزائري بكل سلبياته وإيجابياته.

و لعل هذا المنحى الذي يطبع الدراسات العثمانية جعل جل الإسهام التاريخي يندرج ضمن النمط القديم الذي كتب عن الحكم العثماني بالجزائر وفي إطار توجهات الدراسات التي أنجزت في الفترة الاستعمارية مع تغير مظهري وشكلي فيما يخص التصورات والتوجهات رغم بعض المحاولات الجادة لتجاوز هذا النمط وذلك الإطار، ونزوع إلى الأخذ بالطريقة الحديثة الأوربية حسب أسلوب ومنهج مدرسة الحوليات الفرنسية. (مدرسة الحوليات الفرنسية تحمل اسم مجلة حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي التي ظهرت سنة 1929، وأصبحت المنبر المعبر عن توجهات الدراسات التاريخية بفرنسا،

وكان في طليعة من تناول فيها التاريخ بنظرة نقدية جديدة مارك بلوك (ت. 1944)، ولوسيان فيفر (ت. 1956)، وفرناند برودال (ت. 1985)، فوضعوا بذلك أسس مدرسة تاريخية ترى أن موضوع التاريخ هو الإنسان بكل اهتماماته، يعالج من حيث إشكالية الكم في إطار العلوم الإنسانية والاجتماعية بحيث تُدرس المجتمعات كمجموعات متحركة وليس كوحدات جامدة اعتمادا على تغيرات الحركية التاريخية التي ترى البعد الزمني على أنه أزمنة مختلفة السرعة حسب طبيعة الأحداث وتفاعل الإنسان في بيئته وعصره. وبذلك تجاوزت هذه المدرسة المنهج الوضعي في التاريخ القائم على جمع ونقد الوثائق، وابتعدت عن العرض التاريخي الصرف، فكانت بحق حصيلة التجربة المخبرية والممارسة النظرية والتطبيق المنهجي للمؤرخين الأوربيين المحدثين، أنظر: G. Duby, 1991) ولعل هذا ما يسمح لنا برصد واقع الدراسات التاريخية العثمانية انطلاقا من التوجهات الحالية وحتى التوقعات المستقبلية التي يمكن أن نجملها في النقاط التالية :

1. إن جل الدراسات التاريخية التي تتناول تاريخ الجزائر العثمانية لا زالت متأثرة في مواضيعها وفي طريقة عرضها وأسلوب معالجتها بتوجه الدراسات العثمانية التي ظهرت في فترة ما قبل الاستقلال (1962)، فهي غالبا ما تركز على العلاقات الخارجية وتهتم بنشاط البحرية، إن لم تقتصر على سير الحكام والأحداث الكبرى دون محاولة التعريف بمظاهر حياة الشعب أو التعرض لعوامل التطور الداخلي، ولعل هذا التوجه هو الذي سمح بمعالجة العلاقات بعيدا عن جدلية التاريخ النوعي المحلي أو دراسة البحرية الجزائرية

بصفة إجمالية أو عرض الصراع الإسباني الجزائري على مدى ثلاثة قرون، مما جعل الإنتاج التاريخي المتعلق بتاريخ الجزائر في العهد العثماني يندرج ضمن إطار التاريخ العام للفترة العثمانية، ويكاد أغلبه يتعرض للأحداث ويتناول القضايا وفق نظرة عامة غير متخصصة، يهتم أساسا بالمواضيع المفضلة لدى جمهور القراء ويحرص على عرضها في سياق حدثي وتسجيل روائي غالبا ما يعتمد على عامل الإثارة والتشويق.

2. إن أغلب ما كتب عن العهد العثماني في الجزائر اعتمد في معلوماته على مراجع معروفة، بعضها مستهلك وبعضها الآخر تجاوزه الزمن من قبيل "تاريخ الجزائر تحت الحكم التركي" لدوغرامون (De Grammont). (H.-D. de Grammont, 1887) وحتى الدراسات التي أنجزت كرسائل وأطروحات جامعية غالبا ما اعتمد أصحابها على الوثائق المنشورة والمصادر المطبوعة، دون محاولة تجديد معلوماتهم باستغلال وثائق الأرشيف، أو إعادة صياغة تصورهم بإعادة قراءة تلك الوثائق قراءة استقرائية تحليلية بنائية، رغم أن أغلبهم يشيد في مقدمته بأهمية وثائق الأرشيف ويؤكد على ضرورة الاعتماد عليها. ولعل عجزهم في تحقيق ما كانوا يطمحون إليه في مستهل أعمالهم يعود أساسا إلى صعوبة استغلال وثائق الأرشيف وتعذر الوصول من خلال مادتها الأولية إلى نتائج ملموسة، ولأن اعتماد الوثائق الأولية في الدراسة يتطلب الوقت الطويل والجهد المضني. كل ذلك حال دون تحقيق دراسات جيدة وجدية ومبشرة، هذا إذا استثنينا بعض الرسائل الجامعية القليلة التي ضحى أصحابها من أجلها بوقتهم وجهدهم (لم يعد اليوم من الممكن تصنيف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتقييم ما يُكتب عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني لتداخل المواضيع وتباين المستويات واضطراب المعلومات التاريخية وتضارب الأحكام واختلاف وجهات النظر، حتى أن البعض ذهب إلى اعتبار العهد العثماني من تاريخ الجزائر بمثابة الفضاء التاريخي الذي يعود إليه كل من أشكل عليه البحث في مجال تخصصه أو استهوته ملاحم و بطولات العهد العثماني، أو أراد أن ينظر للكيان الجزائري و يحلل بنيته الاجتماعية، بحيث أصبح من الصعب تحديد مواصفات المنهج المتبع في المعالجة والتعرف على ما يمكن أن نعتبره مختصا فيه دون غيره من الاختصاصات وتمييزه عن غيره ممن ينشط ثقافيا في مجال الدراسات العثمانية بالجزائر.).

3. إن العهد العثماني من تاريخ الجزائر باعتباره خاتمة للعصور الإسلامية ومقدمة للفترة الاستعمارية ومرجعية لإثبات شرعية" السيادة الجزائرية "بعد الاحتلال وخلفية للذاكرة التاريخية، فضلا عن كونه فترة ملاحم وبطولات ومواجهات مع الدول الأوربية، كل ذلك جعله الملجأ المفضل لكل من شحت عنه مصادر التاريخ الوسيط وواجهه تداخل وصعوبة أحداث التاريخ المعاصر، وهذا ما جعل العهد العثماني مقصدا بل ملجأ لكل راغب في تسجيل أحداث التاريخ، ما دامت المعلومات العامة متوفرة والأحكام والتصورات جاهزة. ولعل ما يؤسف له تحول العديد من المهتمين بتاريخ العصور الوسطى والفترة المعاصرة إلى معالجة العهد العثماني ومحاولة جعل كتاباتهم دراسات أساسية ونظرتهم أحكاما مسلم بها، فاختلط الغث بالسمين وأصبح العهد العثماني مجالا مشاعا لكل من هب ودب، وهذا ما نتج عنه تضخم في الكتابات

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

التاريخية المتعلقة بالعهد العثماني والتي لم تزد تاريخ الجزائر العثمانية سوى غموضا وتداخلا ولم تكسب النظرة التاريخية حوله سوى اضطرابا وتشويشا. (مما يؤكد ذلك تعدد العناوين وتكرر الموضوعات حول العهد العثماني، فأغلبها سرد للأحداث وتعريف بالوقائع وليس تحليل للأحداث، أنظر "ثبت بالدراسات العثمانية بالجزائر، وأيضا: ناصر الدين سعيدوني، 2006: 117 – 151 .)

وقد كانت نتيجة هذا الموقف المتجاوز لضرورة التخصص والتعمق في البحث أن تراجعت الدراسات النوعية والإسهامات المتخصصة في العهد العثماني. فغدا هذا العهد في غياب النقد التاريخي مجالا مفضلا للكتاب الهواة الذين تصدروا الساحة الثقافية بفعل المناخ الثقافي السائد في الدوائر الرسمية التي لا ترى الماضي إلا من خلال متطلبات الواقع، ولا تتصور أحداث التاريخ كما هي وإنما تُخضعها لما تقتضيه المفاهيم السائدة والأحكام الجاهزة، بحيث أصبح البحث التاريخي خاضعا لمزاج المهتمين بكتابة التاريخ من الهواة ولإرضاء خيال القراء، فضلا على أن العهد العثماني من تاريخ الجزائر يُعتبر مجالا مفضلا لكل من يرغب في كتابة التاريخ خارج اختصاصه الضيق وبعيدا عن مقتضيات منهجية التاريخ الصعبة، وبذلك أصبح العهد العثماني لدى هؤلاء الهواة خاتمة لفترة إسلامية سابقة محدودة المصادر وبعيدة عن اهتمام القراء، وبداية للفترة المعاصرة التي عاشتها الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

5. تحكم النظرة التقليدية في المشتغلين بدراسة التاريخ وخاصة منهم المختصين في الفترة العثمانية من حيث جمع المعلومات وعرض الأحداث. فحشر أغلبهم نفسه في زاوية التاريخ التقليدي القائم على جمع المعلومات وتحريرها وتسجيلها ثم عرضها، فحولوا أنفسهم إلى صنف من العرض الصحفي والصياغة الأدبية. كما ظلت المناهج الجديدة القائمة على تفاعل عوامل الاختصاص المتعمق الذي يتطلب معلومات جديدة، ومنهج بحث أكاديمي متخصص، وتحليلا موضوعيا يقوم على التعامل النقدي مع المادة التاريخية، بعيدة عن اهتماماتهم بل رأى الكثير منهم أنها من متطلبات العلوم الاجتماعية الأخرى، وعذرهم في ذلك هو طريقة تعلمهم للتاريخ والعجز في الاندماج في توجه المدارس التاريخية العربية، ومنافسة العلوم الاجتماعية للتاريخ في خصوصيته ومجال اهتمامه، مع أن المؤرخ الذي ليس له منظور تاريخي اليوم هو أعمى البصيرة والذي ليس له طريقة معالجة منهجية هو ضال عن الطريق الصحيح، والذي لا يهتم بنشاط الحياة اليومية والنشاط البشري في مختلف مجالاته هو صاحب حوليات وراوي قصص لا أكثر ولا أقل.

وفي غياب المقارنة والنقد التاريخي تمكن هواة تاريخ الجزائر العثمانية، سواء منهم المهتمون بالتراث أو ذوو القناعات الإيديولوجية والتوجهات السياسية من أخذ زمام المبادرة وأصبحت لهم بفضل مكانتهم في المجتمع وموقعهم في أجهزة الدولة الكلمة المسموعة والصوت القوي في المؤتمرات والملتقيات والندوات التي تؤطر النشاط الثقافي في العديد من المناسبات. مما

حول الدراسة فيها إلى معالجة للتراث وكتابات ثقافية عامة، خاصة بعد أن تراجع إسهام المؤرخين المختصين في دراسة الإشكاليات الاجتماعية والاقتصادية، وانغلاقهم على مناهج العلوم الاجتماعية وأساليب البحث المستجدة في دراسة الظواهر التاريخية بدعوى خصوصية التاريخ، وتأثرت بالكتابات التاريخية التي تعالج أحداث الماضي من خلال العرض القصصي بعيدا عن الجدلية التاريخية التي ترى في الفعل التاريخي حصيلة تفاعل عوامل البيئة والإنسان والزمان، مما يُكسب التاريخ حركية تبعده عن الصورة الجامدة في الماضي.

6. غياب النظرة المحايدة لأحداث التاريخ لانعكاساتها على الواقع المعيش وارتباطها بالقيم الثقافية والمنظومة الفكرية للمهتمين بتاريخ الجزائر العثماني. وقد تكرس هذا الوضع لظروف الجزائر قبل الاحتلال ولخصوصية تطورها بعد الاستقلال. فاصبح الذين يكتبون بالفرنسية معبرين عن القيم الغربية المعادية للفترة العثمانية، والذين يؤلفون بالعربية يدافعون عن الانتماء العربي الإسلامي للجزائر مما أكسب الحكم العثماني شرعية وأصالة. وفي كلا الفريقين توجد فوراق حسب الميول والنظرة الخاصة من الموقف الأكاديمي الذي يدعي الحياد إلى الموقف الجزائري الذي لا يخفي الانتماء. فتحولت الكتابات التاريخية الخاصة بالعهد العثماني بالجزائر إلى مرافعة سياسية وعرض إيديولوجي ومواقف ثقافية.

7. تبعا لذلك فإن العهد العثماني من تاريخ الجزائر يُعتبر في ظل هذا الوضع المجال التاريخي الذي يربط الماضي بالحاضر، ويشكل منطلقا لدراسة

تكون الدولة الجزائرية وتمايز كيانها السياسي، ومجالا للمقارنة بين الحكم الإسلامي الطابع والهيمنة الاستعمارية. وأصبح كل دارس لأي فرع من العلوم الإنسانية والاجتماعية على صلة بتاريخ الجزائر العثمانية، بل انجذب إليه الكثيرون ليكتبوا فيه انطلاقا من اختصاصاتهم واهتماماتهم الثقافية. كما اكتسى في جوانبه السياسية مفهوما إيديولوجيا وطابعا رسميا في اللوائح الرسمية المتعلقة بأصول الكيان السياسي للجزائر الحديثة؛ وقد تم ذلك على حساب النظرة الموضوعية والبحث المعمق في إشكالياته. فأصبح العهد العثماني من تاريخ الجزائر موضوعا شائعا يخضع لفرضيات علم الاجتماع ومفهوم الدراسة اليسارية، وحاول بعضهم ربطه بمنهج مدرسة الحوليات وأسلوب المدرسة الوضعية، و أخضعه آخرون للمفاهيم الوطنية ذات التوجه الحماسي و المنحى البطولي، متجاهلين ما أنجز من دراسات نوعية وأطروحات أكاديمية، وقد ساعدهم على ذلك كثرة الكتابات وتكرر المواضيع ومحدودية المصادر، التي جعلت بعض الدارسين للعهد العثماني من الجيل الجديد من المؤرخين يصابون بعقدة النقص، فيتجاهلون ما أنجز من البحوث، ويحاولون حصر الإسهام التاريخي الأكاديمي في العهد العثماني في بعض الرسائل التي أنجزت حديثا، ويتخذون من بعض الدراسات ذات الطابع الإثنوغرافي أو المفهوم اليساري نماذج يُحتذى بها من قبيل كتابات الهواري تواتي، ومنور مروش، ومصطفى الأشرف. (H. Touati, 1994; Menouar Merouche, 2002 , 2007; Mustapha Lachref,)

وقد عبر عن هذا التوجه ما ذهبت إليه الأستاذة فاطمة الزهراء قشي في تقييمها للدراسات العثمانية بالجزائر، فاعتبرت أن الإسهام الجدير بالعرض

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والمتميز بالاختصاص والنوعية والتقدير، تمثله بعض الرسائل الجامعية التي نوقشت حديثا، مؤكدة أن معالجة الهواري تواتي لإشكالية الإثنوغرافيا في الجزائر العثمانية تُعتبر نموذجا متطورا ومدخلا أصيلا،(و قد أوردت ذلك بهذه العبارة " يمكن تصنيف كتابات الهوراي تواتي في الصدارة، فقد غاص في التاريخ الثقافي والفكري قصد تفكيك آليات المجتمع، وتمثل هذه الدراسات (بين الله والناس) مدخلا أصيلا ومجددا لدراسة طبقات العلماء والفقهاء والأدباء والمرابطين، وتحليلا شاملا للوسط.أنظر: فاطمة الزهراء قشي، 2007: 351- 352.) وقد سايرتها في هذا التوجه تلك الرؤية التي عبر عنها منور مروش في كتاباته عن العهد العثماني، والذي حاول بدوره دراسة الجانب الاقتصادي من تاريخ الجزائر انطلاقا من نماذج أوربية ليس لها صلة لا مادةً و لا منهجا بالواقع الجزائري في العهد العثماني، فقد حاول جاهدا إسقاط فرضيات ومقاربات إرنست لابروست وفيلار على التاريخ الاقتصادي للجزائر لينتهي إلى إقرار معلومات في غاية الدقة والعمق دون أن يكون لها ارتباط بالواقع الجزائري، رغم ما بذل فيها من جهد وما تطلبته من وقت. (لقد أكد الأستاذ مروش في مقدمة دراسته عن العهد العثماني " بأن عمله يعتمد على المنطلقات النظرية والمنهجية التي صاغها لابروس وفيلار وكوهن ورودنسون ". أنظر : منور مروش، 2007: 5- 19).)

كل ذلك أدى إلى محدودية المبادرة العلمية الأكاديمية في دراسة الفترة العثمانية، ودفع بها نحو العموميات وغياب الأعمال النقدية، وجعل الدراسات التاريخية الأكاديمية ذات الطابع العلمي والتوجه النقدي تبقى

منحصرة في بعض الأعمال النوعية وفي العديد من الرسائل الجامعية، وهي مع قلتها لم تجد الاهتمام اللائق بها لغياب النقد والعرض والنقاش، فظل جلها بعيدا عن أيدي القراء متواريا في أدراج المكتبات. فانطبق على الكتابة التاريخية الجادة وأغلبها يهتم بالعهد العثماني قانون غريشام الذي يقوم على فكرة أن العملة المزيفة تطرد العملة الصحيحة من السوق، بعد وصول جيل جديد من الباحثين همهم إثبات الذات والوصول إلى أعلى الدرجات العلمية وتحقيق الشهرة ولو على حساب اختصاصهم العلمي، وفشل الجيل القديم في تكوين جماعات من المؤرخين ذات مصداقية وفعالية، وانعكس ذلك على تدريس التاريخ بالجامعة وعلى إنجاز الأعمال التاريخية في إطار مشاريع البحث، مما سوف يؤدي بحق إلى أزمة في الدراسات التاريخية المتعلقة بالعهد العثماني لعل أقل نتائجها انعدام المستوى العلمي وضياع المصداقية وتحول الاهتمام إلى مؤسسات وجهات في أوربا، مما يكرس التبعية الثقافية في مجال الدراسات التاريخية الأكاديمية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

5- آفاق الدراسات التاريخية المتعلقة بتاريخ الجزائر العثمانية :

تتحدد من خلال الجهد العلمي وتتحكم فيها شروط البحث التاريخي القائم على طرح إشكاليات جديدة وتوفير مادة تاريخية غنية وإيجاد شروط موضوعية يتعلق مستقبل الدراسات التاريخية المتعلقة بالعهد العثماني من تاريخ الجزائر على توفرها، والتي تتمثل خاصة في :

1. إجراء دراسة نقدية تقييمية لما نشر حتى الآن من كتابات تاريخية حول الفترة العثمانية سواء ما كتبه الفرنسيون أو ألفه الجزائريون أو ما ساهم به

باحثون عرب وأوربيون. على أن تعرض نتائج هذا المسح في شكل عروض ونشر دراسات وتعليقات تكون في متناول المهتمين بدراسة العهد العثماني، حتى يمكن الحد من تعميمات الهواة وتقييم إسهام المختصين تقييما موضوعيا انطلاقا من تحديد الإشكاليات التاريخية وطرح المسائل من وجهة نظر نقدية تجمع بين مناهج التاريخ والوطنية ومقاربات قيمه الإنسانية.

2. البحث عن المزيد من المصادر التاريخية في ودائع الأرشيف وعند الخواص، سواء كانت وثائق أو تقارير أو تقاييد، وتوجيه الجهد نحو وثائق إدارة البايليك ومؤسسات الوقف وتقاييد الزوايا وأوراق العائلات الكبرى. على أن ينطلق العمل في ذلك من وضع فهرس أو ثبت بمضان تلك المصادر، وإعادة مراجعة فهارس ودائع الأرشيف الجزائري لتحديد مواضيعها والفترات الزمنية التي تعود إليها. ويجب أن يصاحب هذا الجهد التوثيقي تشجيع نشر مدونات المصادر والمراجع والمجموعات سواء كانت وثائق أصلية أو مترجمة أو محققة، مع تحديد مكانها في الأرشيفات والمكتبات العالمية.

3. قراءة جديدة للوثائق التاريخية المتوفرة، سواء كانت وثائق أرشيفية أو مخطوطات أو تقاييد أو أوراق خاصة انطلاقا من منهج استقرائي تحليلي إحصائي، يتجاوز مستوى المعلومات المتداولة إلى إعادة تجديد المادة التاريخية وضبط معطياتها في جداول وبيانات ولوحات إحصائية، وفي نشريات متضمنة للوثائق التي تم تحليلها ولتصحيح محتواها ودلالاتها التاريخية. (لقد حاولنا الالتزام بهذا التوجه في معالجة المادة التاريخية المتعلقة بتاريخ الجزائر في العهد العثماني في دراستنا للريف الجزائري أواخر العهد العثماني، وكذلك

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

في دراساتنا العديدة حول إشكالية الوقف في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي، أنظر: .Nacereddine SAIDOUNI, 2009)

4. توجيه الدراسات التاريخية المتعلقة بالعهد العثماني من تاريخ الجزائر نحو ميادين حيوية وآفاق جديدة، بهدف الإجابة على العديد من التساؤلات التي ظلت مطروحة على الباحثين المختصين والتي لا تكتمل صورة العهد العثماني إلا بتناولها انطلاقا من منهج أكاديمي يقوم على النقاش وتبادل الرأي ويستند إلى إشكاليات محددة تتجاوب مع شروط النقد والمعالجة التاريخية الموضوعية. ويمكن حصر أهم تلك الميادين التي تحتاج إلى دراسات معمقة في صنفين من المواضيع : أحدهما يتصل بالحياة الداخلية والنشاطات اليومية، والآخر يمس العلاقات الخارجية وممارسة السلطة. ومن أهم مواضيع الحياة الداخلية التي يتوجب توجيه الاهتمام نحوها :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- الإدارة المحلية : طبيعتها، تنظيمها، مهامها، تأثيرها على المجتمع والدولة.
- مصادر الدخل ووجوه الإنفاق وما يرتبط بهما من إنتاج وعملة وتبادل.
- العوامل المتحكمة في النشاط الاقتصادي والحركية الاجتماعية والمناخ الثقافي.
- النشاط الحرفي وأصناف المهن.
- الأوقاف والملكية وطبيعة استغلال الأرض.
- موازين القوى بين السلطة (البايليك) والسكان وبين السلطة والزوايا وبين الرعية والمتعاونين مع السلطة (المخزن).

و من بين المواضيع المتصلة بالعلاقات الخارجية وممارسة السلطة :

- مكانة البحرية الجزائرية من حيث كونها مؤسسة جزائرية وتنظيما عثمانيا في آن واحد.

- النشاط البحري وانعكاسه على العلاقات بين الجزائر العثمانية والدول الأوربية.

- الكيان السياسي (الجزائر) بين التبعية الاسمية والاستقلال الفعلي و بين الخصوصية المحلية و التكامل العثماني.

- طبيعة الحكم العثماني في الجزائر وطبيعته وتقييمه محليا وفي إطاره العربي الإسلامي.

5. وضع خطة عمل طموحة في إطار تطوير دراسة التاريخ الجزائري، تهدف إلى تغطية العجز في بعض الإشكاليات التاريخية والفترات الزمنية، وتطمح إلى تجديد الرؤية التاريخية لقضايا التاريخ الجزائري في العهد العثماني، على أن تكون مراكز البحث وأقسام الدراسات العليا بأقسام التاريخ بالجامعات الجزائرية منطلقا لها، بحيث ترتبط البحوث المعتمدة للأطروحات المسجلة ببرنامج علمي يتوفر على طرح إشكاليات منهجية لمواضيع محددة ويقوم على تحديد المادة التاريخية ومعالجتها معالجة نقدية تحليلية. على أن توجه مواضيع العهد العثماني من التاريخ الجزائري في المرحلة الأولى للدراسات العليا التي تقوم على تحقيق المصادر الأساسية والوثائق الأولية وإعادة تحقيق ما لم يحقق منها علميا، وإن كان ذلك يقتضي في نظرنا تكوين هيئات محلية من ذوي الاختصاص في التاريخ العثماني القادرين على توجيه الدراسات العثمانية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والرفع من مستواها وخلق تفاعل بين الباحثين الجزائريين وزملائهم خارج الجزائر.

كما أن هذه الخطة الطموحة تقتضي في مرحلة ثانية إعادة النظر في المنظومة التعليمية فيما يتعلق بدراسة التاريخ بمختلف عصوره ومواضيعه ومستوياته لتجاوز عرض المعلومات البسيطة والتعليق على المسائل العامة إلى عرض نوعي يعتمد على المناقشة والتحليل والاستنتاج بعيدا عن الحفظ والاستظهار. وبذلك يمكن لنا القول بان الشروط الموضوعية والقدرات الذاتية للبحث في مستوى يسمح لنا بوضع ملامح مدرسة تاريخية عثمانية جزائرية ضمن المدرسة التاريخية الجزائرية العامة التي لا يمكن لمقومات النهضة الثقافية والمناعة الحضارية أن تكتمل بدونها، ما دامت حركية التاريخ الحقيقية ترفض الجمود و حصر الذاكرة في فعل الماضي، لأنها في أساسها جدلية تقوم على تواصل الحاضر بالماضي، ولكون التاريخ في كل البيئات والمجتمعات وعبر العصور مشكل للذاكرة الجماعية ومكون أساسي للشخصية الوطنية، وعرض مستمر لشريط الحياة إن لم يكن مسرحية تسجلها الأقوام الماضية لتقرأها وتتفاعل معها الأجيال الحالية فتفهمها وتقيمها وتحكم عليها انطلاقا من اهتماماتها ونوعية ثقافتها وطبيعة ميولها وحاجات مجتمعها وظروف بيئتها وعصرها.

الكويت في 8- 5 - 2011

المراجع:

- A. Benachenhou, L'Etat algérien en 1830, S.N.E.D., Alger, s.d.
- A. Nouschi, Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises jusqu'à 1919, essai d'histoire économique et sociale. P.U.F., Paris, 1961.

- A. Raymond, Le centre d'Alger en 1830, in Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n° 31, 1981, pp. 73-84.
- Au. Bernard, L'Algérie, Paris, F. Alcan, 1929.
- Au. Berque, Esquisse d'une histoire de la seigneurie algérienne, in Revue de la Méditerranée, T.7/1949, pp. 18-34 et 168-180.
- Ch.-A. Julien, Histoire de l'Algérie contemporaine, la conquête et les débuts de la colonisation (1827-1871), P.U.F., Paris, 1964.
- E. Fagnan, Catalogue des manuscrits arabes, turcs et persans de la Bibliothèque et Musée d'Alger, Alger, 1893.
- E. Labrousse, Esquisse du mouvement des prix et des revenus en France au 18ème siècle, Dalloz, Paris, 1933.
- E.-F. Gautier, Le passé de l'Afrique du Nord : Les siècles obscurs, Nouvelle édition, Payot, Paris, 1952.
- G. Duby, Orientations récentes des recherches historiques en France, Conférences, Paris, 1991.
- G. Yver, Histoire et historiens de l'Algérie, E. Alcan, Paris, 1931.
- Gérard Busson de Janssens, Contribution à l'étude des habous publics algériens, Thèse, Alger, 1950, travail dactylographié.
- Guy Tubert-Delof, Bibliographie critique du Maghreb dans la littérature française (1532-1765), pub. par la Bibliothèque nationale, Alger, 1976.
- H. Isnard, Le Sahel d'Alger en 1830, in Revue africaine T.81/1937, pp. 587-596.
- H. Touati, Entre Dieu et les hommes : Lettrés, saints et sorciers au Maghreb (17ème siècle), Éditions E.H.E.S.S., Paris, 1994.
- H.-D. de Grammont, Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), E. Leroux, Paris, 1887.
- J. Berque, L'intérieur du Maghreb…, op. cit.
- J. Berque, L'intérieur du Maghreb, 16è- 19è siècles, Gallimard, Paris, 1978.
- Jean Deny, À propos du fonds arabo-turc des Archives du Gouvernement général de l'Algérie, in Revue africaine, T. 62/1921, pp, 370-378.
- L. Valensi, Archaïsme de la société maghrébine, in La Pensée (Paris), n. 142, 1968, pp. 77-84.
- L. Valensi, Fellahs tunisiens aux 18ème et 19ème siècles, Paris, 1977.
- M. djender, Introduction à l'histoire de l'Algérie, S.N.E.D., Oran, 1968.
- M. EMERIT, L'état intellectuel et moral de l'Algérie en 1830, in Revue d'histoire moderne et contemporaine, juillet- septembre 1954, pp. 199-212.
- M. Gaïd, L'Algérie sous les Turcs, S.N.E.D., Tunis, 1974.
- Menouar Merouche, Recherches sur l'Algérie à l'époque ottomane, T. 1 : Monnaies, prix et revenus; T. 2 : La course, mythes et réalités; éd. Bouchène, Condé-sur-Noiseaux, 2002 et 2007.
- Mohammed Cherif Sahli, Décoloniser l'histoire, Maspéro, Paris, 1965.
- Mouradgea d'Ohsson, Tableau général de l'empire ottoman, 7 vol. Paris, Didot, 1788-1824, T. 7, pp. 299-300.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- Mustapha Lachref, L'Algérie, société et nation, Maspéro, Paris, 19…
- N. Weissman, Les Janissaires d'Orient, Paris, 1964, p. 69.
- Nacereddine Saïdouni, L'Algérois rural à la fin de l'époque ottomane (1791-1830) - Beyrouth, Ědition Dar Al-Gharb Al-Islami, 2001, pp. 122 et 409-410.
- Nacereddine SAIDOUNI, L'Algérois rural…, op. cit.
- Nacereddine SAIDOUNI, Le waqf en Algérie à l'époque ottomane (17ème-19ème siècle), Recueil de Recherches sur le waqf, pub. par La Fondation Publique des Awqaf du Koweït, Koweït, 2009.
- P. Boyer, La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française, Paris, Hachette, 1963.
- P. Boyer, L'évolution de l'Algérie médiane "Ancien département d'Alger" de 1830 à 1956, Paris, A. Maisonneuve, 1960.
- P. Vialar, La Catalogne dans l'Espagne moderne, VEVPEN, Paris, 1963.
- Peyssonnel et Desfontaines, Voyages dans les Régences de Tunis et d'Alger, pub. par M. Dureaud de la Malle, Paris, Gide, 1838, 2 vol.
- R. Gallissot, Essai de définition du mode de production de l'Algérie précoloniale, in Revue algérienne des Sciences juridiques, économiques et politiques, Alger, Vol. 5, n. 2, 1966, pp. 385-412.
- R. Gallissot, Les rapports villes-campagnes, in La Pensée (Paris), n. 142, 1968, pp. 84-94.
- R. L. Play-Faire, Bibliography of Algiers (1541-1887), London, 1898
- R. Mantran, Les données de l'histoire moderne et contemporaine de l'Algérie et de la Tunisie, Notes pour une étude plus approfondie, in Annales de l'Afrique du Nord, 1962, pp. 248-343.
- Saadaddine Bencheneb, Quelques historiens modernes de l'Algérie, in Revue africaine, T. 100/1956.pp 47-99 .
- T. Shuval, La ville d'Alger vers la fin du 18ème siècle, population et cadre urbain, C.N.R.S., Paris, 1998.
- W. Marçais, Un siècle de recherches sur le passé de l'Afrique musulmane, in Histoire et historiens de l'Algérie, E. Alcan, Paris, 1931
- X. Yacono,La Régence d'Alger en 1830, d'après l'enquête des commissions de 1833-1834, in Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n° 1-2, 1966, pp. 229-244 et 227-247.
- المهدي بوعبدلي، جوانب من تاريخ الحياة الثقافية بالجزائر آخر العهد العثماني، ضمن كتاب "الجزائر في التاريخ"، الجزء الرابع (العهد العثماني)، وزارة الثقافة والسياحة والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص ص. 125- 242.
- المهدي بوعبدلي، نشر الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، الجزائر، 1973.
- المهدي بوعبدلي، نشر دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، الجزائر، 1978.

- أو. هابنسترايت، رحلة إلى الجزائر وتونس وطرابلس الغرب (1732)، ترجمة وتقديم وتعليق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008، ص ص. 28-29.

- بالنسبة لجندر وبن آشنهو وقايد وفليسي، أنظر هامش رقم (13). وبالنسبة لمولود قاسم والمهدي بوعبدلي ومحمد بن عبد الكريم وإسماعيل العربي ورابح بونار ومحمد المهدي شعيب ومحمد الشريف ساحلي فإننا نذكر على سبيل المثال بعض إسهاماتهم:

- رابح بونار، نشر كتاب محمد الصالح العنتري (مجاعات قسنطينة)، 1974.
- رابح بونار، نشر كتاب مسلم بن عبد القادر الوهراني، خاتمة أنيس الغريب والمسافر، الجزائر، 1974.
- شهاب الدين يلس، فهرس سجلات البايليك "سجلات بيت المال"، مجلة الوثائق الوطنية الجزائرية، عدد خاص، الجزائر، 1986.
- عبد الجليل التميمي، فهرس الدفاتر العربية التركية بالجزائر، منشورات مجلة الدراسات المغاربية، تونس، 1979.
- محمد المهدي شعيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر (تاريخ مدينة قسنطينة)، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980.
- محمد بن عبد الكريم، تحقيق وتقديم التحفة المرضية للدولة البكتاشية لابن ميمون، الجزائر، 1972.
- محمد بن عبد الكريم، تحقيق وتقديم رحلة محمد الكبير باي الغرب إلى الجنوب الصحراوي الجزائري لابن هطال، القاهرة، 1969.
- محمد بن عبد الكريم، تحقيق وتقديم كتاب فتح الإله ومنته لأبي راس الناصري وهي سيرته الشخصية، الجزائر، 1990.
- محمد بن عبد الكريم، تحقيق وتقديم كتاب وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، لابن رويلة، الجزائر، 1968.
- محمد بن عبد الكريم، نشر كتاب بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان بوهران من الأعراب كبني عامر، بيروت، د.ت.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، قسنطينة، 1985 (2 ج.).
- ناصر الدين سعيدوني، الاقتصاد والمجتمع في الجزائر العثمانية، ضمن كتاب "الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)"، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، نشر مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2000، ص ص. 120- 122.
- ناصر الدين سعيدوني، مسألة السيادة الجزائرية في العهد العثماني: محاولة لتقييم الحكم العثماني للجزائر، ضمن كتاب "الجزائر منطلقات وآفاق: قضايا ومفاهيم تاريخية، ط. 2، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص. 171.
- ناصر الدين سعيدوني، موظفو الإيالة الجزائرية في أوائل القرن التاسع عشر: صلاحياتهم الإدارية ومهامهم الاقتصادية والاجتماعية، ضمن كتاب "ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني"، ط. 2، دار البصائر، الجزائر، 2008، ص ص. 120- 122.
- ناصر الدين سعيدوني، نحو نظرة جديدة لتاريخنا العربي، مجلة الخليج للتاريخ و الآثار (الكويت) العدد الثاني، أبريل 2006، ص ص 117 – 151 .
- منور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، الجزء الأول (العملة والأسعار والمداخيل)، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007 (المقدمة، ص ص. 5- 19.

خمسون سنة من التعدد اللغوي في المدرسة الجزائرية
صراع هويات ينتهي إلى الأمية

د. غماري طيبي ،

مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية،

جامعة معسكر.

Abstract

The French colonial disaster in Algeria was so huge that its impact is still operating on the social, economic, and cultural life of the Algerians; in this paper, making use of the colonial impact on the cultural life, I will shed light on the linguistic reality and its implications on the Algerian identity as a direct result of the French 'deculturation' and assimilation policies. In fact, it is important to mention that in postcolonial Algeria 'language' is one of the most striking problems.

The colonial linguistic strategy in Algeria caused a tri 'linguistic' and 'identity' conflicts among the Algerian elites, i.e., the ruling elites tried (and are still trying) to promote the Arabic language and as a result an Arabo-Islamic identity; the 'francophone' (French speaking) elites were (and are still) in favour of the French language and an occidental identity; and, finally, the Tamazight elites aimed (and are still aiming) to rehabilitate the Tamazight language and the emergence of a Berber identity.

Finally, the aim of this paper is to prove that the 'idealization' of the linguistic field, in the Algerian school, led inevitably to the establishment of a weak educational system which produces literacy.

مقدمة:

تعتبر المسألة اللغوية في الجزائر واحدة من المشاكل المزمنة الموروثة عن الاستعمار الفرنسي، فبالفعل أدى النشاط الاستعماري الفرنسي في الجزائر إلى هزة عنيفة مست آثارها على وجه الخصوص ركائز الهوية الجزائرية، وهذا ما جعل الفرنسيين ينجحون في خلق صراع لغوي مزدوج، فمن جهة نجد

الصراع بين اللغة العربية لغة الجزائريين ولغة دينهم، واللغة الفرنسية لغة المستعمر التي قدمت على أنها لغة التقدم والحضارة؛ ومن جهة ثانية نجد الصراع بين اللغة العربية التي قدمها المستعمر الفرنسي كلغة شعب غاز لشمال إفريقيا، واللغة الأمازيغية التي قدمت كلغة السكان الأصليين لشمال إفريقيا. لقد نتج عن هذا الصراع ثلاث أنواع من النخب والهويات: النخب (الهوية) المعربة والنخب (الهوية) المفرنسة والنخب (الهوية) الأمازيغية.

بعد الاستقلال عمل النظام الجزائري على استعادة الهوية الجزائرية، التي حاول ربطها بامتداداتها الإسلامية والعربية، ومن ثمة ركزت كل دساتير الدولة الجزائرية المستقلة على أن الدين الإسلامي هو دين الدولة واللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية للشعب الجزائري، ومن ثمة جاءت مشاريع الحكومة الجزائرية، المترددة أحيانا والمحتشمة أحيانا أخرى، من أجل تعريب المجتمع والدولة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن الفضاء الأمثل لمشروع التعريب هو المدرسة، حيث عملت الدولة الجزائرية منذ 1976 على تعريب التعليم بشكل تدريجي بدأ بالتعليم الأساسي (ثم فيما بعد الابتدائي)، ليتواصل مع التعليم الثانوي.

بالنظر إلى التركة التي ورثتها الجزائر المستقلة عن المستعمر الفرنسي لم يكن مشروع التعريب ليمر بالسهولة وبالسلاسة المرجوة، حيث واجه التعريب مقاومة شرسة من قبل النخب المفرنسة والنخب الأمازيغية، حيث أصبحت معركة التعريب معركة حياة أو موت، فنجاحه كان ينظر إليه بمثابة الضربة القاضية للهوية الأمازيغية (البربرية) وللهوية التغريبية أو لبقايا المشروع الفرنسي.

انطلاقا مما سبق ستتناول ورقتي هذه صراع الهويات في الجزائر والذي استعمل المدرسة كأرض معركة يتم فيها تنفيذ الإصلاحات والإصلاحات

المضادة، الأمر الذي انعكس في المحصلة النهائية سلبا على المستوى العام لهذه المدرسة. حيث أن هذه المدرسة لم تعد تساهم لا في ترقية الهوية العربية الإسلامية، ولا في ترقية الهوية التغريبية، ولا في ترقية الهوية الأمازيغية. فمخرجات المدرسة الجزائرية لم تعد تقنع أحدا، بل الأخطر من كل ذلك هو أن الكثيرين من خريجي هذه المدرسة يجدون أنفسهم بعدما يتقدم بهم السن في أقسام محو الأمية، وكأنهم لم يتلقوا أي تعليم في يوم من الأيام.

تاريخية الصراع اللغوي في الجزائر:

لا يمكننا فهم الصراع اللغوي في الجزائر بدون العودة إلى الجذور التاريخية التي هيئت الأرضية ونشرت البذور ورعت بكل إخلاص صراعا لغويا وهوياتيا قاتلا بين الجزائريين، لا نزال نحصد آثاره إلى يومنا هذا سواء في مدرستنا أو في ثقافتنا أو في مجتمعنا بصفة عامة.

يتفق جميع المؤرخين الجزائريين والأجانب أن بدايات الصراع اللغوي في الجزائر تعود إلى الفترة الاستعمارية، حيث أن الأتراك، وبالرغم من تواجدهم الطويل بالجزائر، لم يعملوا على استبدال اللغة والثقافة العربية باللغة والثقافة التركية. فما عدى التثاقف الذي ينتج بشكل طبيعي عن احتكاك ثقافتين مختلفتين، لا نكاد نجد سياسة تركية حاولت تثبيت اللغة التركية بدلا من اللغة العربية، فالتواجد العثماني كان تواجدا سياسيا واقتصاديا أكثر منه تواجدا ثقافيا. أكثر من هذا اقتصر التواجد العثماني على المدن الكبرى والساحلية ولم يشمل باقي الأراضي الجزائرية التي كانت تسيطر عليها القبائل والعروش، واقتصر الوجود العثماني في هذه المدن على جمع الجباية وعلى حماية الدولة العثمانية من محاولات التوسع الأوروبي عموما والإسباني على وجه الخصوص، على النقيض من كل ذلك كان الاستعمار الفرنسي بمثابة الكارثة الإنسانية التي ضربت الأرض والنسل والعقل، كان

الاستعمار الفرنسي استعمارا استيطانيا يهدف إلى استبدال شعب بشعب، وثقافة بثقافة، ومن هنا كانت الحملة الفرنسية على الجزائر حملة شرسة وهمجية بكل المقاييس. فمن الناحية الديموغرافية وبسبب القمع الذي تعرضت له الثورات والأمراض الوبائية التي تفشت في المجتمع بفعل التشريد والتجويع الذي تعرض له الجزائريون، انخفض تعداد الجزائريين من ثلاثة ملايين (3000000) نسمة في 1830 إلى حوالي مليونين ومائة وخمس وعشرون ألفا (2125000) نسمة في 1872 ولم يعد النمو الديموغرافي إلى حالته الطبيعية إلا ابتداء من سنة 1876 حيث بدأ تعداد السكان في التزايد تدريجيا وبشكل بطيء (Patricia Bessaoud-Alonso, 2008: 101) .

أما من الناحية الاقتصادية فقد عمد المحتل الفرنسي إلى تغيير النظام الاقتصادي الجزائري التقليدي القائم على فلاحة الحبوب والرعي، واستبداله باقتصاد قائم على تلبية الحاجيات الفرنسية خاصة الكروم الموجه إنتاجها لصناعة الخمور، كما أن هذا الاقتصاد الجديد اعتمد على وجود المعمرين الذين تم جلبهم من كل الأقطار الأوروبية ليحدث المحتل تحولا ديموغرافيا آخر يضاف إلى ذلك الذي تناولته أعلاه، فمن محاولة كبح النمو الديموغرافي الطبيعي للسكان الأصليين، إلى تسريع النمو الديموغرافي الأوروبي في الجزائر من خلال تشجيع الهجرة إلى الأرض الموعودة، وذلك بمنح المعمرين الأراضي التي كانت تصادر من القبائل والعروش.

استمر هذا التفكيك الممنهج للمجتمع الجزائري من الناحية الثقافية، حيث عمد المحتل إلى تدمير البنية التحتية التي كانت تضمن التربية والتعليم للجزائريين، والمتمثلة أصلا في الزوايا والكتاتيب والمدارس التي كانت تحضر الطلبة لمواصلة الدراسة في جوامع الأزهر بمصر أو الزيتونة بتونس أو

القرويين بالمغرب، حيث تشير الإحصاءات إلى وجود أكثر من 3000 مدرسة قرآنية قبل 1830(Robert Mélet, 1975: 09).

فالآثار الكارثية للاستعمار الفرنسي على النظام التربوي التقليدي تظهر جلية من خلال "تدمير البنيات التربوية الموجودة وتهميش اللغة العربية الفصحى، وخنق الإنتاج الثقافي الذي كان موجودا في المناطق الحضرية، وأيضا من خلال محاولة محو الذاكرة عن طريق تشتيت الأرشيف التقليدي والمخطوطات العربية والإسلامية" (Ahmed Djebbar, 2008: 170)

إلى جانب هذا الوضع الخطير، شجع المستعمر المدارس والثقافة واللغة الفرنسية بشكل منقطع النظير، محاولا بذلك فرنسة الجزائر وتبرير إلحاقها القصري والقيصري بالإمبراطورية الفرنسية، فالإحصائيات حول مستوى التعليم لدى الجزائريين والفرنسيين المعمرين تعبر عن فروق فاضحة، تبين بشكل واضح نوايا التواجد الفرنسي بالجزائر، فمن بين المجندين في صفوف الجيش الفرنسي في بداية الحرب العالمية الثانية نلاحظ 78.65% من الأميين من الجزائريين مقابل 04.47% من الأوروبيين.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

	المجندين	الأميين	%	الحاصلين على ش ت أ
الأوروبيين	4022	180	4.47	1479
الأهالي	19512	15348	78.65	غير متوفر

المصدر: الأمية في 1938 عند المجندين، كل الجزائر، الدليل الإحصائي للجزائر 1938، ص 134.

لخص السيد فرحات عباس أحد أكبر وجوه الحركة الوطنية هذا الوضع قائلا: "لا يوجد استعمار أكثر ظلما من الاستعمار الفرنسي للجزائر، لا يوجد نظام كولونيالي فكر في تدمير الشعب المغلوب بهذا القدر من الاحتقار والهمجية" (Ferhat. Abbas, 1962: 29). إذا يمكننا تلخيص المشروع

الاستعماري في الجزائر في شقين أساسيين، يتمثل الأول في تدمير كل بنيات المجتمع الأصلي التقليدية، بغرض تحول الجزائر إلى ملك شاغر سياسيا واقتصاديا وديموغرافيا وثقافيا وحتى دينيا، أما الشق الثاني فيتمثل في إعادة تأسيس المقاطعة الفرنسية المسماة بالجزائر، على صورة المقاطعات الفرنسية الأخرى، من خلال تثبيت التنظيم الإداري الفرنسي وتشجيع الاقتصاد الأوروبي وترقية الثقافة الفرنسية ورعاية التنصير.

إن ما يهمنا في هذه الورقة هو الجانب التربوي، فبعدما استتب الأمر لفرنسا، سعت إلى إقامة نظام تربوي "حديث" موجه خاصة لأبناء المعمرين، أما الأهالي فقد حاول المستعمر منذ السنوات الأولى لغزو الجزائر تأسيس مدارس فرنسية للأهالي، إلا أن الجزائريين كانوا ينظرون إلى هذه المدارس كخطر على اللغة العربية والثقافة الإسلامية، الأمر الذي جعلهم، وبإيعاز مما تبقى من النظام التربوي التقليدي، يقاطعون هذه المدارس الأمر الذي عجل بفشل المحاولة تلوى الأخرى.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

علما أن هذه المحاولات كانت في عدد منها تركز على سكان المناطق التي يسكنها الأمازيغ، لأن الفرنسيين رأوا فيهم شعبا أكثر قدرة على استيعاب الحضارة الغربية عموما والفرنسية خصوصا، بل إن المحتل قد جند آلته العلمية والبحثية من أجل إيجاد امتدادات تاريخية وطبيعية عقلانية تربط الجنس الأمازيغ بالجنس الأوروبي وتقطعه عن امتداداته العربية والإسلامية.

لقد كان من الضروري الانتظار إلى غاية ما بعد الحرب العالمية الثانية لنرى تغيرا جذريا في موقف الجزائريين من النظام التربوي الفرنسي، فمن المقاومة إلى المطالبة بفرص أكبر للتعليم والتثقيف، ومن ثمة بدأ عدد

الجزائريين المتعلمين في تزايد، حيث وصل عشية الثورة التحريرية إلى ما يقارب 15%، نسبة مرتفع إذا ما قارناها بنسبة 2% لسنة 1888.

نسبة التمدرس للأطفال الجزائريين بين 1888 و1954

1954	1930	1912	1906	1902	1888
%15	8.9	%4.7	%4.26	%3.5	%2

المصدر: - Ahmed Djebbar, "Le système éducatif algérien : miroir d'une société en crise et en mutation", In Tayeb Chenntouf (S.dir). L'Algérie face à la mondialisation. Dakar, CODESRIA, 2008, pp. 164-207, p. 172.

بالموازاة مع هذا التطور النوعي، شهد المجتمع الجزائري قفزة أخرى سيكون لها دور أساسي في تاريخ الجزائر اللاحق، تتمثل هذه القفزة في بروز التعليم الأهلي الخاص، وهو تعليم معاكس بشكل كلي للمدرسة الفرنسية، يتأسس على مبدأ "الإسلام دينيا والعربية لغتنا، والجزائر وطننا"، فإذا كانت امتدادات المدرسة الفرنسية تتواصل مع الجامعات الفرنسية في الجزائر أو في فرنسا، فإن امتدادات التعليم الأهلي الخاص كانت تتواصل مع الجامعات العربية والإسلامية التقليدية (الأزهر والزيتونة والقرويين).

لقد تشكل نتيجة هذا الحراك التاريخي والثقافي والتربوي ثلاثة أنواع من النخب، والتي سيكون لها دور محوري في الحركة الوطنية وفي حرب التحرير وفي الجزائر المستقلة:

1). النخب المفرنسة خريجة المدارس والجامعات الفرنسية، وتتكون عادة من الجزائريين غير النشيطين في الحراك الأمازيغي، والذين كانوا يريدون جزائر حديثة وفق المنهج الغربي، لأنه من وجهة نظرهم، عندما نطرح من الحضارة الغربية وحشية وهمجية الاستعمار، نحصل على حضارة حديثة وقادرة على رفع مستوى الجزائريين بدون استثناء وبدون تمييز إلى مستوى الحداثة الغربية.

2). النخب الأمازيغية خريجة المدارس الفرنسية هي الأخرى، ولكنها تزيد عن النخب المفرنسة بمطالبها لترقية الثقافة واللغة الأمازيغية، بدلا عن اللغة العربية، التي ينظر لها كلغة محتل يجب إزالتها إن عاجلا أو آجلا.

3). النخب المعربة خريجة المدارس الأهلية الخاصة والجامعات العربية التقليدية، نخب مشبعة بالفكر النهضوي الإسلامي والقومي المتأثر بمشروع الأفغاني ومحمد عبدو ورشيد رضا. وهي نخب ترى إمكانية نهضة الأمة الجزائرية من خلال الاستفادة من إيجابيات الحضارة الغربية التي تنسجم مع مقتضيات الدين الإسلامي الحنيف.

تحمل كل واحدة من هذه النخب مشروع هوية خاص بها، ومستقل عن المشروعين الآخرين بل ومناقض لهما في الكثير من التفاصيل، الأمر الذي جعل مسألة الصراع مسألة حتمية، حتى وإن نجحت نخب الحركة الوطنية بدهاء في تأخير انفجاره وبروزه إلى العلن إلى غاية نهاية القرن الماضي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهوية والنخب الجزائرية

في المستوى الثاني من التحليل، سنضطر إلى استطراد قصير نوضح من خلاله المعالم النظرية للهوية، والتي سنحتاجها لفهم مسألة الصراع الهوياتي في المدرسة الجزائرية. يمكن أن تؤخذ الهويةكفكرة تتأسس على محتوى يتعلق بماهية الإنسان، وهنا يبرز الطرح الفلسفي، ثم تتحول إلى رابطة، وفي هذه الحالة وعوض المحتوى تتأسس الهوية على حركة التشاركات والاقصاءات، أي أن هناك من أشعر أنني أشاركهم (أو أظن أني أشاركهم) في هوية ما، وهناك من أشعر بالاختلاف معهم، وهنا يبرز الطرح السيكولوجي والسيكوسوسيولوجي؛ ثم إنها ممارسة اجتماعية تقوم باستثمار المحتوى والحركة السابقين في عالم الوساطات، أي الوساطة بين الفرد والجماعة والوساطة بين الأفراد ثم الوساطة بين الجماعات، وهنا يبرز

الطرح السوسيولوجي والأنثروبولوجي؛ وهي أخيرا سياسة عندما تهدف من خلال هذه الوساطات إلى تنظيم المجتمع، فتتحول الهوية إلى مشروع أيديولوجي نهدف من ورائه إلى الوصول إلى مستوى معين من السلطة، وهنا يبرز الطرح الأيديولوجي والسياسي. فـ" الهوية (عندما تطبق على الفاعلين الاجتماعيين) هي السيرورة التي تخلق المعنى انطلاقا من معطى ثقافي أو من مجموعة منسجمة من المعطيات الثقافية، بحيث تكون لهذه المجموعة الأولوية على كل المصادر الأخرى، يمكن أن يكون لنفس الفرد أو لنفس الفاعل الاجتماعي أكثر من هوية واحدة. علما أن تعددية الهوية يمكن أن تؤدي إلى الضغوط وإلى التناقضات، سواء بالنسبة للصورة التي يحملها الفرد عن نفسه، أو بالنسبة لفعله داخل المجتمع... إن الهويات هي مصادر للمعنى للأفراد أنفسهم وبأنفسهم، فالهوية تبنى عن طريق "الشخصنة « personnalisation »" (Manuel Castells, 1999: 17)

فحتى عندما تصدر عن المؤسسات المسيطرة...فإنها لا تصبح هويات إلا عندما /أو إذا استدخلها الفاعلون الاجتماعيون وقاموا ببناء معانيهم الخاصة حول هذا الاستدخال...تبقى الهويات مصدرا للمعنى ... لأنها تستدعي إجراءات بناء شخصية وفردانية. ولنقل، حتى نكون أكثر بساطة، أن الهويات تنظم المعاني، بحيث يتأسس المعنى في هذا المستوى على مرجعيات يعترف لها بأيديولوجية محددة ويعترف لها أيضا بإمكانية توجيه باقي المعاني.

وهذا ما يعني أن الهوية ليست على حد تعبير (Dubar, C.) إلا " النتيجة الثابتة والمؤقتة، الفردية والجماعية، الذاتية والموضوعية، البيوغرافية والبنيوية لمختلف مسارات التنشئة الاجتماعية، التي تتعاون على بناء الفرد وتحدد المؤسسات "(Claude Dubar, 1998: 111)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عندما تؤخذ الهوية بهذا المعنى فإنها ترتبط بعدد من المرجعيات التي توفرها مسارات التنشئة الاجتماعية بحيث يتم تكوين الأفراد والجماعات بأشكال منسجمة مع هذه الأطر المرجعية، لكن ما يهمنا هنا، هو أنه عندما نجمع بين معنى النخب الفاعلة في المجتمع الجزائري وبين الهوية وبين اللغة والمدرسة، نجد أن اللغة والمدرسة في الجزائر قد أصبحا حلبة صراع هوياتي نشطة، أين تتصارع علنا وضمنيا، فعليا ورمزيا على الأقل ثلاثة مطالب هوياتية، فانطلاقا من عدم اقتناع كل مطلب بما يقدمه الآخر، يسعى إلى أن يتأسس هو نفسه كمطلب أسمى أحق من كل المطالب الأخرى. أي أنه يسعى إلى أن يتأسس كهوية جديدة تساءل الحقيقة الآنية على ضوء أيديولوجيته الخاصة، لأن عملية بناء الهوية تستعير "وسائلها من التاريخ والجغرافيا والبيولوجيا ومن بنيات الإنتاج وإعادة الإنتاج ومن الذاكرة الجماعية ومن الأحلام الشخصية ومن أجهزة السلطة ومن الديانات. لكن الأفراد والمجموعات الاجتماعية والمجتمعات تحول هذه الوسائل وتعيد تحديد معناها وهذا بناء على المحددات الاجتماعية والمشاريع الثقافية المتجذرة في البنيات الاجتماعية وفي إطارها الزمني – المكاني" (Manuel Castells, 1999: 18).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إذا نستطيع لحد الآن، أن نحتفظ بمعنى الهوية كبناء له فائدة استعماليه، يلخصها (Castells, M.) في ثلاثة احتمالات، فإما أن تكون "أ) الهوية المحققة للشرعية: و هي التي توفرها المؤسسات المسيرة للمجتمع من أجل بسط وعقلنة سيطرتها على الفاعلين الاجتماعيين، تقع هذه الفكرة في قلب التحليل المتعلق بالسلطة وبالسيطرة...؛" (Manuel Castells, 1999: 18) وهي هوية السلطة أو الهوية الوطنية التي من خلالها يكتسب النظام القائم شرعية وجوده، وشرعية سيطرته أو على الأقل شرعية ممارسته للسلطة على الغير،

تبنت هذه الهوية منذ الاستقلال مبدأ عروبة وإسلامية الجزائر، (وهذا ما يبرز بوضوح في كل دساتير الجزائر المستقلة، بل إن دستور 1996، الجاري العمل به حاليا، منع في المادة 178 أية مراجعة دستورية لثوابت الأمة والتي من بينها اللغة العربية كلغة وطنية ورسمية.) ومن ثمة عملت على ترميم الهوية الثقافية الجزائرية، من خلال استعادة ما خربه الاحتلال الفرنسي، فاستعادة اللغة العربية الفصحى لمكانتها بين أبنائها، كان المشروع الأول والرهان الأكبر الذي سعى أصحاب هذه الهوية إلى تجسيده في أرض الواقع، كما كانت المدرسة الوسيلة الملكية التي راهن عليها أصحاب هذا المشروع من أجل إعادة المجتمع الجزائري إلى أصوله الثقافية كما يعتقدون؛

أو "ب) الهوية – المقاومة: وهي التي تنتج من طرف الفاعلين الذين يوجدون في وضعيات متدنية أو متأثرة بمنطق الجهات المسيطرة، فمن أجل المقاومة يتخفون وراء المبادئ الغربية والمخالفة للمبادئ المميزة للجهات الغالبة في المجتمع؛.." (Manuel Castells, 1999: 18) ، وهنا ترتبط الهوية بالنخب المفرنسة، التي ظلت منذ الحركة الوطنية ومرورا بحرب التحرير ووصولا إلى الجزائر الحديثة تتعاون مع أصحاب الهوية المحققة للشرعية وفق تنازلات محسوبة انطلاقا من ظروف وحيثيات كل مرحلة. وهي بذلك هوية تقاوم الهوية الشرعية أو التي تدعي امتلاك شرعية السيطرة، تقاومها من خلال متابعة برامجها وفي الكثير من الأحيان العمل على إفشالها او تجميدها؛

أو "ج) الهوية – المشروع: تظهر عندما يقوم الفاعلون الاجتماعيون انطلاقا من المواد الثقافية التي يتوفرون عليها ببناء هوية جديدة تعيد تحديد وضعيتهم داخل المجتمع الكلي، وبنفس الفعل يقومون بتغيير البنيات الاجتماعية"(Manuel Castells, 1999: 18) ، وهي الهوية التي تتأسس كبديل يعوض الهوية الشرعية أو حتى الهوية المقاومة، وهذا ما ينسجم مع المشروع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهوياتي الوصفي، الذي يتأسس كقوة تسمو فوق المشروع الشرعي والمشروع المقاوم للهوية. يندرج تحت هذه الهوية فصيلين متناقضين، فمن جهة نجد النخب الإسلامية التي تحمل مشروع الإسلام هو الحل، والتي تعتبر نفسها منقذا للمجتمع من براثين الانحلال الخلقي الذي تسببت فيه بالبرامج التي أعدتها النخب المفرنسة المتسترة وراء النخب الوطنية المعربة التي حكمت البلاد منذ الاستقلال، تعرض هذه النخب مشروع هوية مغاير بشكل كلي للهوية المحققة للشرعية، بل إنها تعتبر أن هذه الهوية ليست إلا مواصلة طبيعية للمشروع الاستعماري، ولكن بأيد جزائرية تلقت تربيتها في المدارس الفرنسية.

أما الفصيل الثاني فيتكون من النخب الأمازيغية، والتي هي في الغالب تقدمية وعلمانية، تريد إحياء مشروع الهوية الأمازيغية، التي حسب قراءتهم دمرها المسلمون وواصل تدميرها المعربون الذين استولوا على السلطة منذ الاستقلال، فالهوية المحققة للشرعية ليست في نظرهم إلا مواصلة طبيعية للمشروع الإسلامي، لكن هذه المرة بأيد جزائرية تلقت تربيتها في الجامعات العربية التقليدية، فمن منظورهم يجب"التميز بين اللغة الأم بالمعني الذي يشير إلى أنها تعود إلى أصول الشعب، واللغة التي تم إدخالها بسبب ظروف تاريخية حتى وإن كانت قديمة"(Khalfa Mameri, 2008 : 41)

في نهاية هذا الاستطراد يجب التأكيد على العلاقة الوثيقة التي تربط بين اللغة والهوية، وهذا ما أكد عليه الكثير من المفكرين على غرار Bernard Lamizet الذي يرى أن " لغتنا تهيكل (Structure) هويتنا، بما أنها تميزنا عن من يتكلمون لغات أخرى، وبما أنها تحدد نمط انتمائنا واجتماعيتنا"(Bernard Lamizet, 2002: 5)، قد يكون هذا القانون واضحا وسهل التطبيق في المجتمعات التي تتميز بالأحادية اللغوية، إن وجدت، لكن في

مجتمع كالمجتمع الجزائري الذي تتنازع فيه عديد اللغات من أجل الهيمنة، فإن لغتنا تهيكل الصراع الهوياتي بما أنها تفرق بيننا وبين من يرفضون لغتنا.

اللغة في المدرسة الجزائرية بين الهوية المحققة للشرعية والهوية المقاومة:

لقد كان استقلال الجزائر في الخامس من شهر جويلية 1962، أي على بعد شهر من الدخول المدرسي الأول في تاريخ الجزائر المستقلة، يعتبر هذا الدخول تحديا كبيرا ومصيريا بالنسبة للدولة الناشئة، والتي كان يجب عليها أن تثبت قدرتها على تسيير شؤونها بعدما تحصلت على حق تقرير مصيرها. يزداد هذا التحدي صعوبة عندما نعلم المعطيات التالية:

ـ بالنسبة للتأطير مغادرة أكثر من 20000 (Robert Mélet, 1975: 12). معلم فرنسي الجزائر، الأمر الذي يعني تفريغا شبه كلي للمدارس العمومية من الإطارات التربوية.

ـ أكثر من 80% من الأطفال الذين هم في سن التمدرس كانوا غير مسجلين لا في المدارس العمومية ولا في المدارس الأهلية الخاصة، أصبحوا يطلبون بحقهم في التمدرس، أي قرابة المليون 1000000، طفل تضاف إلى 400000 (Robert Mélet, 1975: 12). الذين كانوا ضمن المنظومة التربوية الموروثة عن المستعمر.

ـ على مستوى الهياكل لم تترك فرنسا إلا حوالي 3050 مدرسة ابتدائية، و49 ثانوية، الأمر الذي كان يعني طاقات استيعاب جد ضعيفة مقارنة مع الطلب آنذاك.

ـ الوقت المتوفر لتحضير الدخول المدرسي لا يتعدى الشهرين.

ـ معدل أمية يصل إلى 85% (Hosna Abdelhamid, 2006: 97)

بالنظر إلى هذه المعطيات كان جل تفكير حكام الجزائر الجدد هو كيفية إقلاع السنة الدراسية، ومن ثمة كان يلزم التفكير في توفير المناصب

البيداغوجية والتأطير الكافي لتغطية الطلب الهائل على التعليم. بالعودة إلى التقسيم الهوياتي الذي عرضته أعلاه، كان أول اهتمامات الهوية المحققة للشرعية، هو تجنيد كل الوسائل الممكنة من أجل إطلاق أول سنة دراسية جزائرية. ومن ثمة تم تأجيل مسألة الهوية الوطنية وإعادة الاعتبار للغة العربية إلى حين. فمن الناحية البيداغوجية تم الحفاظ على النظام التربوي الفرنسي بدون تغيير ما عدى ما يتعلق بمحتوى بعض البرامج كالتاريخ والجغرافيا. أما من ناحية الهياكل فقد تم الاعتماد على الهياكل الموروثة عن المستعمر، إضافة إلى هياكل التعليم الأهلي الخاص، وتم اعتماد نظام الدوامين، وهذا بالإضافة إلى تضخيم عدد التلاميذ في القسم الواحد.

أما بالنسبة للتأطير تم توظيف كل من كان له تكوين باللغة الفرنسية مهما كان مستواه، لشغل مناصب ممرنين في التعليم الابتدائي لتعويض المعلمين الفرنسيين الذين هجروا المدارس الجزائرية دفعة واحدة، تسبب هذا الإجراء في تحول اللغة الفرنسية إلى "لغة أجنبية تعيش على الانطلاقة الأولى والتقليدية، حيث لم تتمكن من إيجاد المناهج المناسبة ولا حتى المدرسين المؤهلين لترقية البيداغوجية المكيفة مع الوضع الجديد للغة الفرنسية" (Robert Mélet, 1975: 28).

كما تم توظيف خريجي المدارس الأهلية الخاصة وخريجي المدارس القرآنية لتدريس اللغة العربية التي أصبحت إجبارية بمعدل 10 ساعات من مجموع 30 ساعة أسبوعية، ليتم في الدخول المدرسي الموالي تعريب السنة الأولى من التعليم الابتدائي كلية، ومن أجل توفير التأطير اللازم لتدريس اللغة العربية تم الاستنجاد بقرابة الألف معلم من الدول العربية الشقيقة (مصر والعراق وسورية)، لقد تزايد الاعتماد على المدرسين الأجانب ليصل إلى 63% من مجموع المدرسين الذين تم توظيفهم خلال المخطط الرباعي

1970- 1973 الذين بلغ عددهم 13105 مدرسا حسب ما يوضحه تقرير اليونسكو (Robert Mélet, 1975: 23) .

كان هذا الإقلاع الاضطراري إقلاعا خاطئا بكل المقاييس، كما كان السبب الأول في بداية تدهور وتدني مستوى المدرسة الجزائرية، فالمرنون الجدد لم يكن لهم أي تكوين حول الطرائق البيداغوجية ولا حول المعارف التقنية التي كان من المفروض تلقينها للتلاميذ، كقواعد اللغة والرياضيات وحتى المعطيات التاريخية. ومن ثمة أصبحوا ملزمين باستعمال ما يملكون من المعلومات التي يتيحها لهم تكوينهم وتوجهاتهم الأيديويولوجية، في هذا الوقت بالضبط بدأ فصل جديد من الصراع بين الهويات، فالمرنون المفرنسون كانوا يحاولون شد التلاميذ بما أوتوا من قوة نحو الفرنسة، أما المرنون المعربون فكانوا يحاولون شد التلاميذ بما أوتوا من قوة نحو العروبة والإسلام.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لكن توجهات النخب الحاكمة كانت قد فصلت في الأمر لصالح التعريب، حيث صرح وزير التربية الجزائري في سنة 1967 قائلا تبقى " قيمة اللغة الفرنسية كوسيلة علمية وتقنية عالمية، لكن يجب التخلص من كل أشكال التأثير (الثقافي) التي تمارسها اللغة الفرنسية (في المجتمع)" (Auguste Viatte, 1969: 130).

الأمر الذي تجسد في نفس السنة بتعريب السنة الثانية من التعليم الابتدائي، ثم ابتداء من سنة 1970 شرعت الحكومة الجزائرية في عملية تعريب شامل للتعليم الابتدائي ثم تعريب جزئي للتعليم المتوسط والتعليم الثانوي. لتأتي أمرية 1976 لتعريب التعليم الأساسي (الذي أصبح يظم التعليم الابتدائي والتعليم المتوسط)، والتعليم الثانوي بشكل كلي.

كل هذا الجهد لم يتم بالسهولة والسلاسة المنتظرة بسبب ضغط الهوية المقاومة. التي ظلت حذرة من مشروع التعريب، حيث لم تعمل على معارضته علنا، لكنها ضغطت بكل الوسائل المتاحة من أجل إبطائه أو إفشاله أو على الأقل تجميده، بدعوى التفتح على العالم وعلى العلم والتكنولوجية، والذي لا يتأتى إلا من خلال اللغات الأجنبية.

يظهر تأثير الهوية المقاومة من خلال المؤشرات التالية:

1. تردد الحكومات المتعاقبة في اعتماد وتطبيق القرارات الخاصة بالتعريب. فمن الناحية التشريعية تم اعتماد العديد من التشريعات لصالح اللغة العربية سواء في المدرسة أو في الإدارات العمومية للدولة الجزائرية، حيث يمكننا حصر القوانين التالية:

- قرار 22 ماي 1964 المتضمن تعريب الإدارة
- الأوامر رقم 66- 154 و66- 155 المتضمنة تعريب العدالة
- الأمر 26 أفريل 1968 المتضمنة إجبارية تعلم اللغة العربية بالنسبة للموظفين
- منشور وزارة الداخلية لشهر جويلية 1976 حول الإعلان وتعليق الإعلانات باللغة العربية
- القانون رقم 05- 91 المؤرخ في 16 جانفي 1991 المتضمن تعميم استعمال اللغة العربية
- الأمر رقم 96- 30 المؤرخة في 21 ديسمبر 1996 التي عدلت وأتمت بعض مواد القانون رقم 05- 91
- قرار 1992 المتضمن تجميد قانون تعميم استعمال اللغة العربية
- قرار 17 ديسمبر 1996 المتضمن رفع التجميد عن قانون تعميم استعمال اللغة العربية، قرار لم يتم البدا في تنفيذه إلا في 05 جويلية 1998

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقراءة بسيطة نلاحظ ان أكثر من 36 سنة من الاستقلال لم تكفي لاتخاذ قرار حاسم وفاصل لصالح هذا أو ذاك الاتجاه، فعندما نقوم بحوصلة ما تم تعريبه بفعل هذه القوانين سنجد أن ما عدى وزارة العدل ووزارة الشؤون الدينية والأوقاف ووزارة التربية الوطنية (التي تظم التعليم الابتدائي والتعليم المتوسط والتعليم الثانوي)تبقى باقي الوزارات تقريبا بعيدة عن التعريب.

لقد خلق هذا التفاوت والتردد في مسيرة التعريب مشكلة أخرى، إذ بعد استكمال التعريب في قطاع التربية، أصبح كل خريجي المنظومة التربوية معربين، في حين أن القطاعات المستقبلة لهم كيد عاملة أو كطلبة لمواصلة دراساتهم، لم تكن معربة بعد. ومن ثمة أصبح خريجو قطاع التربية محكوم عليهم إما بالفشل أو ببذل جهد إضافي لتعلم اللغة الفرنسية من أجل مواصلة التعليم أو النجاح في منصب العمل. بالفعل يبين سبر الآراء الذي أقامته مؤسسة ECOtechnics أن 40% (Said Ighilahriz,) من الأولياء يوفرون لأبنائهم دروسا خصوصية في مادة اللغة الفرنسية، حيث جاءت مادة اللغة الفرنسية في المرتبة الثانية بعد الرياضيات وقبل الفيزياء واللغة العربية. لقد نتج عن هذا الوضع فشل أكثر من 80% من طلبة السنة الأولى جامعي للتخصصات العلمية بسبب عدم تحكم الطلبة في اللغة الفرنسية.

2 ـ التردد في المكانة الخاصة باللغة الفرنسية في المنظومة التربوية:

فمن لغة التعليم الأساسية بالنسبة لكل المنظومة التربوية في بداية الستينات من القرن الماضي، إلى مجرد مادة لا يتم تدريسها إلا ابتداء من السنة الثالثة في السبعينيات من القرن الماضي، ثم ابتداء من السنة الرابعة، مع إلغائها كلية من الامتحانات بالنسبة للمواد العلمية كالبيولوجيا في التعليم الثانوي، ثم في بداية القرن الحالي العودة إلى تدريسها ابتداء من السنة الثالثة. يعبر هذا التردد عن تذبذب موازين القوة بين الهوية المحققة للشرعية والهوية لمقاومة.

3. التردد في ترتيب اللغة الفرنسية بين اللغات الأجنبية: يدرس في الجزائر أكثر من لغة أجنبية، بحيث كانت اللغة الفرنسية في معظم الأحيان اللغة الأجنبية الأولى، بينما تصنف الإنجليزية والإسبانية والألمانية كلغة أجنبية ثانية، لكن في التسعينات من القرن الماضي دار نقاش حول مسألة ترتيب اللغات الأجنبية، وانتهى هذا النقاش بترك المسألة للأولياء ليختاروا أي اللغات تكون اللغة الأجنبية الأولى، وتم تجريب هذا الخيار لمدة سنة واحدة اختار فيها معظم الأولياء اللغة الفرنسية كلغة ثانية، ليتم التراجع عن هذه التجربة ويتم ترسيم اللغة الفرنسية كلغة أجنبية أولى.

4. في سنة 2001 اقترحت اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية تدريس المواد العلمية باللغة الفرنسية، قوبل هذا المقترح بموجة من الاحتجاجات من قبل المفكرين والسياسيين المعربين، حتى المعتدلين منهم، والذين لم يرفضوا الفكرة كلية، لكنهم رفضوا أن تكون لغة التدريس هي اللغة الفرنسية، واقترحوا بدلها اللغة الإنجليزية، انتهى الأمر في نهاية المطاف بتجاوز هذا المقترح إلى حين.

ثمان سنوات بعد هذا النقاش الحاد طرحت مؤسسة ECOtechnics لسبر الآراء سؤالا حول إمكانية تدريس المواد العلمية باللغة الفرنسية على عينة ممثلة للراشدين من المجتمع الجزائري قدرت 1243 فردا (Said Ighilahriz)، فكانت الإجابة بموافقة 59% من أفراد العينة على المقترح، مقابل 1% للغة الإنجليزية. يمكن تفسير هذا التناقض بين أفراد العينة وبين رأي المثقفين والسياسيين المعربين بالقطيعة القائمة بين المجتمع ونخبه الحاكمة والمثقفة، علما أن قبول أفراد العينة لمقترح تدريس المواد العلمية باللغة الفرنسية، لا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يعني انخراطهم في المشروع الفرنكوفوني، بل إنه موقف عقلاني وعملي خال من أي توجهات أيديولوجية يهدف إلى ضمان فرص أكبر لنجاح الأبناء في سوق العمل، الذي تمكنت اللغة الفرنسية منه بشكل كلي.

اللغة في المدرسة الجزائرية بين الهوية المحققة للشرعية والهوية المشروع:

لم يكفي المدرسة الجزائرية أن تستغرق منذ الاستقلال في صراع أيديولوجي بين أنصار اللغة العربية وأنصار اللغة الفرنسية، ليظهر وبحدة صراع جديد في نهاية القرن الماضي بين الهوية المحققة للشرعية والهوية المشروع.

الهوية المشروع التي قلنا أنها تتكون من فصيلين متناقضين في كل شيء، ما عدى في كونهما يريدان القضاء على الهوية المحققة للشرعية واستبدالها بمشروع الهوية الإسلامية للبعض أو مشروع الهوية الأمازيغية للبعض الآخر.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا تفرق الهوية المشروع بين الهوية المحققة للشرعية والهوية المقاومة، وهذا ما يفسر تناقض الانتقادات الموجهة من قبل الإسلاميين والأمازيغيين للمدرسة الجزائرية، ففي الوقت الذي يرى فيه الإسلاميون أن المدرسة الجزائرية قد خُربت بفعل الفكر الفرانكوشيوعي اللائكي، يرى الأمازيغيون أن المدرسة الجزائرية قد خُربت بفعل الفكر الإسلامي الرجعي الذي يعتقد أن تاريخ الجزائر يبدأ مع الفتح الإسلامي، متجاهلا بذلك كل الامتدادات التاريخية الماقبل إسلامية للجزائر.

تتحرك الهوية المشروع كأفراد وكمجموعات لممارسة الضغط من أجل إعادة رسم أهداف التربية الوطنية والمدرسة الجزائرية، وبالفعل تمكن الأمازيغيون بعد سنوات من النشاط والنضال من الحصول على اعتراف دستوري الأمازيغية كلغة وطنية تدرس في كل مراحل التعليم الابتدائي وفي كامل التراب الوطني، بناء على رغبة الأولياء.

مع ذلك لا يزال الضغط مستمرا من أجل أن تحصل الأمازيغية على مكانة أفضل في الخارطة اللغوية الجزائرية: فـ" ما دامت اللغة الأمازيغية لم تحصل على الاعتراف كلغة رسمية، الأمر الذي يجعلها على قدم المساواة من الناحية القانونية مع اللغة العربية، فإنه من غير المجدي الحديث عن حمايتها وترقيتها من قبل مصالح الدولة، الأمر الذي يحول دون رفعها فعليا إلى مستوى المكون الأساسي للهوية الجزائرية"(Khalfa Mameri, 2008 : 46).

فالأمازيغية التي لا ينطق بها إلا قرابة 27% من الجزائريين، بناء على إحصاءات النشطاء الأمازيغ أنفسهم، تحولت بفعل الضغط الثقافي والسياسي إلى لغة وطنية لكل الجزائريين حتى أولائك الذين لا يعرفونها، أو على حد قول Gilbert Grandguillaume "من الخطأ اعتبار اللغة الأمازيغية لغة خاصة بالمناطق الأمازيغية، فاللسانيون لاحظوا منذ زمن بعيد أن اللهجات المغاربية متأثرة بشكل كبير من الناحية اللفظية والقواعدية والسيمنتيكية باللغة البربرية"(Gilbert Grandguillaume, 2008: 54-55)

تطرح مسألة تدريس اللغة الأمازيغية في المنظومة التربوية الجزائرية مشكلة ذات امتدادات أيديولوجية تتعلق بنوع الخط الذي تكتب به هذه اللغة، حيث تطرح ثلاثة خيارات: الخيار الأول أن تكتب بحروف التفيناغ الأمازيغية الأصلية والتقليدية لكنها غير عملية؛ الخيار الثاني أن تكتب بالحروف اللاتينية، والخيار الثالث أن تكتب بالحروف العربية، يبقى الفصل بين هذه الخيارات مرتبطا بشكل وثيق بالامتدادات التي يريدها نشطاء اللغة الأمازيغية للهوية الجزائرية.

من جهتهم يضغط الإسلاميون، بالرغم من اختلافاتهم المذهبية التي تتراوح بين الإخوان المسلمين والسلفيين والصوفيين، من أجل تنفيذ قانون تعميم اللغة العربية وتعريب ما تبقى من أطوار التعليم في الجزائر، إضافة إلى سعيهم من أجل تعزيز تواجد برامج التربية الاسلامية في كل أطوار التعليم. وترقية تعليم يزيد من الروابط الاجتماعية بين الأجيال الحالية والامتدادات الإسلامية العميقة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تظهر أهداف الهوية المشروع لدى الإسلاميين المتطرفين، إذ من منطلق تقييمهم لهذه المدرسة بأنها مشبعة بالقيم الغربية عموما والفرنكوفونية خصوصا، شن الإسلاميون المتطرفون هجمة شرسة على المدرسة الجزائرية خلال التسعينات، تسببت هذه الهجمة في تعطيل العديد من المدارس الابتدائية والمتوسطة، خاصة تلك المتواجدة في المناطق النائية، كما أصدروا فتوى تحرم تعلم وتعليم اللغة الفرنسية، وهددوا (ونفذوا) بالقتل كل من لا يمتثل

لهذه الفتوى. تبين الإحصائيات أنه فيما بين 1994 و1997 قد تم حرق أو غلق 1052 مؤسسة تعليمية أو جامعية، كما تشير إحصاءات وزارة التربية أنه في سنة 1994 لوحدها قتل أو جرح أكثر من 53 تلميذا و110 طالبا جامعيا و60 أستاذا(Ahmed Djebbar, 2008: 189) كانت غالبيتهم من الفرنكوفونيين.

تبين لنا هذه الحصيلة رغبة حملة الهوية المشروع في استبدال الهوية القائمة بهوية جديدة، من خلال محاصرة وإقصاء كل مكونات المنظومة التربوية التي يفترض أنها ذات صلة بالغرب عموما وبفرنسا خصوصا، وتعويضها بالعناصر المستمدة من الدين الإسلامي الحنيف. لقد نتج عن هذه الوضعية اختلال كبير في تكوين الأطفال الجزائريين، حيث أن منع تدريس اللغة الفرنسية قد طبق فعلا في المناطق النائية، وإذا ما لاحظنا أن هذه الأزمة قد استمرت من 1992 إلى 2004، فإن الأزمة قد دامت 12 سنة، وبالنظر إلى مدة الطورين الأول والثاني من التعليم الأساسي المطبق آنذاك، أي 06 سنوات، فإن جيلين كاملين لم يتلقيا أي تكوين في أية لغة أجنبية، ومن ثمة فإن تكوينهم كان ناقصا بشكل كبير بالمقارنة مع أقرانهم في المناطق الحضرية.

خاتمة: حصيلة أدلجة اللغة والمدرسة في الجزائر

في تصريح جريء بعيد توليه السلطة في الجزائر، صرح الرئيس الراحل محمد بوضياف قائلا أن "منظومتنا التربوية منكوبة، فتصريحات الاكتفاء

الذاتي لا تكفي للتغطية على الحقائق الدراماتيكية التي يعايشها التلاميذ وأولياؤهم، ينتج نظامنا التربوي اليوم حشودا يرمى بها إلى الشارع، وينتج البطالين بدون أي تأهيل، وحاملي الشهادات البطالين،... يجب علينا تحديث مدرستنا وتسهيل انفتاحها على العلوم والتكنولوجيا...كما يجب على مدرستنا أن تتموقع بعيدا عن التطلعات السياسية والأيديولوجية" (Ahmed Djebbar, 2008: 164)

يصنف الرئيس الراحل محمد بوضياف ضمن الاتجاه الفرنكوفووني، ويعتبره الكثير من الفرنكوفونيين كطوق النجاة الأخير، الذي كان بإمكانه إعادة الجزائر إلى مساري الحداثة والتحديث الحقيقيين. لقد وضع هذا التصريح، وبالرغم من تشبعه بأفكار وطروحات أصحاب الهوية المقاومة الفرنكوشيوعية، الأصبع على الجرح، وحدد السبيل الأمثل لمعالجة الوضع، أي عزل النظام التربوي عن كل المطالب السياسية والنضالات الأيديولوجية.

بالفعل ونتيجة غرق المنظومة التربوية في صراعات أيديولوجية جد معقدة، أصبحت هذه المنظومة تقوم بكل الوظائف، إلا وظيفة نقل ونشر المعرفة، فكل اتجاه هوياتي كان يحاول ضم متعاطفين جدد إلى معسكره. والنتيجة هي ارتفاع نسب الفشل الدراسي والتسرب المدرسي، إذ تبين لنا إحصائيات ووزارة التربية (DOUMANDJI Gamra, ZIANE Saïd, 2006: 27.) كارثية الوضع، والذي لا يمكن تلخيصه إلا بعبارة الرئيس الراحل محمد بوظياف إن مدرستنا فعلا "منكوبة".

وصل تعداد التلاميذ المقصيين من النظام التربوي الجزائري إلى 400000 تلميذ في سنة 1993، أما خلال الفترة الممتدة من 1994 إلى 2000 فقد غادر المنظومة التربوية في مختلف أطوارها 2120136 طفلا في حالة شبه أمية أو في حالة أمية، أي ما نسبته 67.83%، "فمن بين 100 تلميذ مسجلين في السنة الأولى أساسي: يصل 87 تلميذ إلى السنة السابعة بمعدل تسرب يقدر بـ 13%، و40 تلميذا إلى الأولى ثانوي، أي بمعدل تسرب يقارب 60%، وينجح من بين هذه المائة 09 تلاميذ فقط في البكالوريا"(DOUMANDJI Gamra, ZIANE Saïd, 2006: 27.)، الشهادة التي تؤهلهم للجامعة.

حتى وإن كان الضعف عاما لكل المواد فإن مستوى خريجي النظام التربوي في كل مستوياته بالنسبة لمواد اللغة العربية واللغة الفرنسية على حد السواء يعتبر مقلقا، أو كما يقول العامة إن "متعلمي اليوم لا يعرفون حتى كيف يكتبون طلب توظيف"، حالة لا يمكن تشخيصها إلا بالأمية.

تتأكد أمية خريجي المنظومة التربوية الجزائرية عندما نتابع إحصاءات مصالح محو الأمية في الجزائر، حيث يبين تقرير الديوان الوطني لمحو الأمية وتعليم الكبار، أن نسبة الأميين لدى فئة الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 10 و19 سنة تقدر بـ 9.98%، أما لدى الفئة العمرية التي تتراوح بين 20 سنة و59 سنة فتصل إلى 33.53%.(Ministre de l'éducation nationale, 2008) من الناحية النظرية يفترض أن معظم المنتسبين إلى هاذين الفئتين قد تلقوا تعليما

في المنظومة التربوية الجزائرية، إذا ما اعتمدنا على النسب العالية لتمدرس الجزائريين والتي وصلت في سنة 2009 إلى 95 % (UNICEF, statistiques Algérie,). فبالإضافة إلى خاصية النكبة، تبين هذه الإحصاءات أن المنظومة التربوية الجزائرية تنتج نوعا جديدا من الأميين، إنهم الأميون الذين سبق لهم التمدرس.

أمام هذا الوضع المنكوب تبنت الحكومة الجزائرية عدة برامج إصلاحية، إضافة إلى دعم وتوسيع صلاحيات وإمكانيات الديوان الوطني لمحو الأمية وتعليم الكبار، حتى يتمكن من إنقاذ ما يمكن إنقاذه. من جهتها تحاول الحكومة الفرنسية، تحت غطاء التعاون الثقافي، إنقاذ اللغة الفرنسية من الضياع في الجزائر، حيث أنها باشرت منذ 2004 برنامجا (Robert Del Picchia, 2008-2009: 09) طموحا لإعادة فتح المدارس الفرنسية في الجزائر وتنشيط المراكز الثقافية الفرنسية التي ظلت مغلقة طيلة سنوات الأزمة، كما يسعى هذا البرنامج إلى تكوين 2000 دكتور جزائري في مختلف تخصصات اللغة الفرنسية، يكلف هذا المشروع الحكومة الفرنسية ما بين 09 و11 مليون أورو سنويا منذ 2004. تصرف على تزويد المكتبات الجامعية لأقسام اللغة الفرنسية بالمراجع الفرنسية الحديثة، وعلى منح الطلبة المتفوقين والطلبة المسجلين في المدارس الدكتورالية للغة الفرنسية.

إن المتتبع للصراع اللّغوي في الجزائر والذي تحول إلى صراع هوياتي يلاحظ أنه يكون محتدما على مستوى النخب، التي تعمل على "أَسْطَرَةِ

ثقافاتها الماضية من أجل تبرير أفعالها الحاضرة ومكانتها المستقبلية في العالم"(Paul A. Silverstein,sd: 12)، وفي نفس الوقت وبالمقابل تعمل النخب نفسها على شَيْطَنَة الآخر وثقافته من أجل تبرير الأفعال العدائية ضده. لكن عندما نتحول إلى مستوى عامة الناس، فإن الواقع يكون مختلفا بشكل جذري، حيث أن تعامل أفراد المجتمع مع المسألة اللّغوية يكون تعاملا براقماتيا يتماشى مع ما تقتضيه ظروف الحياة اليومية المعيشة، ويجسد نوعا من التعايش الإثني واللّغوي، يُحْتَرم فيه الجميع. فالحراك اللّغوي للجزائريين بين اللّغات الثلاثة يكون بحسب ما يمكن أن تقدمه لهم اللّغة من مزايا تساعدهم في دينهم ودنياهم وثقافتهم.

صنعت النخب الجزائرية الثلاثة، التي يدور حولها الحديث في هذا البحث، واقعا خاصا مؤسسا على الكثير من التخيلات والقليل من الحقيقة، وهذا ما يفسر في نظري الانفصام بين عامة أفراد المجتمع وبين النخب، أو على حد تعبير الهواري عدي وآخرون، إنه دليل على أننا أمام "مجتمع ممزق، نُخَبٌ بلا شعب، وشعب بلا نُخَبٍ" (Lahouari Addi, Zachary Lockman, Joost R. Hiltermann, (Mar. - Apr., 1992): 37). الأمر الذي جعل هذه النخب بدون قواعد شعبية وبدون أغلبية يمكن أن تجدنها بشكل فعلي في أوقات الأزمات. الأمر الذي حول هذه النخب إلى شعارات فارغة وبدون أدنى تأثير على المجتمع. وهذا ما يجعلنا نستنتج في نهاية المطاف على غرار عبد الكريم العايدي أن "أزمة الهوية التي يجري الحديث عنها كثيرا في الإنتاج

الثقافي، ترتبط أساسا بأزمة المثقفين والنخب"(Abdelkrim Elaidi,) ومن ثمة فالأولوية اليوم هي دراسة أزمة هاته النخب بدل البحث في أزمة الهوية لدى الجزائريين.

يتم بناء الهوية في المجتمع الجزائري خارج بنية الصراع التي أسهبت في شرحها طيلة هذا البحث، وبعيدا عن توقعات النخب، وخارج مجالات تغطيتها، فعندما نتابع بعض المؤشرات الخاصة بالتسرب المدرسي والأمية عند الراشدين، والتي سبق لي عرضها، يتبين لنا أمرين مهمين يثبتان رأينا، أما الأول فيتمثل في فشل النخب الثلاثة في تثبيت أي من المشاريع المقترحة، بدليل فشل المدرسة الجزائرية كما تبينه تعدادات التسرب والأمية، أما الأمر الثاني فيتمثل في عدم قدرة المجتمع على فهم ومتابعة خطابات هذه النخب، بسبب الفشل في التكوين وتفشي الأمية. ومن هنا نستنتج أن في مقابل الهويات الأيدولوجية التي تقترحها النخب الثلاثة يختار أفراد المجتمع الهوية العملية التي تسمح لهم بالانسجام مع المعطيات الظرفية التي يتعرضون لها في حياتهم اليومية، أو ما أسميته في مكان سابق بالهوية النفعية أو البراقماتية.

فحتى وإن كان التعريب أمرا حتميا إلا أن "نجاح السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر، صَعَّبَ من إيجاد مجموعة كبيرة مِن مَن يحسنون اللّغة العربية من بين الإطارات العليا للحكومة حتى تسند لهم مهمة التعريب. ومن ثمة تم تكليف المفرنسين بالتعريب، وعليه كانت المفارقة أن ظلت اللّغة الفرنسية على مدار السنين اللّغة المهيمنة لدى النخب المهنية والثقافية" (Anne

(Armitage, 2000: 42. إن هيمنة اللّغة الفرنسية على كل المجالات السوسيوثقافية الجزائرية جعلت منها الخيار الأمثل للجزائريين الذين يريدون النجاح المهني والعلمي والثقافي، ومن ثمة تولد عن هذا الحس العام أسطورة خطيرة لعبت دورا مفصليا في إفشال التعريب في الجزائر، وفي إبقاء اللّغة العربية في المستوى الثاني بعد اللّغة الفرنسية، حتى وإن منحها القرار السياسي مكانة اللّغة الوطنية والرسمية الأولى لكل الجزائريين،إنها أسطورة وعي "اللّغة العربية كلّغة للصلاة وللشعر واللّغة الفرنسية كلّغة للفعل والتنمية والحداثة"(Mohamed Benrabah, 2007: 236) ، حيث أصبح قطاع مهم من الجزائريين يتصرفون وكأن مسألة اللّغة لا تهمهم، فيقفون موقف المتفرج، وفي أحسن الأحوال موقف الاختيار بين لّغة عربية مصدرها الشرق يحتاجونها في دينهم، ولّغة فرنسية مصدرها الغرب يحتاجونها في دنياهم، إنها "علمانية لّغوية" من نوع خاص تدفع بعديد الجزائريين إلى تبني إستراتيجية براغماتية مؤسسة على الزمن العُمْري، حيث أنهم يقسمون أعمارهم إلى زمنين، زمن ما قبل التقاعد تكون فيه اللّغة الفرنسية هي الخيار، لأنها تسمح لهم بالارتقاء السوسيمهني، وزمن ما بعد التقاعد الذي يكون للّغة العربية، لأنها تسمح لهم بالارتقاء الديني.

من المفارقات المهمة التي أشار إليها أحمد معتصم في أحد المقالات الفرنكوفونية القليلة التي أنصفت اللّغة العربية، هو أن الأزمة اللّغوية الجزائرية كما تتصورها النخب المثقفة، ليست نتيجة انتشار اللّغة العربية،

أو نتيجة التعريب، الذي صاحبته الكثير من الأساطير وفي بعض الأحيان الأكاذيب، بل إن الأزمة تسببت فيها المقاومة الشرسة والسلبية Passive Resistance التي قام بها المفرنسون والنشطاء الأمازيغيون، من خلال التنسيق بين مقاطعة اللّغة العربية في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية، والتقييم السلبي للتعريب الذي يربط الخراب بالتعريب، فمقولة أو لنقل أسطورة "إذا عُربت خُربت"، تستعمل بحق أو بغير حق في كل مرة يتقابل فيها المعرب والمفرنس، الأمر الذي نتج عنه كما يرى أحمد معتصم "تسريع في الفَرْنَسَة، حيث أن المغارب لم يشهد طوال تاريخه حملة فَرْنَسَة مشابهة للفَرْنَسَة التي شهدها بعد الاستقلال..." (Ahmed Moatassime, 1996: 78)، وكانت النتيجة اليوم، وبالرغم مما يقال عن مشاريع التعريب، أن تصنف الجزائر الدولة الإفريقية رقم واحد في إنتاج واستهلاك المنتجات الثقافية باللّغة الفرنسية بالرغم من عدم انتمائها الرسمي للمنظمة الفرنكوفونية، "فقرابة نصف الإعلام الجزائري يصدر باللّغة الفرنسية، وباللّغة الفرنسية يعبر ويصرح معظم إطارات الدولة العسكريين والمدنيين، كما أن قطاعا مهما من الجزائريين لا يستعملون إلا اللّغة الفرنسية في العائلة (Lacoste Yves, 2007: 17)، نفس التشخيص يصل إليه خلفة معمري الذي يرى أن "اللّغة الفرنسية التي حكم عليها ونفذ عليها الحكم باعتبارها لّغة المستعمر، لا تزال مستعملة في معظم إدارات البلاد وحتى في الحياة اليومية" (Khalfa Mameri, 2008 : 38).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ففي الوقت الذي يعتقد فيه الجزائريون أنهم قد قادوا حربا ضروسا من أجل استعادة اللّغة العربية، يفاجئنا المجلس الأعلى للفرنكوفونية بباريس في تقرير 1993 بعدد من الإحصائيات التي تبين أنه بقدر ما كان التعريب شرسا، كانت الفَرْنَسَة أشرس منه بل وأكثر فعالية في الكثير من الأحيان،"فمن بين قرابة الـ 25 مليون نسمة يعتبر قرابة السبعة ملايين والنصف "كفرنكوفونيين حقيقيين" أي ما يعادل 30%، يضاف إليها نسبة مساوية مِن مَن يُعتبرون "فرانكوفونيين ظرفيين" من التعداد العام للسكان (أي ما مجموعه 60%، نسبة أقل ما يقال عنها أنها كبيرة بالنظر للاستثمارات التي صرفت من أجل التعريب)،من جهة أخرى كان بالجزائر بُعَيْد الاستقلال حوالي 700000 متمدرس وهي اليوم تعد أكثر من سبعة ملايين تلميذ، أي أن العدد تضاعف بعشر مرات، في نظام تعليم نصف مفرنس، وأخيرا ترتب الجزائر التي ليست عضوا في المنظمة الفرنكوفونية في المرتبة الثالثة من بين البلدان التي تجاوزت عتبة الـ 100000 متعلم للّغة الفرنسية..."(Ahmed Moatassime, 1996: 81) . أكثر من هذا لا تزال كل التخصصات العلمية التي تتيح فرصة الدخول إلى المناصب والمهن السامية كالطب والهندسة المعمارية والعلوم الدقيقة تدرس باللّغة الفرنسية ما يشكل بحق "عائقا أمام حاملي البكالوريا الجدد، الذي يجدون أنفسهم بشكل مفاجئ مرغمين على متابعة دراساتهم في تخصصات معروفة بالصعوبة، بلّغة غالبا ما لا يتحكمون فيها بالشكل الكافي"(Saddek Aouadi, 2000 : 550)

الأمر الذي يدفعهم إلى بذل جهود مضاعفة من أجل إتقان اللّغة الفرنسية، وهذا ما يعني أن إعادة إنتاج المفرنسين ونخبهم لا تزال مضمونة، وأن إمكانية محو كل ما قام به التعريب طوال سنوات التعليم الابتدائي والثانوي تبقى مفتوحة وقوية. الأمر الذي يضمن وبقوة إعادة إنتاج أسطورة "اللّغة العربية كلّغة للصلاة وللشعر واللّغة الفرنسية كلّغة للفعل والتنمية والحداثة" (Mohamed Benrabah, 2007: 236).

أمام هذا الوضع يكون من الضروري إعادة النظر في المسألة اللّغوية الجزائرية، بمراجعة الكثير من الحسابات والمواقف، ولعل أهم موقف يجب مراجعته هو النظر إلى اللغتين الفرنسية والعربية كبديلين لبعضهما البعض، أي النظر إلى انتشار إحداهما على أنه مؤشر على انقراض الأخرى بالضرورة. فالمعطيات الدولية والاجتماعية والثقافية وحتى الدينية تدعو اليوم بإلحاح إلى التعدد اللّغوي، شريطة أن لا "تعامل اللّغة الفرنسية كوسيلة استخلاف هوياتي، بل تعامل كوسيلة دعم لّغوي، كإضافة وليس كبديل" (Ahmed Moatassime, 1996: 85). حتى وإن بدا هذا المطلب طوباويا بعض الشيء على مستوى النخب، بالنظر للرهانات التي تختفي وراء المسألة اللّغوية، فإن العامة اليوم أدركوا بشكل جيد الإستراتيجية اللّغوية النفعية التي يجب تبنيها، حيث إنهم يتعاملون مع اللّغة الفرنسية ومع غيرها كوسيلة تُقدم لهم الإضافة الضرورية والنفعية في لحظات التثاقف، التي أصبحت كثيرة ومتعددة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الأخير لا يسعنا إلا القول بأن المسألة اللغوية في الجزائر لا زالت تعالج من منطلقات أيديولوجية ضيقة، وبالنظر إلى مواقف كل طرف لا أعتقد أن التغيير سيكون غدا، وستضل هذه الصراعات ترهن مستقبل أطفال الجزائر لعقود أخرى قادمة.

المراجع:

- Abdelkrim Elaidi, "Ambivalence et identité: Sur le malaise algérien", **Trickster - Rivista del Master in Studi Interculturali**, ISSN 1972-6767, N°9, il malessere dell'identita', Dipartimento di Storia, Università di Padova, Italia. **[En ligne]**, Disponible sur le site: <http://trickster.lettere.unipd.it/doku.php?id=malessere_identita:elaidi_ambivalence>, Consulter le 20/06/2011.
- Ahmed Djebbar, "Le système éducatif algérien : miroir d'une société en crise et en mutation", In Tayeb Chenntouf (S.dir). **L'Algérie face à la mondialisation**. Dakar, CODESRIA, 2008, pp. 164-207.
- Anne Armitage, "The Debate over Literary Writing in a Foreign Language: An Overview of Francophonie in The Maghreb", **Alif: Journal of Comparative Poetics**, N°. 20, The Hybrid Literary Text: Arab CreativeAuthors Writing in Foreign Languages, (2000), pp. 39-67.
- Auguste Viatte, **La francophonie**, Librairie Larousse, Paris, 1969.
- Bernard Lamizet, **Politique et identité**, Lyon, Presses Universitaires de Lyon., 2002.
- Claude Dubar, **La socialisation : Construction des identités sociales et professionnelles**, Armand Colin, Paris, 1998.
- DOUMANDJI Gamra, ZIANE Saïd, Déscolarisation, pauvreté et travail des enfants et jeunes adolescents en Algérie, **Revue des Sciences Humaines**, n°25, Juin 2006, pp.19 – 35, p27-28.
- Gilbert Grandguillaume, "Oralité et écriture : une complémentarité", Haut commissariat à l'Amazighité, ACTES des Colloques, **Identité, langue et Etat,** Bibliothèque Nationale d'Algérie, El Hamma, A lger, les 18/19 et 20 mars 2003; **La permanence de l'architecture amazighe et l'évolution des cités en Algérie**, Ghardaïa, les 21/22 et 23 avril 2003, Haut Commissariat à l'Amazighité, Alger, 2008.

- Hosna Abdelhamid, "Identité et système éducatif : D'un fait laïc à une orientation religieuse", **Revue des Sciences Humaines**, Université Mentouri de Constantine, n°25, Juin 2006, pp. 97-105, p.97.
- Khalfa Mameri, "Identité, langue et Etat : Le rapport dialectique", Haut commissariat à l'Amazighité, ACTES des Colloques, **Identité, langue et Etat,** Bibliothèque Nationale d'Algérie, El Hamma, Alger, les 18/19 et 20 mars 2003; **La permanence de l'architecture amazighe et l'évolution des cités en Algérie**, Ghardaïa, les 21/22 et 23 avril 2003, Haut Commissariat à l'Amazighité, Alger, 2008.
- Lacoste Yves, "Enjeux politiques et géopolitiques de la langue française en Algérie : contradictions coloniales et postcoloniales", **Hérodote**, 2007/3 n° 126, pp. 17-34.
- Lahouari Addi, Zachary Lockman, Joost R. Hiltermann, "Algeria's Democracy between the Islamists and the Elite", **Middle East Report,** N°. 175, Palestine and Israel in the New Order (Mar. - Apr., 1992), pp.36-38.
- Manuel Castells, **Le pouvoir de l'identité**, Trad. de l'Anglais par Paul Chemla, Fayard, Paris, 1999.
- Ministre de l'éducation nationale, office national d'alphabétisation et d'enseignement pour adultes, **Rapport national sur l'évaluation et la situation Actuelle de l'éducation et de la formation des adultes en Algérie pour préparer CONFINTEA VI**. 2008.
- Mohamed Benrabah, "Language-in-education, planning in Algeria: historical development and current issues, **Language Policy**, (2007) Vol. 6, pp. 225–252. - Ahmed Moatassime, "Islam, arabisation et francophonie, une interface possible à l'interrogation: "Algérie-France-Islam"?", **Confluences**, Automne 1996, pp. 71-87. - Khalfa Mameri, "Identité, langue et Etat : Le rapport dialectique", Haut commissariat à l'Amazighité, ACTES des Colloques, **Identité, langue et Etat,** Bibliothèque Nationale d'Algérie, El Hamma, Alger, les 18/19 et 20 mars 2003; **La permanence de l'architecture amazighe et l'évolution des cités en Algérie**, Ghardaïa, les 21/22 et 23 avril 2003, Haut Commissariat à l'Amazighité, Alger, 2008.
- Patricia Bessaoud-Alonso, **Les enjeux éducatifs des mémoires algériennes coloniales et post-coloniales Fabrication et construction des subjectivités**, Thèse de doctorat en sciences de l'éducation, Laboratoire ESSI-LES éducation, socialisation, subjectivation, institution, Université de paris 8 – Vincennes Saint-Denis, Soutenu le 08/12/2008.

- Paul A. Silverstein, **Algeria in France Transpolitics, Race, and Nation**, Indiana University Press, Bloomington.
- Robert Del Picchia, (Sénateur), **Rapport** fait au nom de la commission des affaires étrangères, de la défense et des forces armées (1) sur le projet de loi autorisant l'approbation de la convention de **partenariat** entre le Gouvernement de la République française et le Gouvernement de la **République algérienne démocratique** et **populaire**, N° 538 Sénat de la république française, Session Extraordinaire de 2008-2009, p.09.
- Robert Mélet, Rapport de recherche de l'IIPE N°11, **L'inspection des écoles primaires en Algérie**, Institut International de Planification de l'Education, UNESCO, 1975.
- Saddek Aouadi, "Le Français dans les filières scientifiques et techniques du supérieur en Algérie: la croisée deschemins", **The French Review**, Vol. 73, No. 3 (Feb., 2000), pp. 550-553.
- Said Ighilahriz, **Les algériens et l'école**, (Sondage d'opinions réalisé du 23 au 29 septembre 2009 auprès d'un échantillon de 1243 personnes de 18 ans et plus, représentatif de la population algérienne adulte), ECOtechnics, **[En ligne]**, Disponible sur le site <http://www.ecotechnics-int.com/pdf/les_algeriens_et_l_ecole.pdf>, Consulté le 01/08/2011.
- UNICEF, statistiques Algérie, [En ligne], Disponible sur le site <http://www.unicef.org/french/infobycountry/algeria_statistics.html>, Consulté le 01/08/2011.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

"مَدَد الحياة لنا فإذا انقطع انقطعت الحياة عنا":
علاقة مجلة المنار الإصلاحية بمفكري الجزائر (1898- 1935)

د. عمر رياض،

معهد دراسات الأديان،

كلية العلوم الإنسانية (جامعة لايدن - هولندا)

مقدمة

تعد مجلة المنار التي أسسها الشيخ الشامي الأصل محمد رشيد رضا (1865- 1935) في نهاية القرن التاسع عشر في القاهرة من أهم النوافذ التاريخية التي يستطيع من خلالها أي باحث أن ينظر إلى العالم الإسلامي في زمن كان تموج فيه الأحداث تحت وطأة الاستعمار. من الجدير بالذكر أن هذه المجلة قد أحدثت تأثرا ملحوظا في عقلية الفرد المسلم بصفة عامة من أقصى الشرق الأسيوي حتى بلاد المغرب العربي.ويهدف البحث الذي بين أيدينا إلى أن يؤرخ للجزائر في عيدها عن طريق قراءة تحليلية لتأثير مجلة "المنار" السياسي والثقافي بين قرائها في المربع الجزائري، وذلك من خلال تناول مجموعة هامة من الأسئلة المرتبطة بتطور مجلة المنار على مدار أكثر من ثلاثة عقود، وكيفية وصول وتفاعل رسالتها الإصلاحية مع الواقع الجزائري تحت وطأة الاستعمار الفرنسي.

ويعتمد البحث على المنهج التاريخي وتحليل الخطاب التي وجهته المنار لأهل الجزائر، ومناقشتها للأسئلة التي طرحها قراء المنار على صاحب المجلة حول الموروث الفقهي والعقدي والصوفي الذي كان يشغل الوعي الديني الجزائري بطبيعته الخاصة في تلك الفترة. إن من طبيعة مجلة المنار أنها كانت تتحاور مع الواقع السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي منوطا بالقيم المعرفية التي كانت تصنع حس العالم الإسلامي، حيث أن صاحب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المنار كان من بين علماء الإصلاح الحريصين على التفاعل مع الشعوب الإسلامية طامحا أن يصل بهذه الأفكار الاصلاحية إلى الوحدة الإسلامية في مجابهة الاستعمار على وجه، والرد على الخطاب التقليدي المتسم بالجمود، والنقد الغربي الذي كان موجها ضد بعض والمفاهيم والأفكارالإسلامية.

وُلد الشيخ محمد رشيد رضا في قرية القلمون في جبل لبنان في عام 1865م، وتوفي في القاهرة عام 1935. تلقى تعليمه الأولي بمدارس القلمون وطرابلس، ثم تتلمذ على يد الشيخ حسين الجسر (ت. 1909) في المدرسة الوطنية في طرابلس الشام. وهو في ريعان الشباب طالع رضا بعض أعداد مجلة العروة الوثقى، والتيأحدثت في عقله نقلة فكرية والتي أراد من خلالها أن يسلك طريق جمال الدين الأفغاني(ت. 1897) و تلميذه محمد عبده (ت1905). فسافر إلى القاهرة في عام 1897 وفاتح محمد عبده على ضرورة إعداد "مجلة شهرية تبحث في "فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران"، ويكون اسمها المنار، ووافق الأستاذ الإمام على المقترح وأجاز الاسم. ومنذ النشأة الأولى وحتى عام 1935 والمنار تحاول نشر رسالة تجديدية إصلاحية، تستمد شرعيتها من ثوابت القرآن والسنة وآثار السلف، جامعة بين القواعد الثابتة المشروعة والواقع الإنساني الاجتماعي المتغير عن طريق الاهتمام بالتربية والتعليم ونشر المبادئ السلفية العامة، وتوفير الحلول الشرعية العملية لإشكالات الأمة الإسلامية.

زيارة محمد عبده للجزائر (1903)

استطاعت المنار تدريجياً أن تجذب انتباه بعض القراء في الجزائر منذ بداية ظهورها عام 1898. ومن الممكن أن نقول إن مجلة المنار كانت من أهم القنوات التي نشرت فكرة الإصلاح السلفي التي وضع بذرتها في منتصف القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في الشرق الشيخان

الأفغاني وتلميذه محمد عبده مفتي الديار المصرية المذكوران آنفا. وإلى جانب هذا فمن أهم الدوافع التي أدت إلى انتشار هذا النوع من الإصلاح الديني وساعدت عليه في الجزائر - إلى جانب المجلات والجرائد والكتب التي كانت تصل إلى الجزائر من المشرق- هي زيارة الأستاذ محمد عبده إلى تونس والجزائر صيف سنة 1321هـ (1903)، والتي بدروها قد مهدت لتأثير مجلة المنار بعد وفاة محمد عبده. ومن قبل المنار فقد لعبت مجلة(العروة الوثقى) — التي أسسها الأفغاني وعبده في باريس في ثمانينيات القرن التاسع عشر - دورا هاما بين أبناء الجزائر، حيث أن الطلبة والشيوخ كانوا يطالعون مثل هذه الصحف ويتداولونها ببالغ الاهتمام. ففي الجنوب الجزائري عرف الشيخ إبراهيم مكي بقيمة كتب ابن تيمية. وكانت أعداد العروة الوثقى تصل الشيخ علي بن ناجي الزاهري، والسيد علي بن العابد السنوسي الزاهري، وكان يتداولها الطلبة من منطقة بسكرة على الزاب الغربي (طولقة) إلى الزاب الشرقي (الخنقة والبيانة). (**عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، 1968**)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكانت المنار هي إحدى المصادر الهامة التي ساعدت على نشر أفكار الشيخ محمد عبده بين طبقات المسلمين من مريديه في الجزائر وتونس. (**رشيد رضا، 2000**) وحسب المصادر المتاحة فقد شملت زيارة محمد عبده هذه للجزائر وتونس غرضا رئيسيا وهو تشجيع فكرة إصلاح التعليم في البلدين. وكان رشيد رضا من أول من عرفوا بالزيارةقبل حدوثها، فقد حدثه محمد عبده أنه نوى السفر إلى هذين القطرين في طريقه إلى أوروبا، للوقوف على أحوال المسلمين وآثار الإسلام فيهما. وحسب ما ورد في المنار إنه لما علم بعض المصريين أن الأستاذ الإمام يقصد هذه الزيارة كتب شخصان من القاهرة والإسكندرية إلى الحاكم الفرنسي العام أن محمد عبده لا يقصد بالسفر

إلى الجزائر إلا لتحريض المسلمين على الثورة والخروج على الحكومة ونبذ طاعتها. ([1]**مجلة المنار، م 6 ع 13 (سبتمبر 1903) ؛530)** وما أن وصل محمد عبده إلا وقد بثت فرنسا الجواسيس لتتبع أحواله وحركاته. **(رشيد رضا، 2000: 872)**

ومن المعروف أن الشيخ محمد عبده كان قد هجر طريق السياسة التي رسمها الأفغاني، وآثر طريق إصلاح التربية والتعليم حتى وإن دفعه هذا المشروع إلى مهادنه الساسة المستعمرين أحيانا. كانت من أهم النصائح العامة الشاملة التي كان محمد عبده قد وجهها إلى أهل العلم في القطرين هي: الجد في تحصيل العلوم الدينية والدنيوية، الجد في الكسب وعمران البلاد من الطرق المشروعة الشريفة مع الاقتصاد في المعيشة، ومسالمة الحكومة وترك الاشتغال بالسياسة،لأنه بهذه المسالمة يتم لهم كل ما يريدون من مساعدة الحكومة الفرنسية لهم. لكن الإعراض عن السياسة فلا يجب أن ينافي مخاطبة الحكومة فيما يرونه ضارًّا بهم من القوانين والمعاملات. لذا رأى عبده أنه من الخير الجمع بين الأمرين في السياسة العامة وهو أن تحسن فرنسا معاملة أهل البلاد وإعراض الجزائريين والتونسيين عن السياسة إلى العلم الذي ينير. **(مجلة المنار، م 6 ع 15 (أكتوبر 1903) ؛ 608)**

وحسب ما ورد في المنار فقد تكلم الشيخ محمد عبده مع الساسة الفرنسيين في تونس والجزائر في مساعدة المسلمين حول أفكار إصلاح التعليم، والتي تم على إثرها إنشاء مدرسة الجمعية الخلدونية في تونس. **(مجلة المنار، م 8 ع 6 (مايو 1905) ؛ 238)** لكن بعد رجوعه كان محمد عبده ما زال يؤمن أنه لا توجد أمة تبغض المسلم لأنه مسلم لا لأمر آخر إلا فرنسا، التي باعت مساجد مدينة الجزائر لأجل المصلحة العامة، ولم يبقوا إلا أربعة

جوامع. فمن وجهة نظره أن الفرنساوي لا يمدح الإسلام إلا إذا كان الغرض من هذا مصلحة فرنسا. (**رشيد رضا، 2000: 924- 925**)

وعلى إثر هذه الزيارة أصبح للشيخ محمد عبده مدرسة وتلاميذ في الجزائر لعبوا دورا هاما في إحياء النهضة الإسلامية الحديثة فيما بعد. وقد أكدت زيارة الأستاذ الإمام محمد عبده الاتصال الفكري السابق لها بالاصلاح وزادته رسوخاً، إلا أن اتصال مجلة المنار وتأثيرها على أهل الجزائر تعد امتدادا لهذا الخط بعد وفاة محمد عبده في عام 1905. ومن أهم الشيوخ الذين ساعدوا على نشر فكر هذه المدرسة الإصلاحية الأستاذ عبد الحليم بن سماية (1866 - 1933)، والشيخ محمد بن مصطفى الخوجة الجزائري (1865- 1917)، والشاعر كمال الدين مصطفى المرغناني (**مجلة المنار، م 3 ع 16 (أغسطس 1900) :377، وكذا م 4 ع 4 (إبريل 1901) : 132**)، والشيخ محمد بن القائد علي الذي كان إماماً بالجامع الجديد. وقد تعرف عبد الحليم بن سماية على الشيخ محمد عبده أثناء إقامته مع جده لأمه في القاهرة. وبعد عودته للجزائر أصبح مدرسا في الجامع الجديد في العاصمة الجزائرية فترة من الزمن، وظل متصلاً بالحركة السلفية الإصلاحية في العالم الإسلامي، مراقباً الأحداث في الصحف العربية والفرنسية. وكان يقرأ رسالة التوحيد لمحمد عبده على تلاميذه، وهو أول من درس كتابي أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، واللذان كان محط اهتمام الشيخ محمد عبده في دروسه أيضا، وفي دروسه في المدرسة الثعالبية ذل متأثرا بفكر الشيخ محمد عبده ناهجا نهجه في التدريس. ومن الجدير بالذكر أنه توفي بعد أن مرض مرضاً عقلياً لشدة ويلات الاستعمار واضطهاده إياه. (**مجلة المنار، م 3 ع 16 (أغسطس 1900) :377، وكذا م 4 ع 4 (إبريل 1901) : 132**).

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد اعتبرت المنار الشيخ سماية أشهر علماء الجزائر، والذي من شدة إعجابه بالشيخ محمد عبدهنظم فيه قصيدة تزيد على الخمسين بيتًا مدح بها الأستاذ الإمام وأرسلها إليه في القاهرة، واعتبرتها المنار آية من آيات صلة علماء الإسلام بعضهم لبعض في الأقطار المتباعدة، وشعور أهل المغرب العربي منهم بما يشعر به أهل الشرق من قدر الأستاذ الإمام. (**مجلة المنار، م 6 ع 23 (فبراير 1904) :917.**)

وكان الشيخ سماية يعتبر مجلة المنار "مَدَد الحياة"([1]**عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، 1968: 33**)، ويروي رشيد رضا أن الشيخ سماية كان قد عهد هو وزميله في الإصلاح الشيخ محمد بن مصطفى الخوجة الجزائري (1865- 1917) ذات مرة إلى الشيخ محمد عبده أن يوصي صاحب المنار بأن لا يذكر في مجلته دولة فرنسا بما يسوؤها لئلا تمنع المنار من الجزائر وقالوا له: "إننا نعده مَدَد الحياة لنا فإذا انقطع انقطعت الحياة عنا." ([1]**عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، 1968: 871**)

وحين مات الإمام محمد عبده رثاه كثير من أهل الجزائر من أمثال الخوجة والقائد بقصائد ومقولات تعبر عن أواصر التأثر بأفكاره. وقد اعتبر القائد محمد عبده فيلسوفا قد أحيى القلوب الميتة، وأنه حجة عصره ومفسر القرآن بما يعجز عنه البلغاء، و"مربي الشبان"، و"زينة المحافل"، و"سماء النوادي"، واعتبر كتابه رسالة التوحيد بمثابة "مغنطيس القلوب وكهرباءها" وأنه سهر معه الليالي حينما زار الجزائر ونال منه علوماً ما كان يسمع بها. ([1]**عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، 1968: 18**) وقد كان لوفاة محمد عبده الأثر الكبير بين هؤلاء الجزائريين حتي إن أحدهم قد بالغ في الوصف بأنه كاد يقع لبعض الجزائريين ما وقع لسيدنا عمر بن الخطاب في موت خير

الأنام حيث قال للناس: "مَن قال منكم مات محمد أضرب عنقه".([1]عبد **الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، 1968: 41)**

فرنسا والجزائر

منذ نشأتها ومجلة المنار تأخذ على عاتقها مناهضة الاستعمار ومتابعة سياسة المستعمرين الأوروبيين سلبا وإيجابا. أما بالنسبة لسياسة فرنسا في شمال المغرب فقد رأت المنار منذ البداية أنْ فرنسا قد سلكت مع المسلمين مسلك العنف والضغط حتى حالت بين المسلمين الذين تحت سيادتها وبين العلم والتعليم زاعمة أن الفرق بينها وبين إنكلترا هو أنها تحكم شعوبًا لا تزال الشهامة الإسلامية والشجاعة العربية متمكنة في نفوسها. لكن ما كانت فرنساتجهله هو أن سياسة الظلم والقوة التي نفخت روح الثورة في المصريين الجبناء فينظرها على حكامهم المسلمين يجب على فرنسا أن تخشى عاقبتها من الجزائريين والتونسيين وهم من أهل النجدة والبأس والشجاعة والشهامة. وفي المجمل في بداية الأمر فقد كان رشيد رضا على يقين من أن الفرنسيين هم أبعد الناس عن الدين وعن التعصب له، ولكنهم إذاكتبوا عن الإسلام فإنما ينفثون السموم، إلا القليل من حكمائهم الذين يكتبون للعلم لا للسياسة. فهي حكومة ليست مسيحية فتتعصب على الإسلام لأجل النصرانية، وهي تقاوم النصرانية في بلادها كماتقاوم الإسلام في مستعمراتها، ولكنها تعتقدأن المسلمين قوم حرب وأن دينهم يطالبهم بأن يكونواسائدين غيرمسودين. وانتقدت المنار سياسة فرنسا تجاه حرية العلم والدين بين أهل الجزائر، وأنه كان من الواجب عليها أن تحافظ على أحكام شريعتهم وآدابها وتساعدهم على ترقي بلادهم وعمرانها، بدلا من مهاجمتها للسيدالمهدي السنوسي وهو من رجال الدين وشيوخ الطريق، والتي رآها مسلمو الجزائر وتونس وغيرهم معذورين سياسة خرقاء وعداوة من

جانب فرنسا. (**مجلة المنار، م 5 ع 8 (يولية 1902): 292، وكذا م 5 ع 12 (سبتمبر 1902): 477)**

ولمعرفة درجة تلك الحرية الدينية فقد تابعت المنار مسألة الحج في الجزائر وتدخل الحكومة في منعه أو الإذن به. في عام 1901 أصدر والي الجزائر العام إذنه في لمسلمي الجزائر بالحج بناء على أن الحالة الصحية في النواحي الشرقية تحسنت، وأن المحجر الصحي في الطور المصرية قد بلغ درجة مرضية. وهنا ترى المنار في هذا الوقت أن هذا الفعل قد يدحض حجة الذين يقولون: إن فرنسا تمنع رعاياها ومن تحت حمايتها من المسلمين من أداء الحج بباعث التعصب الديني وقصد محو الشعائر الإسلامية. **(مجلة المنار، م 3 ع 32 (فبراير 1901) :855)** وقد اعتقد رشيد رضا أن فرنسا لم تكن مرتاحة إلى المعاملة القاسية التي كانت تعامل بها مسلمي الجزائر، ولكن حسن النية لفرنسا بدأ يظهر حينما قد زار رئيس الجمهورية الفرنسية الجزائر وبشر أهلها بأن هذه الزيارة مبدأ معاملة جديدة مرضية وبالغ في استمالة القلوب وطلبالائتلاف. **(مجلة المنار، م 6 ع 2 (مايو 1903) :78)**

وكان صاحب المنار على دراية بنقد بعض أصحاب السياسة في المغرب العربي لمثل هذه المقولات حول المعاملة الجيدة لفرنسا وأن من يقول بها لا يدري

حالالجزائرالخفية، ولايعرفحقيقتهامسلمومصروالشاموالحجازوسائرالمشرق.
لكنه أكد أنتلكالحالليستبخفية،والتي كان هو يعرفها ويشعر بشعور أهلها ولكنما كلما يعلم يكتب، وقد كتب رضا مثل هذا الكلام لمارأى من بارقة الأمل في حسن التفاهم والسعي إليه بالعمل.وقد انتقد الكثير أن تغييرالسياسة في الجزائر ما هو إلا تغيير صوري كاف في إرضاء المسلمين في تلك البلاد، وإقناعهم في سائر البلاد بأن فرنسا تريد ترقيتهم مع المحافظة

على دينهم ولغتهم. لكن صاحب المنار علل بأن ما قاله ما هو إلا نصح لفرنسا ولاعتقاده أن في مصلحتها هذه خيرٌ اللمسلمين، فلو أن فرنسا جعلت لأهل الجزائر واليًا منهم لكانت فائدتها من ذلك أكبر من فائدتهم. وقد شملت هذه المهادنة حرص رشيد رضا أن تصل المنارإلى الجزائر وأن لا تمنعها فرنسا.

وفي عام 1908 تنبهت المنار لتغريب اللغة العربية في الجزائر، وخلطها باللسان الفرنسي. وكتب اللغوي الشهير الشيخ أحمد الإسكندري (1875- 1938) مقالا عن اللغة العربية أشار فيه أن المدنية الأوروبية قد أحدثت أكثر من عشرين ألف كلمة من أسماء المصالح والإدارات والشركات والآلات واصطلاحات العلوم في اللغة العربية. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن بعض ثقات الأفاضل ممن حضر مؤتمر المستشرقين بالجزائر(1905) سمع بعض متفرنجةالجزائر يقول : ركبت أنا والمدموازيل أنتا عيفيا لشماندفير وصلنا عنابة الساعة الثامنة سوار، وسأل أحدهم في باريس أين تصلي الصلوات؟ فقال : أصلي في الشانبر سيدي ما في موسكي.(**مجلة المنار، م 10 ع 12 (فبراير 1908) :887.)**

وبعد عدة سنوات وفي معرض مقارنة سياسة فرنسا بغيرها من المستعمرين الأوروبيين الهولنديين والإنجليز وغيرهم في بلاد المسلمين يجد رشيد رضا أن فرنسا قد أخطأت في طريقة إدارتها وسياستها في الجزائر على الرغم من أن ساستها وعلماءها قد كتبوا الكثير من المصنفات والمقالات في الإسلام والمسلمين، والجزائر والجزائريين، وذكروا آراء كثيرة فيما يراه كل كاتب أمثل الطرق لحكم المسلمين، وما أفاد ذلك شيئًا. ومن أخطاء فرنسا التي أوردها رضا هي أن الفرنسيين بذلوا جهدهم في تنصير الجزائريين فلم يفلحوا، وحاولوا أن يبدلوهم بلغة العرب لغة فرنسا، فلم

ينجحوا. ويضيف رشيد رضا أن الأمر وصل إلى أن أخذت الحكومة أوقاف المسلمين ومكنت اليهود من أملاكهم فصبروا، ولذا فهي جرب تأخذهم بالسيئات؛ لتفسد بأسهم وتأمن عاقبة استعبادهم، ولم تجرب أخذهم بالحسنات التي كان هو يرجوها منذ سنين. ويؤكد رضا في هذا المقام أنه لولا طمع يهود الجزائر في مسلميها، ومساعدة يهود باريس لهم بنفوذهم فيها؛ لأصبحت الجزائر زينة بلاد المغرب في العمران، ومثابتها في العلم والعرفان. ويضيف رضا أن أكبرأخطاء فرنسا الاستعمارية في الجزائر هي محاولاتهم لإزالةصورة الحكم الإسلامي منها بإزالة معناه، وجعل الحكومة فرنسية محضة مع العلم بأن صفة الحاكمية هي أشد الصفات تمكنًا في نفوس المسلمين. وإن نزع فرنسا الحكم من أيدي الجزائريين قد أحدث في نفوسهم جرحًا لا يندمل.(**مجلة المنار، م 14 ع 5 (مايو 1911) : 347)**

وعلى ما يبدو فإن الاتصال الذي حصل بين رشيد رضا وبين علماء الجزائر وتونس قد غير من بعض آرائه التي طرحها في بداية الأمر. ومع هذا الاتصال مع "عقلائه مو أهل البصيرة فيهم" بدأ يفهم حقيقة ما يشكونه من سياسة فرنسة وإدارتها لبلادهم. ويتعجب رضا من أمر هذه الدولة التي تجمعب ين الأضداد؛ إذ هي في أوربة على ضد ما هي في أفريقية، هي في أوربة أم الحرية والمساواة وناشرة لواء العلوم والفنون وما شم مسلمو أفريقية رائحة ذلك منها في بلادهم، بل شموا عوضًا عنها رائحة خبيثة،حتى بلغ ببعض مسلمي هذه البلاد أن يبغضوا فرنسا ويتربصوا بها نوائب الدهر، وأصبحوا يتمنون لو تيسر لهم الهجرة من بلادهم على عكس مسلمي الهند أو غيرهم من مسلمي المستعمرات. إن من بين ما خدع رضا في الماضي هو ما كانت تردده جريدة الطان لسان نظارة خارجية فرنسا وتنويهها بمدرسة محمد عبده والمنار وهي التي كانت تنشر الفكرة الإصلاحية في بلاد المغرب

العربي وأن أهلها هم المعتدلون الواقفون بين العوام وزعمائهم من شيوخ الدرس والطريق الجامدين الذين لا يريدون تغيير شيء مما هم عليه وبين المتفرنجين الذين انسلخوا من دينهم وعاداتهم. ولكن مرت السنون ولم ير رشيد رضا لكلام الطان تأثيرًا بل حزب مدرسة عبده في المغرب العربي وشعارهم قراءة المنار رأوا أنفسهم تحت مراقبة الحكومة الفرنسية. **(مجلة المنار، م 16 ع 8 (اغسطس 1913) : 612)**

وكان الظهير البربري التي أصدرته فرنسا في المغرب وتنازل فيه سلطان المغرب لها عن الإشراف على الأمور الدينية لأمة البربر هي القشة التي قصمت ظهر البعير لدى رشيد رضا وموقفه تجاه فرنسا في المغرب العربي. أصبحت المنار تتفق مع الرأي السائد من أن احترام فرنس اللحرية المدعاة في الجزائر جعلت فرنسا تستولي على الأوقاف الإسلامية وأوقاف الحرمين الشريفين وتراقب الدروس الدينية في المساجد، وأن المسلم ليس له حق تمثيل بلاده في الهيئات النيابية إلا إذا قبل القانون الفرنسي حتى في الأحوال الشخصية. فهي تحرم المسلم الجزائري من كل حقوقه السياسية إلا إذا خرج عن دينه في الأحوال الشخصية من زواج وإرث، فهي تعمل على إخراج المسلم من دينه في الجزائر كما تعمل على إخراج المسلم من دينه في المغرب وإن اختلف طريق العمل في القطرين. **(مجلة المنار، م 31 ع 1 (سبتمبر 1930) : 205)** ومن هذا المنطلق يعلن رشيد رضا أن مسلمي الجزائر فتونس فمراكش قد ابتُلوا بالدولة الفرنسية، فكانت سيرتها فيهم أشد استبدادًا واستعبادًا وظلمًا من استعمار إنجلترة وهولندة أضعافًا. **(مجلة المنار، م 31 ع 3 (سبتمبر 1930) :219، وكذا م 33 ع 3 (مايو 1933) : 224)**

الإرث الصوفي والعلمي

كانت المنار من أحد منتقدي "سلطة مشيخة الطريق الروحية" في الجزائر والمتمثلة في شيوخ الطريقة التيجانية. ففي عام 1898 يكتب الشيخ رشيد رضا أنه لما رأى الفرنسيون عند تداخلهم في الجزائر نفوذ شيوخ الطريقة التيجانية الروحي وشدة خضوع العامة وتسليم الخاصة لهم، اكتنهوا شؤونهم فألفوهم قد اتخذوا هذه الرياسة وسيلة للمال والجاه. لهذا السبباعتنق بعض الفرنسيين العارفين بالعربية الإسلام، وحاولوا الامتزاج بشيوخ الطريقة وأمدوهم بالمال، ففرقوا الكثير منهم في مراتب الطريقة، كالنقابة والخلافة، وجعلوا منهم شيوخًا مسلكين، ثم صاروا أئمة وخطباء ومدرسين. ولذا قام رؤساء الطريقة التيجانية البعثات الفرنسية للصحراء الكبرى والسودان الغربي، مما مكن للفرنسيين في أرض الجزائر وتونس. ويتهم الشيخ رشيد رضا بأنهم كانوا من أكبر الخاذلين للأمير عبد القادر الجزائري في محاربته لفرنسا حين وقوفهم ضده عند حصار مدينة (عين المهدي). وقد أدت مساعدتهم –طبقا لكلامه- إلى حصول الضابط الفرنسي ليون روش الذي تظاهر بالإسلام على فتوى من علماء القيروان والتي اتخذها الفرنسيون ذريعة لإخماد حمية مسلمي الجزائر ليقعدوا عن محاربة فرنسا. وقد بلغ المنار في القاهرة أن شيوخ الطريقة في الجزائر قد أوعزوا إلى العامة أن الرضا بحكم الفرنسيس هو القضاء والاستسلام للقدر، وأن هذا من علامات قيام الساعة وانتهاء الزمان، وإنه لواقع ما له من دافع، فمعارضته عبث. حتى أنه سمع من بعضهم قالوا أن وقوع هذه المصائب على المسلمين أمور أخبر بها النبي صلى الله علية وسلم، فالسعي في إبطالها سعي في إظهار

عدم صدقه، وأن الأولياء باطلاعهم على الغيب زعموا أن هذا الأمر لابد من إنفاذه، ومن عارضه يخسر ولا يظفر. (**مجلة المنار، م 1 ع 23 (سبتمبر 1898): 423**).

وقد اهتمت المنار بالمسائل الفقهية التي طرحها علماء الجزائر وكان رشيد رضا حريصا على تقريظ كتب فقهاء وعلماء الجزائر الذين التفوا حول فكر الشيخ محمد عبده ونشروه في الجزائر، من أمثال محمد بن مصطفى الخوجة السالف الذكر، وهو أحد علماءالجزائر الذين لازموا الشيخ محمد عبده أثناء زيارته للجزائر. وكان الخوجة حريصا على مطالعة كل ما يرد من المشرق من الكتب والجرائد والمجلات، وخاصة كتب محمد عبده ورسائله والعروة الوثقى والمنار وغيرهما. كما كان الخوجة يقرأ مقالات المنار في مجالسه ويشرحها. ولما وصله تفسير سورة (والعصر) درسه عشر مرات وشرحه لمن يتتبعون حركات الإصلاح في الجزائر من العلماء والطلبة والأعيان فاستحسنها هؤلاء وأثنوا عليها وكتب بهذا إلى الشيخ محمد عبده يقول: " ... وقد اطلعت في المنار الأنور على تفسير سورة العصر بقلمكم البديع، فراقني أسلوبه الفائق العجيب، وأخذ مني منزعه العجيب بالتلابيب، فلله أنتم ولله دركم، ما أبعد غور فكركم الصائب، وغوص ذهنكم الثاقب، في استنباط دقائق المسائل، وتقرير حقائق الفضائل، ولشدة شغفي به قرأته على ملأ عظيم من العلماء والطلبة والأعيان عشر مرات في مجالس متفرقة، فاستحسنوه جدًّا، واستجزلوا فوائده وأبدوا من السرور ما لا مزيد عليه، وأثنوا على

جنابكم السامي بما أنتم أهله، ودعوا لكم من صميم الفؤاد بسعادة الدارين". (**مجلة المنار، م 6 ع 23 (فبراير 1904) :917**)

وكان الخوجة ممن اهتموا بالحياة الإجتماعية والأخلاقية وبوضع المرأة المسلمة الجزائرية. ومن الجدير بالذكر فقد عزل الخوجة من عمله لصلته بمحمد عبده وبالوطني المصري محمد فريد، لكنه ظل يلقي الدروس في جامع حي بلكورعلى نهج محمد عبده وقد قيل عنه أنه هو من أدخل مذهبه هو والأفغاني إلى الجزائر و يعرف الشرق كأنه عاشره مائة سنة. (**عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، 1968: 34**) وحتى قبل زيارة محمد عبده للجزائر فقد قرظت المنار لكتابه: إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام، والتي قال فيها بوجوب الخضوع لفرنسا وعدم الخروج عليها. ويرى رشيد رضا أن الكتاب قد حوى على مسائل نافعة تثبت أن دين الإسلام يأمر بمعاملة المخالفين في الدين بالعدل، ويحرم إيذاءهم والاعتداء عليهم وأنه شرع فيه ما يقتضي التآلف مع أهل الكتاب كحل مؤاكلتهم وتزوج المسلم منهم، إلا أنه انتقد سوء فهم بعض مقولات محمد عبده، وانتقده أشد الانتقاد قوله في نصيحته للمسلمين بعد إطراء فرنسا وذمهم ووصف سوء حالهم: "فلا ينبغي لهم الاهتمام إلا بشئونهم المعاشية"، مما اعتبره رشيد رضا وكأنه يريد أن يجعل كالبهائم. وأوضح رشيد رضا أن أستاذه قد وصف فرنسا وعدلها وحريتها وفضلها ومدنيتها، لكنه كان على يقين أن فرنسا ذاتها لا ترضى من المسلمين في الخضوع لها إلا أن يكونوا كالأنعام، لا يهتمون إلا بالأكل والشرب والمنام. ولا ينافي خضوعهم لها اشتغالهم بالعلوم والآداب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

التي يرتقون بها ارتقاءً معنويًّا ويسامون الإفرنج في الصفات البشرية. وقد عاتب رشيد رضا الشيخ خوجة أنه كان له من الأحسن أنيقتصد ويقف عند حد معلوم عند إقناع المسلمين بعدم الخروج على فرنسا وتعريض أنفسهمللهلكة من غير عبث بالأحكام، ولا تكليف للمسلمين بأن يكونوا كالأنعام.(**مجلة المنار، م 5 ع 3 (مايو 1902) : 115)**

في عام 1908 أهدى الخوجة الشيخ رشيد رضان سخة من كتابه الجديد : اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب، والذي أوضح فيه أنه ليس في الشرع أو فيما اعتاده المسلمون الأوائل ما يمنع النساء عن مخالطة بعض الرجال الأجانب عنهن بقدر الحاجة لغرض صحيح ومنفعة حقيقية دون أن يتبرجن أويقعدن معهم مقعد اللهو والطرب، وأنه قد يجر التشديد في الحجاب الزائد على أصل الشرع إلى فساد صحة المرأة؛ إذ بإلزامها القعود في مسكنها دائما تحرم من منافع الهواء والشمس وسائر أنواع الرياضة الجسمية والعقلية. وقد استحسنت المنار هذا الكتاب في مواضع مختلفة، وقد أبدى رشيد رضا هذه المرة إعجابه بصاحب الكتاب وتتبعه لحركة العلم والإصلاح الديني والاجتماعي، ونقله الدقيق في تصانيفه عن كتب الأستاذ الإمام وعن المنار.(**مجلة المنار، م 10 ع 11 (يناير 1908) : 870)**

ومع إنشاء جمعية علماء المسلمين في الجزائر في أوائل الثلاثينيات إلا ونجد رشيد رضا مباركا لها، معتبرا إياها نتاجا لنبوغ جيل في بلاد الجزائر من جماعة من العلماء المصلحين يبثون في البلاد الدعوة إلى الحق والخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بالدروس والخطابة والكتابة

في الصحف عن طريق جرائدومجلات، وعلى رأسهم عبد الحميد بن باديس منشئ مجلة الشهاب والأستاذ الشيخ الطيب العقبي والأستاذ الشيخ سعيد الزهراوي وكلهم من وجهة نظر رضا ممن جمع بين العلم والعقل والرأي وحسن البيان قولاً وكتابة وخطابة. واعتبر رضا هذه الجمعية العلمية بمثابة المرجع المعتمد لمسلمي هذا القطر في جميع أمور دينهم تزول بها هذه الفوضى الدينية العلمية التي تصدى للتعليم والإرشاد والإفتاء في ظلماتها كثير من الجاهلين والدجالين . **(مجلة المنار، م 32 ع 7 (يوليو 1932) ;554)**

المنابر الصحافية والمنشورات الجزائرية

بالرغم من النجاح الصحافي والقبول النسبي الذي حققته المنار في مجال الدعوة والإصلاح عند علماء الجزائر، إلا أن رشيد رضا في عام 1903 كان يشكو من أهل الجزائر والهند أنهم أسوأ قرائه معاملة وأكثرهم مطلاً وإهمالاً، حيث أن كثيرًا من المشتركين في هذين القطرين كان يقرأ المجلة عدة سنين ولا يخطر بباله أن يرسل إلى صاحبها شيئًا. وعلى الرغم من هذا فكان صاحب المنار يظن أن الأخلاق في الجزائر لم تفسد بالمرة وأنها هناك خير منها في تونس لأن الجزائريين أبعد من التونسيين عن الخلاعة والترف. فأهل الجزائر كانوا من قبل حكم فرنسا أقرب في حضرهم إلى البداوة ولم يؤثر حكم فرنسا في أخلاقهم إلا قوة الاعتصام برابطة الدين والجنس لأنها أزالت منهم السلطة الإسلامية. **(مجلة المنار، م 6 ع 8 (يوليو 1903) ;314.)** لكن مع مرور الأعوام إلا وتحسنت أحوال أهل الجزائر في الوفاء بدفع الاشتراك، ففي خاتمة

السنة الثانية عشرة اعتبر رشيد رضا أهل الجزائر في الذروة العليا من الوفاء مع المشتركين من الجزيرة العربية وجاوة وسنغافورة والمغرب الأقصى. (**مجلة المنار، م 12 ع 12 (يناير 1910) :960**)

ولقد اهتمت المنار بكثير من المجلات الجزائرية التي كان يتبادلها على ما يبدو أصحابها مع رشيد رضا في القاهرة. وكانت معظم هذه المجلات والجرائد تدور في فلك أيديولوجية المنار الإصلاحية التي كانت تدعو إلى العودة إلى الإسلام السني وتحكيم الشريعة في كافة مظاهر حياة المسلمين، والوحدة الإسلامي ونشر التعليم الديني واللغة العربية وتشجيع العلوم التطبيقية والإنسانية التي يمكن أن تسهم في رقي الأمة الإسلامية ونهضتها. وأولى هذه المطبوعات الصحافية التي قرظ لها رشيد رضا كانت جريدة (المغرب)، وهيجريدة سياسة اقتصادية علمية أدبية كانت تصدر في مدينة الجزائر باللغة العربية مرتين في الأسبوع وصاحب امتيازها كان موسيو بيير فونطانا، والتي كانت على قبح ورقها وسوء طبعها إلا أن المنار كانت تراها نافعة للجزائريين المحرومين من الصحف الوطنية العربية التي تعرّفهم بعض أحوال العالم وشؤون الاجتماع. (**مجلة المنار، م 6 ع 4 (مايو 1903) : 140**.)

ومن بين المجلات والجرائد نجد في المنار مجلة (الإحياء)، والتي على الرغم من أنه لم يكتب عليها اسم منشئها، ولا مديرها، ولا محررها إلا أن رشيد رضا قد سر بصدورها وأن مثل هذه الجرائد تشهد أن حكومة الجزائر لا تضرب بين مسلمي الجزائر وبين العلم والدين حجبًا لا تخرق. (**مجلة المنار، م 10 ع 1 (مارس 1907) : 61**.) وعبر رشيد رضا عن فرحه

بصدور الجريدة الأسبوعية (كوكب أفريقية)، وهي أول الجرائد الجزائرية، والتي كانت تصدركجريدة أسبوعية سياسية أدبية علمية، فلاحية تجارية صناعية، تصدر كل يوم جمعة لمدير تحريرها السيد محمود كحول (1870- 1936). فمثل هذه الأخبار كانت تبعث في رشيد رضا أمل الإصلاح في البلاد لأن مسلمي الجزائر كانوا محرومين من الصحافة لعقود طويلة. **(مجلة المنار، م 10 ع 4 (يونية 1907) : 291.)** ومن بين المطبوعات التي نالت اهتمام المنار (التقويم الجزائري) الذي كان يصدره الشيخ محمود كحول والمستعرب بوديلوي ناظر صفافي الحروف العربية في مطبعة فونطانا الأخوين في الجزائر. والتقويم هو عبارة عن حوليات تشمل معلومات عن الجزائر في مختلف الميادين الصحية والزراعية والجغرافية، ومناسك الحج وأهم الحوادث والنبذ الأدبية مع صور مشاهير رجال القطر الجزائري. **(مجلة المنار، م 16 ع 10 (سبتمبر 1913) : 789.)**

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد نشرت مطبعة المنار كتاب (الإسلام الصحيح) الذي ألفه الشيخ سعيد بن محمد الشريف أبو يعلى الزواوي الجزائري (1862- 1952) الإمام الخطيب بجامع سيدي رمضان بمدينة الجزائر، والذي كان من أوائل أتباع المنار الذين ساعدوا على انتشار أفكار صاحبها الإصلاحية. والكتاب قد طبع بمطبعة المنار في القاهرة على نفقة الحاج محمد المانصالي من كبار تجار الجزائر ووجهائها وصديق المؤلف وأحد قدماء قراء مجلة المنار في الجزائر. وقد تناول الزواوي أمور النهضة الإسلامية في الجزائر ومقاومة أهل العلم لخرافات أهل الطريق ودجلهم والتقاليد المبتدعة والتي تمت عن طريق إنشاء صحف مخصوصة قامت بمناوأة بعض

الصحف التي كانت تثني على بعض رجال الصوفية ومشايخ الطرق وأصحاب الزوايا المعروفة. والذي دفع رشيد رضا إلى طباعة الكتاب في مطبعته في القاهرة هو أن صاحب هذا الكتاب والذي رآه أنه من أنصار الإصلاح الإسلامي المعتدلين قد وقف موقفًا وسطًا بين المختلفين بنشر كتاب في التعريف بالإسلام أصوله وفروع عبادته وآدابه، مع ميل ظاهر لتأييد ما كان عليه السلف الصالح بعبارات لطيفة. **(مجلة المنار، م 29 ع 6 (أكتوبر 1928) : 475)** وقرظت المنار لكتاب آخر مماثل طبع في المطبعة الأهلية بالجزائر تحت عنوان: كتاب إرشاد الخواص والعوام لفعل الواجب وترك الحرام، السيد محمد بن عبد الله ملين من علماء الجزائر ذكر فيه المؤلف 31 معصية وزهاء ستين طاعة أو أكثر. **(مجلة المنار، م 29 ع 6 (أكتوبر 1928) : 475)**

وبالطبع لم تنس المنار صحيفة الشهاب والتي كانت بالنسبة لرشيد رضا من أهم الصحف الإسلامية العربية الإصلاحية التي كانت تحيي مذهب السلف التي كانت تؤدي واجب النصح للأمة، والخدمة للملة في زمن فسدت فيه أكثر الصحف العربية والشرقية بافتتانها بدعاية التجديد الإلحادي وحرية الإباحة والتفرنج المقطع للروابط الملية والقومية **(مجلة المنار، م 29 ع 10 (إبريل 1929) : 794.)**

فتاوى المنار في الجزائر

تشتهر مجلة المنار بفتاوى مؤسسها والذي كان يهتم بالأسئلة والاستفسارات التي وردت إلى المنار من كافة أنحاء العالم. أما الأسئلة التي وردت للمنار من الجزائر نجد أنها زاوجت في مجملها بين مقاصد

الشريعة الإسلامية والقضايا المعاصرة في مجال العبادات والمعاملات، والمسائل الطارئة بفعل إفرازات الحداثة الأوروبية.وفتاوى المنار كغيرها ليست مصدرا لاستخلاص الأحكام الدينية فحسب، بل تعد معينا هاما لنا أن نعرف ونستشف من خلالها الوضع الاجتماعي المنوط بتلك الأسئلة الدينية في كل عصر، والتي تعكس حالة المستفتي وكيفية محاولاته في الجمع بين حاجاته الاجتماعية والسياسية والأحكام الشرعية الطارئة.

ومن خلال دراسة هذه الفتاوى والأجوبة التي قدمها صاحب المنار لأهل الجزائر في تلك الفترة الهامة نجد أنه كان يعتني في تقرير الحكم عنايةً كبيرة بالنصوص والمرويات والأسانيد حسب ما ورد في آثار السلف. شملت الفتاوى الأولي للمنار عن أهل الجزائر قضايا متنوعة تعكس طبيعة المجتمع التقليدية مثل حلق اللحية، والدليل على على وجود الجن. وردا على السؤال الأخير يرى رشيد رضا أن وجود أي شيء من الموجدات لا يعرف بالأدلة العقلية وإنما يعرف بالحس أو بالخبر الصادق، فإننا نعتقد بوجود كثير من الحيوانات والنباتات والمعادن ولم نرها. أما العقل فإنه يدلنا مع الاختبار بأن في هذا الكون موجودات كثيرة لا نعرفها. والجن عالم خفي أو غيبي أخبرنا بوجوده الأنبياء المؤيدون من خالق الكون بالوحي والإلهام فوجب التصديق بذلك. ويتفق رشيد رضا مع شيخه محمد عبده في أن نوعا من الجن هذه الأحياء الصغيرة التي لا ترى إلا بالنظارات المكبرة كالميكروب. (**،مجلة المنار، م 6 ع 7 (يونية 1903) :266.**)

وقد وردت أسئلة أخرى من الجزائر عن تقبيل أيدي العلماء، ونذر الذبائح على أضرحة الأولياء والتوسل بهم. وتأتي هذه الأسئلة الأخيرة من

شخص يدعى السيد محمد بن يحيى الصقلي الحسيني، وهو مغربي الأصل كان من ساكني الجزائر في تلك الفترة على ما يبدو، والذي كان مطلعا على مباحث المجلة في العلوم الدينية. وردا على هذا يرى الشيخ رشيد رضا أنه إذا اعتقد العوام أن تقبيل أيدي العلماء من الواجبات الدينية كان تقبيلها معصية يجب نهيهم عنها، ويحرم على العلماء تمكينهم منها. وأن الذبح على القبور بدعة أخذها بعض المسلمين عن أهل الكتاب وهؤلاء أخذوها عن الوثنيين. **(مجلة المنار، م 8 ع 5 (مايو 1905) :191.)** وفي نفس السنة أرسل سائل آخر من الجزائر أحب أن يرمز إلى اسمه بكلمة (غويشم) أسئلة حول الفتن التي حدثت بين الصحابة - رضي الله عنهم، وثبوت رمضان بقول المنجم، و صلاة النساء في المساجد حيث أن بعض وجهاء المال في بلده بات يمنع النساء من الذهاب للمسجد، ذنوب الخطيب الذي يحث على الكسل والخرافات. **(مجلة المنار، م 8 ع 17 (أكتوبر 1905) : 668.)**

ويتساءل الشيخ الزواوي السالف الذكرطالبا فتوى عن درجة حديث قراءة سورة يس على الميت، حيث أن أتباع مالك في المغرب العربي تأصلت فيهم عادة قراءة سورة يس ورفع الصوت بلا إله إلا الله خلف الجنازة بالرغم من إجماع مصنفي وشراح فقه مالك على كراهة ذلك. ورأى رشيد رضا أن حديث (اقرءوا يس عند موتاكم) ضعيف بالاتفاق، لا يُحْتَج به. **(مجلة المنار، م 33 ع 6 (أكتوبر 1933) : 429)**

وفي عام 1910 تساءلمصطفىأباجي من تلمسان – الجزائر عن حكم الشرع في تزيين شعر الرأس واللحيةمثلاالأوربيينولبس الزي الأوربي.

وكانت إجابة الشيخ رشيد رضا واضحة بأنالسنة تجيزتزيينشعرالرأسواللحيةبالمشطوالدهنوالطيب، وفي الشمائل النبوية الشريفة أحاديث في فَرْق النبي -صلى الله تعالى عليه وعلى وآله وسلم- لشعره وسد له له، فمن زيّن شعره من المسلمين فليقصد بذلك اتباعا لسنة السنية سواء وافق ما عليها لأوربيين أم خالفهم. وينصح رضا قارئيه أن لا يبالوا بأقوال الجاهلين الذين يخوضون في عرض كل مَن يفعل شيئا يوافق ما عليه الإفرنج وإن كان من المحاسن التي سبق الإسلام إلى طلبها وعلم النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح – رضي الله عنهم. فالمسلم يجب أن لا يترك محاسن دين الفطرة إذا أخذ بها غيره، بل يسر باتباع الناس لآداب دين الإسلام وفضائله، وإن لم يدينوا به. لم يكن صاحب المنار يرى أن من يقصد بتزيين شعره تقليدا للإفرنج فهو وضيع ضعيف العقل والنفس؛ لأنه مقلد لمن يراهم لخسته أشر فمن هو أكمل، والتقليد هو شأن الأطفال مع الكبار والاستقلال هو شأن العقلاء المستقلين والعاقل إنما يعمل ما يعتقد أنه الأَوْلى بالدليل العقلي في الأمور العقلية والدليل الشرعي في الأمورالشرعية وهكذا، والجاهلون يتمسكون بالعادات ويجعلونها دينًا ينكرون على مخالفهم فيها. (**مجلة المنار، م 13 ع 2 (مارس 1910) : 111**).

وأما في المسألة الثانية فيؤكد رشيد رضا أن الإسلام لم يحرم على أهله زيًّا، ويفرض عليهم زيًّا آخر بل ترك الأزياء لاختيارهم لأنه ثبت في الصحيحين: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبس الجبة الرومية من أزياء الروم والطيالسة الكسروية من أزياء المجوس ولم يقصد تقليد

القوم، وإنما جيء بذلك فلبسه، وإنما نهى عمر- رضي الله عنه – جيشه في بلاد الفرس عن زي الأعاجم لئلا يغرهم ماغنموه من اللباس النفيس فيمتعوا بنعمته ويغلب عليهم الترف فيضعفوا عن الجهاد وحفظ البلاد، ولذلك أمرهم في كتابه ذاك إلى القائد عتبة بن غرقد بأن يخشوشنوا ويتمعددوا ويداوموا على التمرن على رمي السهام ويبرزوا للشمس فقال : عليكم بالشمس فإنها حمام العرب ولهذا اختلفت أزياء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وخليفة المسلمين وأكبر أمرائهم يلبسون زي الإفرنج في هذ االعصر لاستحسانه

وفي عام 1926 تساءل نفس الشيخ الزواوي عن شخص استخف بآيات الله وكتب في الجرائد مقالا تحت عنوان (النفخ في الصور) مع الإمضاء بـ(إسرافيل)، وهل التمثيل بالنفخ في الصور وإمضاء إسرافيل بعض ما عظم الله من ملكوته؟ واستطرد السائل مشيرا إلى فتوى للشيخ محمد عليش يقول فيها : إن الشعراني نقل عن علي الخوّاص أن الأئمة المجتهدين لا يثبتون حكمًا إلا إذا شاوروا النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة، وأنهم معصومون من الخطأ، ومن أن السيوطي ذكر عن نفسه كما في ورقة بخطه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم خمسًا وسبعين مرة يقظة. ولما أنكرالزواوي ذلك وكتب فيه نقدًا في بعض الجرائد الجزائرية أنكر عليه بعض العلماء ذلك. **(مجلة المنار، م 26 ع 10 (مارس 1926) :733)**

ويعلق رضا على هذا السؤال بقوله إنه لم يطّلع على شيء مما كتب في بعض جرائد الجزائر بالعنوان والإمضاء المذكورين، حتى يعلم هل هو صريح مراد منه الاستخفاف أو الاستهزاء بالله أو بآياته، والمدار في

الحكم بالكفر في أمثال هذه الأقوال على دلالتها القطعية على الاستخفاف والاستهزاء الذي لا يصدر من مؤمن عادة أو قصده ذلك، فإذا كان الناس يفهمون من عبارات ذلك الكاتب الاستهزاء بالقيامة وملك الصور استهزاء من لا يؤمن بهما فلهم أن لا يعاملوه معاملة المؤمنين، ولكن بعد أن ينصحوا له برفق بأن يرجع عن ذلك ويتوب إلى الله منه، وأن يقبلوا قوله إذا قال أنه لا يقصد به ما فهموه من الدلالة على الاستخفاف أو الاستهزاء، ويحتجوا عليه بأن فهمهم ذلك منه كافٍ في وجوب تركه، وإن كان الناس لا يفهمون هذا مما يكتبه بل يفهمون أنه يقصد الوعظ، وبأسلوب مؤثر ينبه الأذهان فلا وجه للقول بكفره مطلقًا، وهنالك صورة ثالثة وهي أن تختلف أفهام الناس فيما ذكر، وحينئذ يتجه أن يكون ما يكتبه معصية لا كفرًا. أما دعوى التلقي عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، وما نقله الشيخ عليش عن الشعراني عن علي الخوّاص من استشارة الأئمة المجتهدين للنبي صلى الله عليه وسلم يقظة في كل حكم أثبتوه، ومن القول بعصمتهم، يراه صاحب المنار من الباطل الذي لا يقبله إلا الخرافي الجاهل، فالمسلمون قد أجمعوا على عدم عصمة العلماء المجتهدين، وصرحوا بجواز الخطأ عليهم فالمجتهدون كانوا يستنبطونالأحكام من أدلتها ويتناظرون فيها، ويرد بعضهم قول بعض بالدليل، ولم يدَّعِ أحد منهم العصمة، بل اعترفوا بأنهم يخطئون. ويؤكد رشيد رضا هنا أن من مفاسد هذه الدعوى أنها فتحت للدجالين باب الإفساد في هذا الدين، وبث العقائد الباطلة المخالفة لنصوص القرآن القطعية الدلالة والمجمع عليها في الملة، ومخالفتها للأحاديث الصحيحة

عند جميع حفاظ السنة. ومن الأمثال التي يذكرها المنار ما جاء في كتب المتصوفة كالشيخ أحمد التيجاني الذي رأى أنه أضل بطريقته الألوف والملايين من أهل إفريقية، ولا سيما الجزائر.

ومن بين الفتاوى المتأخرة أيضا سؤال يعكس بعضا من الواقع السياسي للجزائر تحت الاحتلال الفرنسي حيث سأل شخص أسمى نفسه عبد القادر الجزائري تيمنا بالاسم عن حكم "الشرع في رجل مسلم كان في أثناء الحرب العظمى متوظفًا عند دولة أوربية مسيحية إمامًا يصلي على قتلى رعاياها من المسلمين، ثم هذه الدولة المسيحية أرسلته جاسوسًا لها في بلاد إسلامية، وقد علمت دولة إسلامية بتجسسه وعزمت على إلقاء القبض عليه وشنقه، ومع الأسف قد علم بذلك وهرب إلى تراب الدولة المسيحية التي يتجسس لها، ثم بعدما قضت هذه الدولة مآربها به أرجعته لوطنه وأعطته في مستعمرتها وظيفة إمام في مسجد إسلامي جزاء لخدمته إياها وهو إلى الآن يصلي خلفه المسلمون ويُدعى مصلحًا." فهل يجب أن يقتل، وهل تجوز الصلاة خلفه؟ هل توبته (وفيها ريب) تقبل بعدما تجسس لدولة مسيحية على إخوانه المسلمين ؟ هل صلاته وصومه يكفر عنه هذه السيئات، ويعد مؤمنًا بما أُنزل على محمد صلى الله عليه وسلم؟ هل يجوز للمسلمين أن يسمعوا إرشادات خائنين مثل هذا الجاسوس التائب؟

ويصب الشيخ جام غضبه على مثل هؤلاء، وأن من يرضى لنفسه أن يكون جاسوسًا لأعداء المسلمين في حربهم لهم يبين لهم عورات المسلمين ومواضع ضعفهم وقوتهم وغير ذلك مما يُعَدُّ من أسباب فتكهم بهم وانتصارهم عليهم - لا يُعقل أن يكون مؤمنًا صادقًا.وأما توبة الجاسوس

من ذنبه، والمنافق من نفاقه، والكافر من كفره فهي صحيحة مقبولة إذا كانت توبة نصوحًا، ويترتب عليها صحة صلاته والصلاة خلفه؛ ولكن لا يجوز لمسلم أن يُقْدِم على مثل هذا التجسس طمعًا في حطام الدنيا واعتمادًا على التوبة بعد ذلك. وأما سماع المسلمين لإرشاده ونصحه بعد علمهم بما سبق من جرمه، فيتوقف على ما يظهر لهم من حاله بعد التوبة، فمن ثبت عنده صدق توبته وحسن حاله بعدم اجتراحه لما يجعله محلاً للتهمة فلا بأس بسماعه لنصحه وإرشاده فيما لا محل له فيه للشك والتهمة، ومن كان لا يزال يسيء الظن به فهو بالضرورة يعرض عن سماع نصحه، وينبغي للجمهور أن يظهروا المقت من سابق عمله فيما لا مفسدة فيه ليكون ذلك عبرة لغيره . (مجلة المنار، م 30 ع 7 (يناير 1929) : 511)

ويتساءل نفس الشخص عن حكم الشرع في جزائري مسلم صَنعته خطّاط بالعربية يخط كتب مبشري النصارى في بلاده مقابل أجر، فهل يجوز له أن يخط كتب المبشرين وهو يعلم بأنهم يريدون بها تضليل المسلمين ؟ وهل يحل له قبض هذه الأجرة أم حرام عليه؟ وحيث أن الشيخ رشيد رضا كان من أكبر مناوئي المنصرين في عصره اعتبر أن هذه الكتب التي يؤلفها وينشرها دعاة النصرانية مشتملة على أقبح الكفر بالله والشرك به والطعن على القرآن المجيد. لذا فمساعدتهم على ذلك بنسخها لهم مشاركة في نشر الكفر وهو كفر ظاهر لا يقترفه مسلم، ويعد صاحبها فاسقا لا كافرا. ويطلق رشيد رضا على مثل هؤلاء بأنه مسلم جغرافي يجهل هذا الأمر ويجب إعلامه به ودعوته إلى التوبة وترك الكسب بما هو كفر، فإن أصر على ذلك بعد العلم وقيام الحجة عليه

فيجب أن يُعامَل معاملة المرتدين بما يقدر عليه المسلمون في وطنه منها، فلا يزوجونه امرأة مؤمنة، وإذا مات فلا يصلينّ عليه أحد ولا يدفننّه في مقابر المسلمين . وإذا كان في بلده محكمة شرعية فيجب أن ترفع عليه فيها دعوى الردة من قِبَل زوجته إن كان له زوجة مسلمة فتطلب فسخ عقد الزوجية والتفريق بينها وبينه، ولكن يجب أن يُدعَى أولاً إلى التوبة باللطف والسر لئلا يكون عمله عن جهل فتأخذه العزة بالإثم ويلتحق بالكفار. **(مجلة المنار، م 31 ع 4 (أكتوبر 1930) : 278)**

خاتمة

لقد اطلعنا من خلال الصفحات السابقة فصلا مصغرا من تاريخ الجزائر كما رأته عيون مجلة المنار القاهرية في فترة هامة من تاريخ الأمة الإسلامية. وفي خاتمة هذا البحث يمكننا أن نجمل تأثير المنار الديني وتواصله الحضاري والسياسي مع بلاد الجزائر في المحاور التالية:

استطاعت مجلة المنار أن تؤكد قيما معرفية جديدة في عقلية الإصلاحيين الجزائريين والتي كان بدأها عبده أثناء زيارته عام 1903. وعلى الرغم من نصح محمد عبده لأهل الجزائر بالبعد عن السياسة، إلا أن فكره الإصلاحي السياسي والديني ظل يتردد في أوساط الجزائريين لعقود لاحقة تحت وطأة الاستعمار الفرنسي، ويمكن أن يطلق على عبده أنه الأب الروحي لحركة الإصلاح الجزائرية بلا منازع. (S. E. El-Tayeb, 1989: 258-59) ومن الملاحظ أن دائرة المنار قد شملت أسماء ما بين مشاهير الأسماء، وخطباء المساجد، حتى القراء العاديين والطلبة الذين حملوا مشعل الإصلاح الديني في الجزائر فيما بعد.

وامتدادا لهذا الخط الفكري أكد أهل الجزائر من خلال هذا المنظور تجاوبا جادا مع المنار ومن على شاكلتها من منابر الإصلاح، والتي ساعدت بشكل واضح على بزوغ فجر صحافة إسلامية في الجزائر على رأسها مجلة الشهاب لابن باديس، وشجعت مشاريع الإصلاح العلمي كجمعية علماء الجزائر و التي أسست لفكرة الإصلاح والتجديد وإحياء التراث الإسلامي القائم على ثوابت الكتاب والسنة، ومحاربة البدع والخرافات والشعوذة بين العامة، والدعوة للاجتهاد وبلورة أفكارهم التجديدية في إطار التراث الموروث، وبناء تصورات إصلاحية يمكن لها أن تصيغ مجتمعات مسلمة ذات سلوكيات ومواقف فكرية مضادةللمقلدين من المتصوفة والنصوصيين.

المراجع:

- رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام، مطبعة الفضيلة: القاهرة، 2000، الجزء الأول 1013.
- عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ، تحقيق: عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية الطبعة: الأولى (1968 ميلادية)، 4 أجزاء، ج 1، ص 25-42، متاح على: http://sh.rewayat2.com/gwame3/Web/32617/001.htm (تاريخ الاطلاع: 30 ديسمبر 2012).
- مجلة المنار
- S. E. El-Tayeb, "The Ulama and Islamic Renaissance in Algeria", *American Journal of Islamic Social Sciences*, vol.6/2 (1989), pp. 258-59.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خمسون سنة من البحث في التاريخ الوسيط بالجامعة الجزائرية (1962- 2012)

أ. د. علاوة عمارة،
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة.

بعد تأسيس الدوائر الأكاديمية الفرنسية للمؤسسات الأولى للبحث التاريخي والأثري في الجزائر المستعمرة، جاءت مرحلة الاستقلال لتنطلق من إرث غلبت عليه الصبغة الأيديولوجية في كثير من الأحيان، خصوصا فيما اصطلح عليه آنذاك بالغزوة العربية وبالقرون المظلمة. إنّ إعادة تأسيس المؤسسات الجامعية والبحثية لم تكن عملية سهلة نظرا للنقص الكبير في تعداد الباحثين الأكفاء. إنّ الباحث الجزائري اليوم مدين لكل رواد المدرسة التاريخية الجزائرية الذين انطلقوا بإمكانيات بسيطة لتكوين أجيال من الباحثين.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حضور هام للتاريخ الوسيط

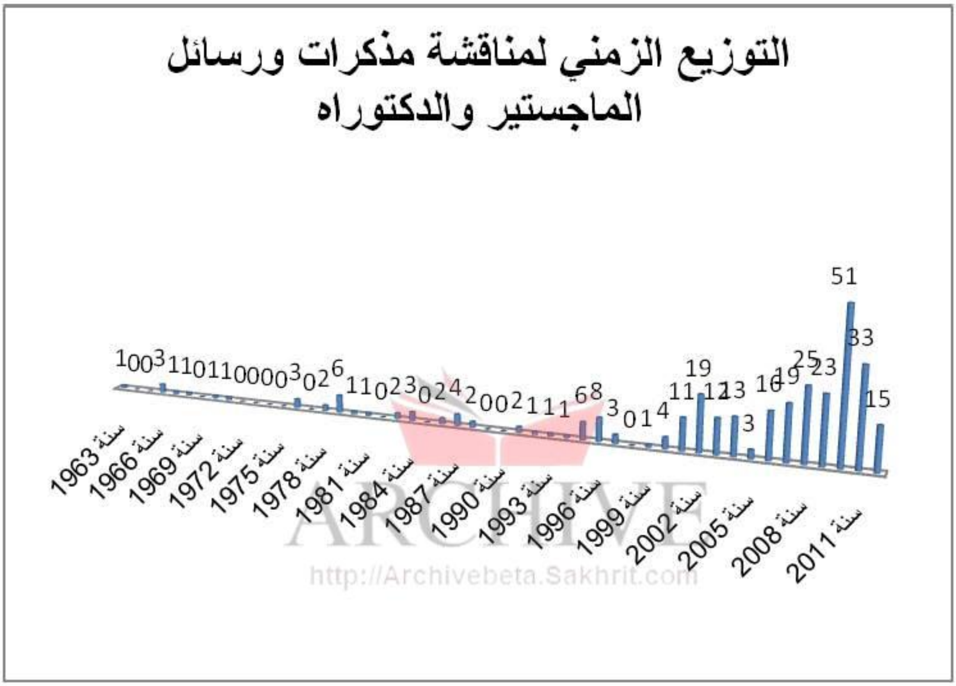
تسمح القائمة البيبليوغرافية المحصّل عليها انطلاقا من السنة الجامعية 1962- 1963 وإلى غاية جوان 2012 من التعرف على المكانة التي يحتلها التاريخ الوسيط في المنظومة البحثية الجامعية بالجزائر. فمن مجموع 1041 مذكرة ورسالة (دبلوم دراسات معمقة، ماجستير نظام قديم، ماجستير نظام جديد، دكتوراه الحلقة الثالثة، دكتوراه العلوم، دكتوراه الدولة)، كان نصيب التاريخ الوسيط 312، بمعنى الرتبة الثانية بعد التاريخ المعاصر (454)، وقبل التاريخ الحديث (148) وما قبل التاريخ والتاريخ القديم (136). إنّ هذه الأرقام تدل أولا على محورية التاريخ الوسيط

(الإسلامي أساسا) في بناء أيديولوجية الدولة الجزائرية ودور هذه الفترة في بناء الشخصية، بمعنى محورية الإسلام والعروبة في بناء الهوية الجزائرية. كما أنّ هيمنة التاريخ المعاصر تفسّر بالارتباط الوثيق بالشرعية التاريخية وبتضحيات الجزائريين في سبيل حريتهم، وبالتالي بناء نوع من الذاكرة ومحاولة فهم صيرورة الأحداث التاريخية.

لقد عرفت الدراسات الوسيطة منحى تصاعديا منذ الاستقلال. فبعد فترة محتشمة خلال الستينيات (بمعدل رسالة في السنة)، انتعش البحث في التاريخ الوسيط خلال فترة السبعينيات بعد استقرار الجيل الأول المؤسس لهذا المجال بجامعة الجزائر، خصوصا موسى لقبال (ت 2009)، عطاء الله دهينة (ت 1987)، ابراهيم فخار، رشيد بورويبة (ت 2007)، وعبد الحميد حاجيات. إنّ هذا الجيل الأول الذي تنوع تكوينه بين الجامعة المصرية والجامعة الفرنسية، رسم المعالم الأولى للبحث الجامعي من خلال تكوين مجموعة من الباحثين الأوائل بالجامعة الجزائرية على غرار محمد بن عميرة ونشيدة رافعي. ومن هنا ارتفعت وتيرة البحث كما تدل عليه الأرقام: 3 في سنة 1976، و2 في عام 1978 و6 في سنة 1979.

بنهاية السبعينيات وبداية الثمانينات، توسّع التكوين في الدراسات العليا ليشمل جامعتي وهران وقسنطينة، مما ساهم تدريجيا في رفع وتيرة المناقشات خصوصا مع إدراج إصلاحات جديدة ألغت دكتوراه الحلقة الثالثة وعوضتها بالماجستير. غير أنّ التحول الحقيقي حدث في سنوات التسعينيات خصوصا بعد مواصلة باحثين جزائريين سبق لهم الدراسة بمصر والعراق لمرحلتهم في الدكتوراه بالجامعة الجزائرية، والفتح التدريجي لأقسام التاريخ بجامعات وطنية أخرى (باتنة، سيدي بلعباس، معسكر....). لقد أعطى المرسوم التنفيذي التنفيذيرقم98- 254دفعا قويا ولو من الناحية الكمية

للدراسات في التاريخ الوسيط، حيث ارتفعت عدد المذكرات والرسائل المنجزة إلى 193.



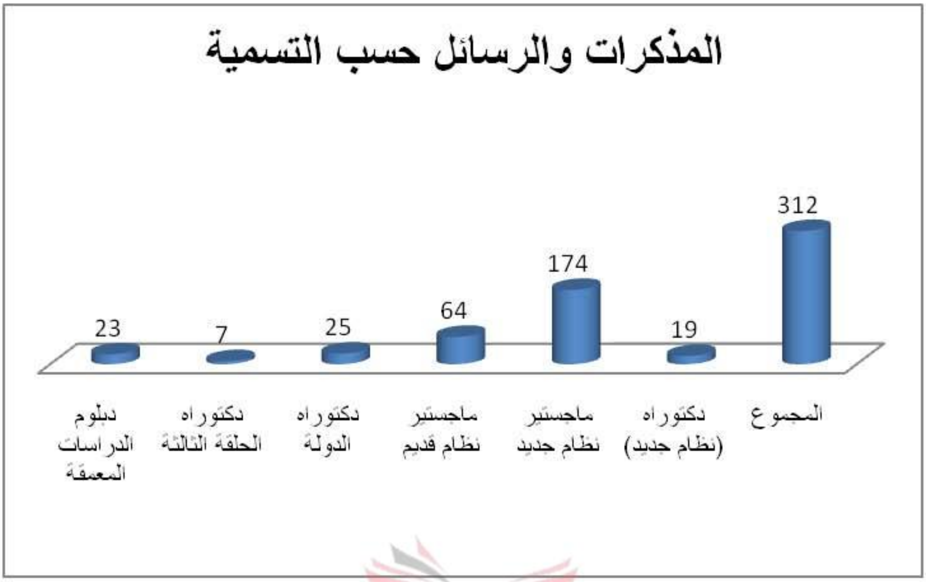
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إنّ الأرقام الحالية التي نتوفر عليها تؤكد بما لا يدعو للشك إلى مركزية مدينة الجزائر في حقل البحث الجامعي في التاريخ الوسيط بمجموع 172 مذكرة ورسالة موزعة بين جامعة الجزائر 2 (160)، والمدرسة العليا للأساتذة- الجزائر (8) وجامعة الجزائر 1 (4). وتأتي قسنطينة في المرتبة الثانية بـ 74 مذكرة ورسالة (45 بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية و29 بجامعة منتوري)، في حين تحل وهران في المرتبة الثالثة بمجموع 32 مذكرة ورسالة. وبدأت في البروز جامعات تلمسان (10) وباتنة (8) ومعسكر (5) بتكوين دفعات متخصصة في التاريخ الإسلامي الوسيط.



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

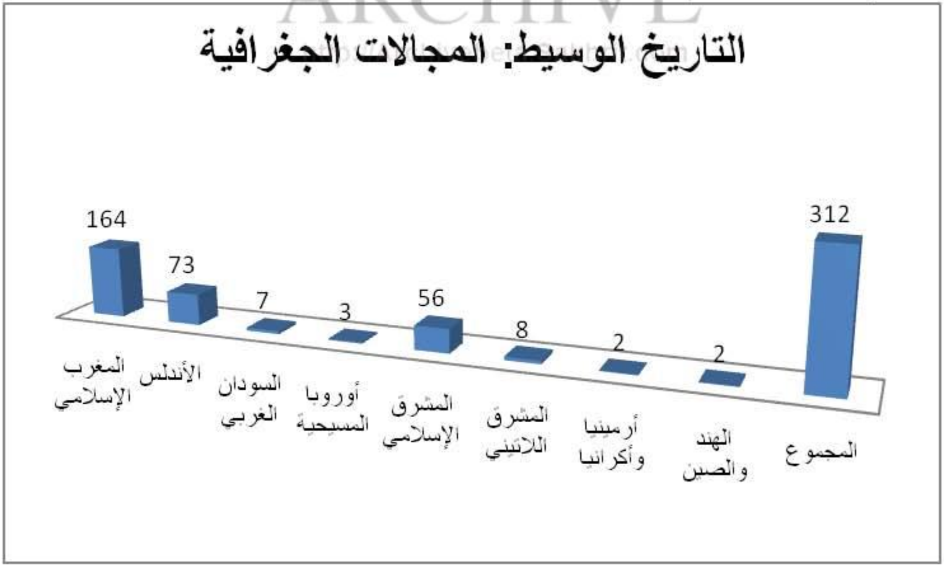
إنّ سيادة مذكرات الماجستير (نظام جديد) بحوالي 174 مقابل 25 رسالة دكتوراه دولة و19 رسالة دكتوراه علوم تعطي انطباعا بافتقاد عدد من مجالات البحث للعمق المنهجي والمعرفي المطلوب، بالنظر إلى قصر فترة تحضيرها من الناحية القانونية.





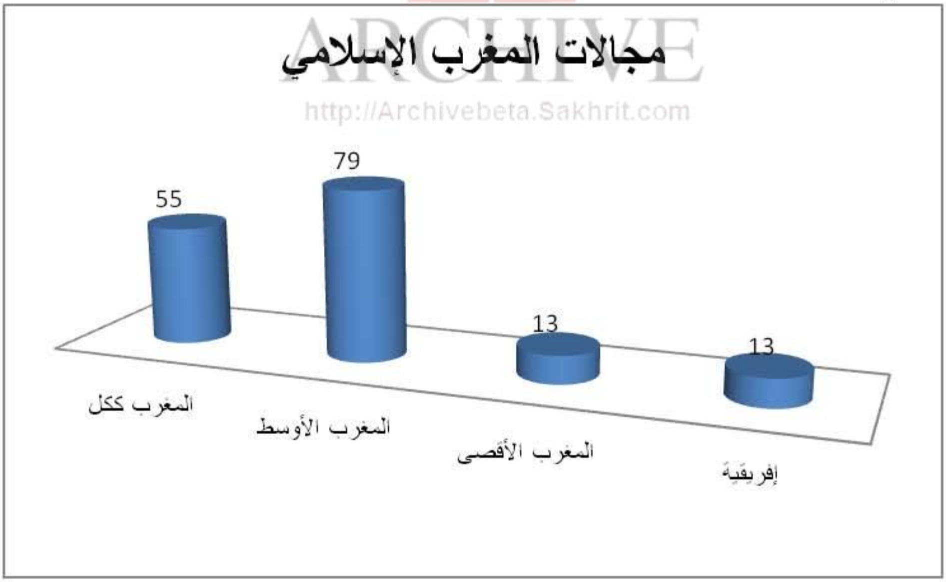
مركزية إسلامية: مكانة ضئيلة للمجالات غير الإسلامية

إنّ التاريخ الوسيط بالتقسيم الغربي والذي يبدأ عند المسلمين بالرسالة النبوية لا نجد له امتدادات عميقة خارج الفلك السياسي والثقافي للإسلام. فمن مجموع 312 مذكرة ورسالة في التاريخ الوسيط، نجد فقط ثلاثة لها علاقة مباشرة بأوروبا المسيحية وثمانية بالمشرق اللاتيني والحروب الصليبية واثنيتن بأوكرانيا وأرمينيا واثنتين بالهند والصين. في حين أن البقية تخص مباشرة المجالات الإسلامية في المغرب (164) والأندلس (73)، والمشرق الإسلامي (56) والسودان الغربي (7). إنّ هذه الوضعية تفسّر بغياب دراسات متخصصة خارج المجالات الإسلامية التقليدية بسبب عوامل لغوية ومنهجية وقلة التأطير فيها. فالجامعة الجزائرية لم تتمكن من تكوين متخصصين في المجالات الأوروبية الغربية والبيزنطية. ومعظم الذين تطرقوا إلى هذه المجالات كان من باب دراسة علاقاتها مع القوى الإسلامية دون الرجوع إلى المادة الأرشيفية في أغلب الأحيان.



مركزية مغرب أوسطية

على الرغم من قلة المادة الأرشيفية والخبرية حول المغرب الأوسط مقارنة بإفريقية والمغرب الأقصى، نجد أن المغرب الأوسط خصصت له 79 مذكرة ورسالة متجاوزا بذلك إفريقية (13) والمغرب الأقصى (13)، وهذا ما يدل بوضوح على التوجه العام في كتابة التاريخ الوطني، رغم تخصيص 55 موضوع للمغرب بصفة شاملة، بمعنى دراسة ظاهرة ما دون اللجوء إلى الحالات القطرية. إنّ التركيز على المجال القطري لم يكن خاصية جزائرية، بل إن معظم الدول المجاورة لجأت إلى هذا الخيار الذي يندرج أساسا في بناء إيديولوجية الدولة- الأمة ذات البعد العربي الإسلامي، بنوع من القطيعة المعرفية مع الماضي غير الإسلامي وبعدم التركيز على المجالات الخارجية.



http://Archivebeta.Sakhrit.com

كما أن دراسة مختلف مراحل المغرب الإسلامي لم تكن متوازنة، فقد جاءت معظم المذكرات والرسائل لتعالج المرحلة الثانية من العصر

الوسيط الإسلامي، بمعنى الفترة الممتدة من منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي إلى القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، بمجموع 114، في حين أن المرحلة الإسلامية الممتدة من الفتوحات إلى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي لم تسجل بها إلا 59 مذكرة ورسالة. إنّ هذا التوجه له ما يبرره بالنظر إلى قلة المادة الخبرية فيما يخص الفترة الأولى، وقلة النصوص غير التقليدية الاستغلال المرتبطة بها.



من الحنين الأندلسي إلى مركزية المغرب الأوسط

لم تكن المكانة التي وصلت إليها الدراسات الأندلسية بالجامعة الجزائرية وليدة البارحة، فقد تخصصت الدفعات الأولى في ذلك من خلال دراسة "علاقات المغرب الأوسط بمملكة أراغونة" لسرفاتي أو "علاقة مملكة كتالونيا بالمغرب الأقصى" لقوبولاس، وأيضا "سكان ميورقة المسلمين" لنجم

الدين قابس، بمعنى أن معظم هذه الدراسات سايرت التوجه العام الذي قاده المؤرخ الفرنسي شارل- إيمانويل ديفورك (Charles-Emmanuel Dufourcq) الذي أشرف على عدد من أبحاث ورسائل المغاربة في هذا الإطار خصوصا عطاء الله دهينة. كما نسجّل هنا أيضا التشكل التدريجي للنواة الأولى للمؤرخين الجزائريين الذين تتلمذوا على المصريين، خصوصا موسى لقبال الذين ناقش دبلوم دراسات معمقة تحت إشراف محمد عبد الهادي شعيرة الذي عمل بجامعة الجزائر ما بين 1963 و1967. فكان موضوع رسالته هو الوضعية السياسية والإدارية للمغرب الإسلامي خلال الفترة الأموية (ن، سعيدوني، 2011: 258).

تبعت هذا التوجه الأول مرحلة تفتقد لسياسة بحثية واضحة بالنظر لتنوع المواضيع، مع غلبة تلك المرتبطة بنظرية العصبية الخلدونية، على غرار رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة التي أنجزها محمد بن عميرة "دور زناتة في الحركات المذهبية في المغرب الإسلامي" (الجزائر، 1978) وبحث جودت عبد الكريم يوسف الموسوم بـ "العلاقات الخارجية للدولة الرستمية" (الجزائر، 1978). كما يمكن إضافة دبلوم الدراسات المعمقة لحساني مختار حول "الصراع بين الفاطميين والأمويين على السيادة في المغرب الإسلامي" (الجزائر، 1979).

شكّلت مرحلة الثمانينات من القرن الماضي انتعاش للدراسات الوسيطة سواء محليا من خلال انجاز عدد من البحوث الجامعية أو من خلال مواصلة طلبة جزائريين لدراساتهم في الجامعات المشرقية، مصرية وعراقية أساسا، بفضل السياسة التكوينية التي اعتمدتها الدولة الجزائرية. فعلى الصعيد المحلي الذي هو موضوع هذه الورقة، يلاحظ على وجه الخصوص التركيز التدريجي على المغرب الأوسط من خلال عدد من الرسائل منها

"التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية (ق 7- 10 هـ/13- 16م) للطيفة بشاري (الجزائر، 1987)، و"الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في عهد الإمارة الرستمية 144- 296 هـ/760- 909م" لعبد الحفيظ منصور (قسنطينة، 1984)، و"الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للدولة الزيانية 633- 962 هـ / 1235- 1554 م" لحساني مختار (الجزائر، 1987). إنّ التوجه المغرب أوسطي للبحث في التاريخ الوسيط لم يلغ كلية البعد المغاربي أو حتى الأصول المشرقية. فقد استمرت دراسة عدد من المسائل المرتبطة بالمغرب الكبير أو بالغرب الإسلامي بصفة عامة، على غرار رسائل ماجستير كل من محمد الأمين بلغيث "الرباط بالمغرب الإسلامي ودوره في عصري المرابطين والموحدين" (الجزائر، 1987)، وبوزياني الدراجي "العصبية القبلية وأثرها على النظم والعلاقات في المغرب الإسلامي (ق 6- 9 هـ)" (الجزائر، 1988)، ومحمد أرزقي فراد "القوى المغربية في الأندلس في عهد ملوك الطوائف (الجزائر، 1988). وتوسعت دائرة الاهتمام بمختلف المجالات المشرقية وغير الإسلامية بفضل جهود موسى لقبال الذي أشرف على عدد من الرسائل في هذا المجال، على غرار "دور أسرة البرامكة في تاريخ الخلافة العباسية" لبشار قويدر (الجزائر، 1986)، و"العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطالية وصقلية" لرشيد تومي (الجزائر، 1988).

مرحلة التسعينات: استمرار للسياسة البحثية السابقة

استمرت وضعية البحث في التاريخ الوسيط خلال مرحلة التسعينات بنفس الوتيرة تقريبا بتنوع في المواضيع وبتسجيل مناقشة أولى رسائل دكتوراه الدولة في الجامعة الجزائرية: "أنساب القبائل العربية المهاجرة بمواليها الى بلاد المغرب خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة" لنور الهدى بوخالفة (وهران، 1995)، و"تلمسان في العهد الزياني: دراسة اجتماعية وسياسية وعمرانية

وثقافية" لعبد العزيز فيلالي (الجزائر، 1996)، و"النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي 296- 909/362- 973" لبوبة مجاني (قسنطينة، 1996)، و"جبل نفوسة منذ الفتح الإسلامي إلى هجرة بني هلال إلى المغرب (21- 642/442- 1053)" لمسعود مزهودي (قسنطينة، 1997)، و"القضاء في المغرب الإسلامي من تمام الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية (96- 715/296- 909)" لابراهيم بحاز (قسنطينة، 1997). وعلى صعيد آخر، استمر البحث في التاريخ الوسيط بنفس وضعية المرحلة السابقة ودون رؤية واضحة ومنسجمة تأخذ في الحسبان تطور المقاربات المنهجية التي عرفها البحث التاريخي في العالمين الغربي والعربي. ومن أهم المواضيع التي مسّت بلاد المغرب، يمكن الإشارة إلى "دولة بني مدرار بسجلماسة ودور تجارة القوافل في ازدهارها الحضاري (2- 4هـ)، للحاج عيفة شنايت (الجزائر، 1991)، و"اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط الدولة الموحدية" لمسعود كواتي (الجزائر، 1992)، و"العلاقات بين الدولتين الحفصية والمملوكية 648هـ/1250- 694هـ/1296م" ليوسف عابد (قسنطينة، 1994)،و"تاريخ القضاء الإسلامي وتطوره ببلاد المغرب على عهد المرابطين والموحدين" لمحمد بن معمر (وهران، 1995)، و"نظام الضرائب في المغرب منذ عهد الولاة حتى سقوط الموحدين" لأحسن بولعسل (قسنطينة، 1995)، و"دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية والثقافية ببلاد المغرب الإسلامي (ق2- 5هـ/8- 11 م)،لاسماعيل سامعي (الجزائر، 1995)، و"قضاء الجماعة بقرطبة الإسلامية من قيام الإمارة إلى نهاية الخلافة الأموية. (138- 422 هـ/ 756- 1031 م)" لعبد السلام همال (الجزائر، 1996).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان لفتح قسم التاريخ بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة دورا ملحوظا في التوجه المشرقي للدراسات التاريخية من خلال عدد من الرسائل تركزت في مجملها على مجالات مشرقية متنوعة: "السياسة المالية للخليفة عمر بن عبد العزيز على ضوء رسائله" لمحمد فرقاني (1993)، و"الخراسانيون ودورهم السياسي والعلمي في العصر العباسي الأول" لنجيب بن خيرة (1995) و"روايات الفتنة الكبرى ورواتها في تاريخ الطبري" لابراهيم بن مهية (1996). كما تواصل الاهتمام المشرقي بجامعة الجزائر من خلال طلبة موسى لقبال، حيث تمّ تسجيل مناقشة عدة مواضيع منها:"علاقات مغول تركستان مع القوى السياسية خلال النصف الثاني من القرن السابع الهجري (13 م)، لأحمد شريفي (الجزائر، 1991)، و"نشاط هيئة الداوية في بلاد الشام وغرب أوروبا (513- 710 هـ)" لعاشوري قمعون (الجزائر، 1995)، و"العلاقات الخارجية لملكة أرمينيا الصغرى من منتصف القرن الثاني عشر الميلادي حتى سنة 1375 م" لفاطمة بوعمامة (الجزائر، 1996).

كما دخلت دراسات التاريخ الوسيط عالم التحقيق من خلال رسالة ماجستير عبد القادر بوباية الموسومة بـ "مخطوط "مفاخر البربر" دراسة وتحقيق" (وهران، 1996).

إصلاحات 1998 وأثرها في الدراسات التاريخية

مهّد المرسوم التنفيذيرقم 98- 254 ظهور مرحلة مغايرة في بداية الألفية الثالثة وذلك بتعويض رسالة ماجستير بمذكرة مكمّلة وأيضا الإنهاء التدريجي لرسائل دكتوراه الدولة وتعويضها برسالة دكتوراه علوم، وهو ما أدى إلى تضاعف عدد المذكرات والرسائل بشكل ملحوظ. فالإضافة إلى مناقشة رسائل دكتوراه دولة عديدة، أسهمت مذكرات الماجستير في معالجة

عدد معتبر من المجالات التاريخية. سأقتصر في هذا المقام التعرض إلى أهم محاور البحث التي تناولها الباحثين منذ عام 2000.

1- سيادة التاريخ الحدثي

على غرار الفترات السابقة لإصلاحات 1998، بقي حضور العامل السياسي ملحوظا في عدد كبير من المذكرات والرسائل. فبالإضافة إلى الأحداث السياسية والعسكرية، هناك توجه عام لدراسة المؤسسات السياسية والعسكرية والقضائية من خلال استغلال نصوص اخبارية متعددة. فعلى سبيل المثال لا الحصر، مذكرات ماجستير كل من جازية هرباش الموسومة بـ "ثورة بني غانية 580- 633هـ" (وهران، 2002)، وعبد الحفيظ حيمي "الوظائف المساعدة للقضاء في الأندلس خلال القرنين 3و4الهجريين- 9و10الميلاديين" (وهران، 2007)، ومصطفى بن واز "نظام القضاء عند الحفصيين : 625- 981هـ/1281- 1573م" (بشار، 2007)، ومسعود بريكة "النخبة والسلطة في بجاية الحفصية" (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2009)، وحميد زيدور "البربر بين المعارضة والموالاة في عهد الإمارة الأموية بالأندلس (138- 316هـ/756- 928م)" (وهران، 2009)،ونصيرة طيطح "الكتابة السلطانية في عصر الخلافة الأموية بالأندلس (316- 422ه/929- 1031م)" (وهران، 2009)،ونسيمة بلخير "انحراف الحملة الصليبية الرابعة وقيام الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية" (الجزائر 2، 2010)، ومصطفى بن حسين "المغول وعلاقتهم بالقوى المسيحية والإسلامية في أوروبا والمشرق. 612- 659 هـ/1215- 1260 م" (الجزائر 2، 2010)، وفريدة بورنان "دور القبائل العربية في الجيش الموحدي بالأندلس. 555- 580 هـ/1160- 1184 م" (جامعة الجزائر 2، 2010)، وفضيل بوالصوف "العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في

عصر ملوك الطوائف" (قسنطينة، 2011). ويلاحظ في هذا المحور الأول تمسك قسم التاريخ بجامعة الجزائر2 بهذا النوع من المواضيع، ليسجل بذلك استمرارية كبيرة مع مرحلتي الستينات والسبعينات من القرن الماضي.

2- التاريخ الثقافي: الذهنيات والعلوم والمعارف

بعد التاريخ السياسي وما يرتبط به، كان للتاريخ الثقافي أو العلمي مكانة هامة في الدراسات التاريخية الجامعية، خصوصا مع نشر المزيد من كتب التراجم والفهارس. فمقارنة بالفترات السابقة هناك توجه عام لدراسة الجوانب العلمية في الحضارة الإسلامية، خصوصا في المغرب الأوسط كما تدل عليه مختلف المذكرات والرسائل التي تمّت مناقشتها، والتي أشير إلى بعضها فقط: "الحياة الفكرية ببجاية من القرن السابع الهجري إلى القرن العاشر الهجري " لمحمد الشريف سيدي موسى (الجزائر، 2002)، و"الحياة العلمية في قرطبة من خلال كتاب "المقتبس" لابن حيان (377- 469 هـ/989- 1076 م)" للسعدي شخوم (الجزائر، 2002)، و"الحياة الثقافية والعلمية في الإمارة الأغلبية وعلاقاتها بالخلافة العباسية" للطيب بوسعد (الجزائر، 2003)، و"العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني (633- 962م/1235- 1554م)" لعبد القادر بوحسون (وهران، 2008)، و"الإسهام الفكري للبربر بالأندلس من العهد العامري إلي نهاية الوجود المرابطي (371- 539هـ/981- 1148م)لحاج عبد القادر يخلف (وهران، 2009) و"الحياة العلمية والفكرية ببجاية خلال القرن 7 هـ/13م من خلال كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس أحمد الغبريني (ت 704 هـ/1304م)" للسعيد عقبة (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2009)،و"الحياة الثقافية في المغرب الأوسط خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي" لعباس قويدر

(سيدي بلعباس، 2010)، و"الحياة الثقافية في المغرب الأوسط خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي" لبلخير لبديري (سيدي بلعباس، 2010)، و"الحركة العلمية في عصر السلاجقة وأثرها على المشرق الإسلامي (11-13 م)" لمروان بن شوش (الجزائر، 2010)، و"الحركة العلمية وبيوتات العلماء في مدينة قسنطينة ق 7 هـ- 10 هـ/13- 16م" لعلال بن عمر (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2012). فبالإضافة إلى دراسة الحياة العلمية، تمّ التركيز في عدد من المذكرات على التربية والتعليم على غرار "التعليم والدعوة الموحدية 510- 524/1116- 1129م" لبلقاسم فيلالي (قسنطينة، 2004)، و"السياسة التعليمية للدولة الزيانية 633- 962 هـ/1236- 1554م" لعبد الخليل قريان (قسنطينة، 2004)، و"التربية والتعليم عند الاباضية بالمغرب الإسلامي ما بين القرنين الثالث والخامس الهجريين (9- 11 م)" لصلاح الدين شعباني (الجزائر، 2004)، و"التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة إلى تأسيس نظام العزابة (296- 409 هـ/909- 1018م)" لسامية مقري (قسنطينة، 2006)، و"المدارس التعليمية بالمغرب الأوسط على العهد الزياني (633- 962هـ/1335- 1554 م)" لبشير مبارك (معسكر، 2011).

ونوقشت في هذا الجانب أيضا عدد من رسائل دكتوراه الدولة والدكتوراه منها "الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين" لمحمد الأمين بلغيث (الجزائر، 2003)، و"الحياة العلمية في الدويلات الإسلامية بالمشرق (خراسان وبلاد ما وراء النهريين القرنين الثالث والخامس الهجريين 205- 432هـ) لنجيب بن خيرة (الأمير عبد القادر- قسنطينة، 2004)، و"الحياة الفكرية والثقافية في المغرب في العصر الفاطمي (296-

362 هـ)" لنشيدة رافعي (الجزائر، 2005)، و"الحياة العلمية في إفريقية في عصر الدولة الأغلبية (184- 296 هـ/800- 909 م)" لبوعلام صاحي (الجزائر، 2009)، و"إسهامات المغاربة والأندلسيين في مصر وبلاد الشام من بداية القرن السادس إلى نهاية القرن التاسع الهجري. (12- 15م)" للحاج عيفة شنايت (الجزائر، 2010).

ما يلاحظ هنا هو تكرار في المواضيع على غرار التعليم عند الإباضية أو إعادة دراسة مواضيع سبق وأن درست في بلدان أخرى، مما يطرح مشكل كبير متعلق بالبعد العالمي للبحث العلمي بالجزائر، كما أن مجمل المقاربات المستعملة بقيت تقليدية في معظمها.

3- الجماعات العقدية والفقهية والأقليات الدينية

حظيت الجماعات العقدية والفقهية والفكرية بدراسات متعددة في معظم الجامعات الوطنية. فالإباضية مثلا التي تخصص فيها مسعود مزهودي من خلال رسالة دكتوراه دولة "جبل نفوسة منذ الفتح الإسلامي إلى هجرة بني هلال إلى المغرب (21- 442/642- 1053)" (قسنطينة، 1997)، كانت موضوع لعدد من مذكرات طلبة الماجستير على غرار صلاح الدين شعباني (الجزائر، 2004) وسامية مقري (قسنطينة، 2006) وفطيمة مطهري في مذكرتها الموسومة بـ "مدينة تيهرت الرستمية: دراسة تاريخية حضارية (القرن2- 3 هـ / 8- 9 م)" (تلمسان، 2010). كما يضاف إلى ذلك تحقيق ودراسة عمر سليمان بوعصبانة لمجموع سير الإباضية في رسالته للدكتوراه "مجموعة سير الوسياني – دراسة وتحقيق الجزء الأول –ضبط ومقارنة نصوص الجزئين الثاني والثالث" (الأمير عبد القادر – قسنطينة،

2006). ما يلاحظ هنا هو قلة الدراسات الإباضية في الجامعة الجزائرية مقارنة بالدور الذي لعبته هذه الجماعات في تاريخ المغرب، خصوصا تلك الخاصة بالدراسات السكانية والعمرانية والتحولات الكبرى التي جاءت بعد منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي.

باحتضانها لمركز الدعوة الاسماعيلية المغربية، لقيت بلاد كتامة والجزائر بصفة عامة اهتمام الدارسين خصوصا بعد العمل الرائد لموسى لقبال حول دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ثم الدراسة العميقة لبوبة مجاني "النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي 296-909/362- 973" (قسنطينة، 1996). كانت هذه الأعمال الأولى منطلقا لعدد من الدراسات التي مسّت القرن الاسماعيلي بالمغرب على غرار رسالة دكتوراه اسماعيل سامعي، "القاضي النعمان حياته وجهوده في نشر الدعوة الإسماعيلية وتطورها في الدور المغربي 313- 363هـ/925- 373م" (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2003) ومذكرة ماجستير محمد قويسم "تطور الفكر السياسي الإسماعيلي من خلال فكر القاضي النعمان بن محمد (313- 363 هـ/929- 979م)" (قسنطينة، 2003)، ومذكرة ماجستير يوسف بردودي "المذهب الاسماعيلي والعمران في المغرب الأوسط 280-893/362 973" (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2012).

دون مفاجأة، كان حظ الجماعات المالكية أكبر من غيرها بالنظر لممارستها لسلطة علمية وفقهية وقضائية وحتى سياسية، حيث أصبحت عنصرا محوريا في تشكّل الهوية المغاربية. ولهذا فإن عدد من المذكرات والرسائل حاولت دراستها في مجالات وفترات متنوعة، فعلى سبيل المثال

دراسة لخضر بولطيف "فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي "510- 668هـ1116- 1269م"(الأمير عبد القادر- قسنطينة)، ودراسة صابرة خطيف "فقهاء تلمسان والسلطة في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني (633- 1235/791- 1388): الجهاز الديني والتعليمي" (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2004)، ودراسة خنوف شعيب "الأوضاع المذهبية في بلاد الغرب الإسلامي خلال العصر المرابطي (451- 541 هـ/1055- 1146م)" (الجزائر 2، 2010)، ومذكرة قادة سبع "المذهب المالكي بالمغرب الأوسط حتى منتصف القرن الخامس الهجري" (وهران، 2008)، ودراسة نسيم نوار "النزاع السني – الشيعي ببلاد المغرب وأثره في تجديد الفقه المالكي" (الجزائر 2، 2011)، ومذكرة سعيدة بوزري "المذهب المالكي في المغرب الأوسط دخوله وانتشاره،3- 5 هـ/ 9- 11 م" (الجزائر 2، 2010)،ودراسة حفيظ كعوان، "أثر فقهاء المالكية الاجتماعي والثقافي بإفريقية (ق 2- 5هـ)" (باتنة، 2010)، ومذكرة فوزي رمضاني "دور المالكية في الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي. 567- 648 هـ/1171- 1250م" (المدرسة العليا للأساتذة- الجزائر، 2010)، ورسالة دكتوراه موسى هيصام "المذهب السني في المغربين الأدنى والأوسط 296- 547 هـ" (الجزائر 2، 2011). فبالإضافة إلى اعتماد نفس النصوص المصدرية والأدوات، نلاحظ تكرار كبير في المواضيع المدروسة في هذا الميدان.

لم يقتصر البحث في الجماعات على الدوائر الإباضية – الإسماعيلية – المالكية، بل امتد لجماعات أخرى منها المندثرة ومنها المستمرة، ومن

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأمثلة على ذلك "المذاهب الفقهية المندثرة وأثرها في التشريع الإسلامي في القرنين الثاني والثالث للهجرة (8و9م)" لعبد القادر بوعقادة (الجزائر، 2004)، و"علاقة فقهاء السنة بالدولة العباسية في عصرها الأول" لعبد الحميد العابد (باتنة، 2009)، و"شيخ الحنابلة أبو الوفاء بن عقيل، حياته وأعماله السياسية والاجتماعية والعلمية 431- 513 هـ/ 1040- 1119 م" لبدرينة زيان (الجزائر2، 2010)، ورسالة دكتوراه الدولة لخالد علال كبير، "الحركة العلمية الحنبلية وأثرها في المشرق الإسلامي خلال القرنين 6- 7 هـ/12- 13 م" (الجزائر، 2005). كما يمكن إضافة مذكرة ماجستير أم الخير عثماني "المعتزلة من خلال كتاب البيان والتبيين للجاحظ (225 هـ/869 م)" (الجزائر2، 2010)، ومذكرة محمد نصير "انتشار المذهب الأشعري ببلاد المغرب خلال القرن 4و5 هـ/10- 11م" (الجزائر2، 2011)، ومذكرة مصطفى مغزاوي "دور العامل السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي ومغربه منذ منتصف القرن 5 هـ/10 م إلى بداية القرن 8 هـ /13 م" (الجزائر، 2008)، ومذكرة عبد الجليل ملاخ "المذاهب غير المالكية بالأندلس (138- 422 هـ/756- 1036 م): دراسة سياسية حضارية" (الجزائر، 2007).

بالمقابل، لم يكن هناك حضور كبير للأقليات الدينية غير المسلمة، إذ نسجل عدد محدود جدا من الدراسات على غرار مذكرة سمير طبي "دور أهل الذمة في الدولة الإسلامية في العصر العباسي (132- 447هـ)" (باتنة، 2007)، ومذكرة عاشور منصورية "التسامح الديني في ظل الدولة الأموية بالأندلس(132- 422هـ)" (باتنة، 2007)، ومذكرة صفي الدين محي

الدين "المستعربون ودورهم في تاريخ الأندلس (138- 483هـ/755- 1090م)" (وهران، 2008).وأخيرا، رسالة دكتوراه فاطمة بوعمامة "اليهود في المغرب الإسلامي (ق7- 9 هـ 13- 15 م)" (الجزائر، 2010). إنّ عدم التحكم في لغات البحث الخاصة بالأقليات كان لها دورا كبيرا في عدم اهتمام الدارسين بها، خصوصا اللغات اللاتينية والعبرية والسريانية.

4- التيارات الصوفية

شهدت أقسام التاريخ في السنوات الأخيرة اهتماما كبيرا بدراسة الظاهرة الصوفية والتيارات الزهدية في عدد من المجالات الجغرافية، خصوصا المغرب الأوسط. فقد كانت البداية مع عبيد بوداود من خلال رسالة ماجستير بعنوان "ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين(ق13- 15م)" (وهران، 2000)، ثم الطاهر بونابي "الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين (6- 7 هـ/ 12- 13 م)" (الجزائر، 2001)، جاعلا من المغرب الأوسط مجالا لدراسته. كما ناقش في نفس السنة محمد دبوب رسالة ماجستير حول "مساهمة الحركة الصوفية في المجالات الثقافية" (الجزائر، 2003)، ثم تبعتهما عدة مذكرات بإشراف بوبة مجاني حول التصوف في المغرب الإسلامي: "الحركة الصوفية في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الزياني (633/1236- 962/1555" لآمال لدرع (قسنطينة، 2006) و"المرأة والتصوف في المغرب الإسلامي، القرون 6- 9 هـ/12- 15م" لسهام دحماني (قسنطينة، 2006). وتوسع مجال الدراسات الصوفية ليشمل الغرب الإسلامي والأندلس من خلال مذكراتزينب ملياني "التصوف بالغرب الإسلامي في عصري المرابطين

والموحدين" (الجزائر، 2007)، وفاطمة الزهراء جدو "السلطة والمتصوفة في الأندلس في عهد المرابطين والموحدين 479- 635 هـ/1086- 1238" (قسنطينة، 2008)، وفتيحة مزياني "الحركة الصوفية وأثرها في المشرق الإسلامي خلال القرن 7 هـ/13 م" (الجزئر، 2009). وتأتي رسالة دكتوراه الطاهر بونابي "الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين (8- 9 هـ/ 14- 15 م)" (الجزائر، 2010) لتكمل معارفنا حول التصوف في المغرب الأوسط في القرنين الثامن والتاسع الهجريين بعمق أكثر وفاتحة أفق جديد في دراسة التراث الصوفي.

5- استعمال نصوص جديدة في الدراسات الاجتماعية

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

استمر البحث في التاريخ الاجتماعي خلال العشرية الأخيرة مع تسجيل اختلاف في المقاربات المنهجية بين مختلف أقسام التاريخ. فإذا كانت مجموعة من المواضيع قد استمرت في معالجة المواضيع بنفس رؤية المرحلة السابقة فإنّ عدد آخر منها انطلق من نصوص غير تقليدية (فقهية ومناقبية) لمعالجة القضايا المدروسة.

بالنسبة للصنف الأول، يمكن الإشارة إلى مذكرات ورسائل ماجستير كل من عبد الكريم شباب "صورة المجتمع في المغرب الأوسط خلال القرنين 7- 8هـ (13- 14م) من خلال كتاب العبر لعبد الرحمن بن خلدون" (وهران، 2003)، ومليكة حميدي "المرأة المغربية في عهد المرابطين 448- 541 هـ/1056- 1146" (الجزائر، 2003)، وفوزية كرراز "دور

المرأة في الغرب الإسلامي من القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن السابع الهجري" (وهران، 2004)، وخميسي بولعراس "الحياة الاجتماعية والثقافية في عصر ملوك الطوائف (400- 479 هـ/1019- 1141)" (باتنة، 2007)، ورسائل دكتوراه لطيفة بشاري "الرق في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى رحيل الفاطميين. (ق1- 4 هـ/7- 10 م)" (الجزائر، 2007)، وعيسى بن الذيب "المغرب والأندلس في عصر المرابطين. دراسة اجتماعية واقتصادية. (480- 540 هـ/ 1056- 1145 م)" (الجزائر، 2009)، ومحمد الشريف سيدي موسى "الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الاسباني. (10- 16م)" (الجزائر، 2010).

أما فيما يخص الصنف الثاني، فعدد المذكرات والرسائل فيه قليلة مقارنة بسابقه. فقد دشّنت دلال لواتي هذا النوع من الدراسات في رسالتها للماجستير حول "عامة القيروان في العصر الأغلبي (184- 296/800- 908)" (قسنطينة، 2002)، وتبعتها عدة مذكرات على غرار مذكرة علي شعوة "الحياة الاجتماعية من خلال كتاب "الدرر المكنونة في نوازل مازونة" (الجزائر، 2008)، ومذكرة مريامة لعناني "الأسرة الأندلسية في عصري الموحدين والمرابطين" (قسنطينة، 2009)، ومذكرة سمية مزدور "الأوبئة والمجاعات بالمغرب الأوسط من نهاية القرن السابع إلى مطلع القرن التاسع الهجري" (قسنطينة، 2010)، وأيضا مذكرة عابد بن دومي "الكوارث الطبيعية والجوائح والأوبئة في المغرب الأوسط وأثرها في المجتمع بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق 13- 15م)" (معسكر، 2011). ويضاف إلى

هذا الصنف رسالة دكتوراه عمر بلبشير "جوانب من الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية في المغربين الأوسط والأقصى من خلال كتاب المعيار للونشريسي" (وهران، 2010) التي انطلق فيها من تحليل لنوازل المعيار.

دائما في إطار التاريخ الاجتماعي، هناك اهتمام بتطوير الديمغرافيا التاريخية وتاريخ الأسر العلمية على غرار ما قام به رفيق خليفي في مذكرته "البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن 3 هـ إلى نهاية القرن 9 هـ" (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2008).

6- تذبذب في الدراسات الاقتصادية

إنّ الحصيلة العامة للدراسات الاقتصادية الوسيطية في الجزائر خصوصا في العشرية الأخيرة ليست جيدة، بالنظر لقلة المواضيع المطروقة وسطحية المعالجة. فالجديد الوحيد في هذا الميدان هو استعمال النصوص الفقهية والمنقبية والمعطيات الأثرية في عدد من الدراسات على غرار "انتشار ظاهرة الأوقاف في المغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين(ق13- 15م) ودورها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية" لعبيد بوداود (وهران، 2006)، و"جوانب من الحياة الاقتصادية والفكرية في المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14- 15 م) من خلال نوازل المازوني:"الدرر المكنونة في نوازل مازونة" لنور الدين غرداوي (الجزائر، 2006)، و"الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالأندلس من خلال النوازل الفقهية في القرنين 5- 6 هـ/11- 12م" لعبد العزيز حاج كولة (الجزائر 2، 2011)، و"الحرف في مدينة تلمسان على العهد الزياني (633- 962هـ/1335- 1554م)" للعربي لخضر (معسكر، 2011).

في حين أنّ معظم ما درس فقد تناول العلاقات التجارية انطلاقا من مادة مطروقة سابقا على غرار دراسة جميلة بن موسى "تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي (3- 5 هـ/ 9- 11 م)" (الجزائر، 2001)، وعبد الملك بكاي "التجارة في عهد بني زيري بإفريقية(360هـ - 543هـ)" (باتنة، 2006)، ويوسف عابد "الموحدون في بلاد المغرب 515- 595هـ/1120- 1199- دراسة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية" (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2007)، ومعمر الهادي محمد القرقوطي "الحياة الاقتصادية في دولة بني مرين (668- 869 هـ/1269- 1465 م)" (الجزائر، 2009).

تجدر الإشارة هنا أيضا إلى قلة الدراسات الاقتصادية التي انطلقت من الوثائق الأرشيفية وهذا لا يفاجئنا في السياق العام للتاريخ الإسلامي. وهنا لا نلمس ذلك إلا في رسالتي دكتوراه: "نشاط جنوة الصليبي والتجاري في سواحل بلاد المغرب من القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر" لرشيد باقة (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2007)، و"جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مصر الإسلامية في ضوء نصوص أوراق البردى العربي والكاغط والرق (ق2- 5 هـ/ 8- 11 م)" لجميلة بن موسى (الجزائر، 2010). كما أن عدد من الدراسات تناولت قضايا اقتصادية محددة على غرار رسالة دكتوراه الدولة لمحمد بن عميرة "الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين" (الجزائر، 2005)، ومذكرة ماجستير موسى هواري "تربية الحيوانات ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين" (الجزائر، 2009).

التوجهات الأخيرة في الدراسات الوسيطية

إنّ المتمعّن في الحقول التاريخية الوسيطية في الجزائر يلاحظ تنوع في المجالات المدروسة ومناهج معالجتها. فبالإضافة إلى الاستمرار في تطوير المحاور المذكورة أعلاه، هناك اهتمام بمحاور أخرى بكيفيات مختلفة.

1- المنوغرافيات المحلية

عرف التاريخ المحلي اهتماما كبيرا منذ أن ناقش عبد العزيز فيلالي رسالة دكتوراه حول "تلمسان في العهد الزياني: دراسة اجتماعية وسياسية وعمرانية وثقافية" (الجزائر، 1996). فقد انجزت في العشرية الأخيرة عدة منوغرافيات تناولت عدد من مدن المغرب الأوسط على وجه التحديد: "المدينة- الدولة في المغرب الأوسط: وارجلان نموذجا" لعمار غرائسة (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2008)، و"بجاية دراسة تاريخية و حضارية (ق 6- 7 هـ)" لآمينة بوتشيش (تلمسان، 2008)،و"مدينة وارجلان: دراسة في النشاط الاقتصادي والحياة الفكرية 4- 10 هـ/ 10- 16 م" لحاج عيسى إلياس بن عمر (الجزائر، 2009)،و"طبنة ودورها الحضاري من الفتح حتى نهاية القرن الخامس الهجري/11 م" لعبد النور قراري (الجزائر، 2009)،و"مدينة تيهرت الرستمية: دراسة تاريخية حضارية (القرن2- 3 هـ / 8- 9 م)" لفطيمة مطهري (تلمسان، 2010)، و"المدينة – الدولة في المغرب الأوسط الإسلامي: بسكرة نموذجا" لدعاء دريسي (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2012)، و"مدينة مازونة وناحيتها في العصر الوسيط: دراسة منوغرافية" لغنية عباسي (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2012).فإذا كانت المدن- العواصم محظوظة أكثر يبقى عدد من المدن المتوسطة والصغيرة

يحتاج إلى دراسات شاملة على ضوء المادة النصية والمعطيات الأثرية المتوفرة، وهو ما يعكف عليه بعض الطلبة الباحثين في تحضيرهم لمذكرات ورسائل حول بونة والمسيلة والجزائر...

كما انتقل مجال التاريخ المحلي الشامل إلى المستوى الجهوي على غرار مذكرة موسى رحماني "الأوراس في العصر الوسيط من الفتح الإسلامي إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر (27- 362 هـ/637- 972م): دراسة اجتماعية" (قسنطينة، 2007)، ودراسة صورية مديازة "بلاد الزاب من الفتح الاسلامي إلى غاية انتقال الخلافة الفاطمية (21- 362هـ)" (باتنة، 2010).

2- الجغرافيا التاريخية: من المدينة إلى الجماعات الريفية

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

رغم تخصيص عدم من المواضيع لدراسة المدينة والعمران على غرار مذكرة نوال بلمداني "المدينة بالمغرب الأوسط من خلال المصادر التاريخية والجغرافية" (وهران، 2006) ومذكرة الطاهر طويل "التطور التاريخي للمدينة بالمغرب الأوسط من النصف الثاني من القرن الأول للهجرة إلى القرن الخامس الهجري" (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2008)، تبقى دراسة المواقعية والمجالات والمسالك والتجمعات السكانية الريفية عديمة الحضور في البحث الجامعي الجزائري، على عكس ما هو موجود في معظم الجامعات العربية والعالمية. فباستثناء رسالة دكتوراه الطاهر طويل قيد التحضير حول الجغرافيا التاريخية للأوراس، يبقى هذا النوع من الدراسات يحتاج إلى توجيه عدد من الطلبة ممن يمتلكون تكوينا مزدوجا في التاريخ والآثار لدراسة عدد من مجالات المغرب الأوسط.

بعد "زناتة" محمد بن عميرة، حاول عدد من الدارسين تتبع الجماعات في المغرب الإسلامي على غرار رضا بن النية، "صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر 80- 362 هـ/699- 973م: دراسة اجتماعية" (قسنطينة، 2006)، وعبد الرحمن بلاغ "قبيلة مكناسة البربرية ودورها المذهبي والسياسي في بلاد المغرب من القرن الثاني إلى القرن الرابع الهجري" (بشار، 2007)، وعيسى قوراري "قبيلة حميدان من القرن 5/11م إلى القرن 8 هـ/14م" (تلمسان، 2008)،ومفتاح خلفات "قبيلة زواوة ما بين القرنين 6- 9 هـ/ 12- 15 م. دراسة سياسية عمرانية اقتصادية اجتماعية" (الجزائر، 2010)، وأيضا مذكرة طاهر بخدة "التحركات والهجرات السكانية والقبلية في المغرب الأوسط خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين (ق10- 11م)" (معسكر، 2011). إنّ هذه الدراسات على أهميتها لم تستثمر المناهج الحديثة في دراسة التوزيع السكاني على غرار علم الآثار الجديد أو حتى المناهج الأونوماستية، مما يجعلها تسقط في الغالب في مسلمات تراثية بعيدة عن القراءة التاريخية.

إنّ توظيف النصوص الفقهية والمنقبية في دراسة التمدن والتوزيع الجغرافي للسكان على غرار ما قامت به سناء عطابي "الخطاب الفقهي والعمران في المغرب الأوسط" (الأمير عبد القادر- قسنطينة، 2008) بدأ يأخذ مكانته في الجامعة الجزائرية، مما يعطينا فكرة هامة على مختلف الأنماط العمرانية ومعايير تنظيمها في المغرب الإسلامي.

3- العودة إلى نمط السيرة

بعد أن تجاهلت مدرسة الحوليات نمط السيرة في الدراسات التاريخية، عادت إليها في الثلاثين سنة الماضية، مما أثرى الدراسات التاريخية بمعارف جديدة. لقي هذا النوع من الدراسات مكانة في الجامعة الجزائرية في العشرية الأخيرة من خلال تخصيص عدد من المذكرات والرسائل: "القاضي النعمان حياته وجهوده في نشر الدعوة الإسماعيلية وتطورها في الدور المغربي 313- 363هـ/925- 373م" لاسماعيل سامعي (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2003)، و"محمد بن عبد الكريم المغيلي ومساهمته في الثقافة الإسلامية في غرب إفريقية (823- 909هـ/1417- 1503م)" لمنيرة بوغرارة (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2003)، و "آل الرازي وآثارهم التاريخية والجغرافية(250- 379هـ)" لامحمد بوشريط (وهران، 2004)،و"علماء أسرة المرازقة و دورهم الثقافي بتلمسان من ق 7 إلى13هـ/10- 16 م" لنصر الدين بن داود (وهران، 2004)،و"أبوعثمان سعيد العقباني،حياته وآثاره (ت 811هـ/1408م)" لشهرزاد رفاف (بشار، 2006)، و"شيخ الحنابلة أبو الوفاء بن عقيل، حياته وأعماله السياسية والاجتماعية والعلمية 431- 513 هـ/ 1040- 1119 م" لبدرينة زيان (الجزائر 2، 2010).

4- الكتابة التاريخية وتاريخ العلوم

إذا كان ارتباط تاريخ العلوم بتخصصات أخرى من البديهيات، فإن أقسام التاريخ حاولت دراسة بعض الحقول المعرفية بمعزل عن تاريخ العلوم الذي يفترض تحكم الدارس في كل مقارباته ومعارفه. وعلى هذا الأساس

فإن جل ما درس في أقسام التاريخ يفتقد للأسف لهذا التوجه، واكتفى الدارسين فيه بعموميات لا ترتقي إلى مصف تاريخ العلوم وفق المناهج العالمية. ومن أمثلة ذلك أشير إلى دراسة نور الدين زرهوني "الطب والخدمات الطبية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)" (وهران، 2002) ودراسة بكير بوعروة "علماء الفلك بالأندلس من بداية الدولة الأموية حتى نهاية عصر ملوك الطوائف. 138- 484 هـ/775- 1088م" (الجزائر، 2009).

وعلى صعيد آخر حاول عدد من الدارسين دراسة الكتابة والمعرفة التاريخية في مجالات متعددة وبمقاربات مختلفة تراوحت بين الأسلوب الحديثي والمناهج الابستمولوجية الحديثة، ومن أمثلة ذلك طاهر سبع "دور مدرسة المدينة في الكتابة التاريخية من خلال آثار أبرز مؤرخيها حتى مطلع القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي" (الجزائر، 2002)، وبشار قويدر "منهجية ابن الأثير في التأريخ للقوى المعارضة للخلافة العباسية في الداخل والخارج" (الجزائر، 2007)، وآسيا ساحلي "إنتاج وانتقال المعارف التاريخية في المغرب الأوسط" (الأمير عبد القادر- 2009)وعلي زيان "المعرفة التاريخية في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي" (قسنطينة، 2011)، وعبد القادر مباركية "التجارة والتجارة المغربية إلى إفريقيا جنوب الصحراء من خلال المصادر الإباضية الوهبية من القرن 3 هـ/9م إلى القرن 10 هـ/16م" (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2012).

في حين أنّ حضور الإستوغرافيا المعاصرة في دراسة التاريخ الإسلامي لم يكن هاما في الدراسات التاريخية الجامعية الوطنية، حيث لم نسجل إلا

دراستين لكل من كريم بوترعة، "المغرب الأوسط الإسلامي في الكتابات التاريخية الفرنسية (1830- 1930)" (الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2010) وزيد طايبي "مساهمة المستعرب البولوني "تاديوش ليفيتسكي" في دراسة العلاقات بين بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء".(الأمير عبد القادر – قسنطينة، 2012).

5- غياب شبه كامل للأسلمة والتعريب

إذا كانت مسألة الأسلمة من القضايا التي أثارتها عديد من الدراسات الغربية حول العالم الإسلامي الوسيط، خصوصا بعد صدور كتاب رايتشارد بلات (Richard Bulliet) في نهاية سبعينات القرن الماضي، فإنّ هذه المسألة لم تلق اهتماما بالجامعة الجزائرية، حيث اقتصر فيها البحث على مذكرتين: "وسائل انتشار الإسلام في السودان الأوسط" لمسعود خالدي (الأمير عبد القادر (قسنطينة، 2000) و"انتشار الإسلام في بلاد المغرب وآثاره على المجتمع خلال القرن الأول الهجري (السابع الميلادي)" لمصطفى باديس أوكيل (الجزائر، 2006). فمسألة الأسلمة والتعريب تبقى من القضايا المطروحة في البحث خصوصا على ضوء المناهج الجديدة والوثائق والنصوص غير العربية المتاحة اليوم للباحثين.

الخاتمة: كلمة لا بد منها

في خاتمة هذا العرض المتواضع، بودي الإشارة إلى جملة من القضايا تعبّر عن الحصيلة الفعلية للبحث العلمي بالجامعة الجزائرية. أولها هو غياب البعد العالمي (la dimension internationale) للغالبية العظمى من الأبحاث المنجزة بحيث لا تقدم لا إضافة معرفية ولا منهجية لتناولها مواضيع مستهلكة أو

لتواضعها علميا، مما يفسّر المكانة غير المريحة للتاريخ الوسيط بالجامعة الجزائرية، باستثناء مجهودات عدد من الباحثين المشرفة في هذا المجال. إنّ غياب البعد العالمي يترجم أيضا بعدم الاطلاع على مئات الأبحاث باللغات غير العربية وبقي معظم الدارسين مرتبط بمرحلة إميل- فليكس غوتتيه (Emile-Felix Gautier) وجورج مارسي (Georges Marçais) بمعنى الاستشراق الكلاسيكي، في حين تغيب الدراسات المجددة في التاريخ الوسيط الإسلامي خصوصا التي أنجزها الدارسين الانجليز والأمريكيين والألمان وحتى الجيل المعاصر من الفرنسيين.

إنّ تنوع المواضيع لا يعن بالضرورة القيام بأبحاث جادة، لأن معظم ما أنجز كان من خلال مقاربات تقليدية كانت فيها سلطة الكلمة للنص التراثي بدلا من توظيف مناهج العلوم الاجتماعية على نطاق واسع كما هو جار في الجامعات العالمية. إنّ جمود وانغلاق الأبحاث التاريخية ينسحب على معظم المذكرات والرسائل باستثناء القليل حيث يبرز التأثير المغربي والتونسي وحتى المصري واضحا للعيان من خلال مطالعة الكتب أو تقليد عدد من مقارباتها المنهجية.

إذا ما كان جائزا استعمال كلمة "وسيط" عندنا، فهذا التاريخ هو في أساسه إسلامي بل إسلامي مغرب- أندلسي بالنظر لفشل الجامعة الجزائرية في تكوين متخصصين خارج هذه الدائرة. فلا نجد وسيط غربي بالمعايير المعروفة ولا وسيط بيزنطي بما هو متعارف عليه، نظرا لعدم امتلاك الأدوات اللغوية (اللاتينية واليونانية واللغات الأوربية الكلاسيكية) والمنهجية المطلوبة. كما أن الجامعة الجزائرية تجد نفسها اليوم عاجزة كلية عن

تكوين متخصصين لهم سمعتهم الدولية في تاريخ المشرق الإسلامي، واكتفت جل المذكرات والرسائل تقريبا باستنساخ لمواضيع مدروسة وبمناهج تقليدية، لايكاد يسمع أصحابها بالوثائق الأرشيفية والمادية المستغلة في الدراسات المتخصصة والعميقة.

إنّ إشراف عدد من الأساتذة غير المتخصصين على مذكرات ورسائل ماجستير ودكتوراه كان له أثره الكارثي على نوعية المواضيع المطروقة والمناهج المتبعة، مما يحتّم اليوم مراجعة العملية بأكملها لتفادي ما حدث.وتنسحب نفس الملاحظة على أولئك الذين يشرفون على مواضيع متنوعة خارج دائرة البحث العلمي الجاد، مكتفين في الغالب بمنح بمواضيع أقل ما يقال عنها أنها ثقافة عامة.

خمسون سنة، كافية من حيث الكم، لكن لم تكن كذلك من حيث النوع، ولهذا يجب إحداث ثورة منهجية ومعرفية للوصول إلى الأحسن.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المراجع

بوعقادة (عبد القادر)، (2008)، "جهود الدكتور موسى لقبال في الارتقاء بالبحث العلمي بجامعة الجزائر من خلال الإشراف في مرحلتي الماجستير والدكتوراه 1978- 2007"، دراسات وبحوث مغربية: أعمال مهداة إلى الأستاذ الدكتور موسى لقبال، تنسيق إسماعيل سامعي وعلاوة عمارة،. قسنطينة، منشورات مخبر البحوث والدراسات في حضارة المغرب الإسلامي، ص 117- 129.

سعيدوني (ناصر الدين)، (2011)، "كلمة وداع الأستاذ د. موسى لقبال"، مجلة الدراسات التاريخية، 13، ص 257- 263.

عمارة (علاوة)، عويمر (مولود)، بوداود (عبيد)، بوترعة (كريم)، (2012)، خمسون سنة من البحث التاريخي بالجامعة الجزائرية 1962- 2012، قسنطينة، منشورات جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. (قيد النشر).

قصير(حليمة)، (2009)، "دليل مناقشات رسائل الماجستير والدكتوراه في كلية الآداب والعلوم الإنسانية (معهد الحضارة الإسلامية سابقا) 1990- 2008"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، 10، ص 417- 438.

ودوع(محمد)، (2011)، "دور قسم التاريخ في إعداد وتأطير طلبة ما بعد التدرج"، مجلة الدراسات التاريخية 13، ص 265- 278.

Sous-direction de la post-graduation,(1985-1987),*Annuaire des thèses soutenues*, Alger, Ministère de l'Enseignement supérieur.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدولة الوطنية وذاكرتها:
باراديغم التاريخ

د. حسن رمعون

جامعة هران،

مركز البحث في الأنثربولوجيا الثقافية والاجتماعية، وهران.

تعريب د. معاشو جيلاني كوبيبي

مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية،

جامعة معسكر.

يعدتنظيم ندوة "وضعية المعرفة العلمية في الجزائر (1954-1960)" خمسون سنة بعد الاستقلال،فرصة ممتازة للرجوع إلى الممارسة الخاصة بالتأريخ مثلما كان عليه الحال دائما عندنا،خصوصا إذا تعلق الأمرباندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954. سنركزفي هذه الحالة على جملة من الأعمال التي قمنا بها سابقا ونشرناها حول هذه المسألةوسنحاول تلخيصها في هذا النص. واهتماما منا بتوضيح بعض الشروحات الغير موسعة، سنشير إلى بعض كتاباتنا، وهي أحدث ما تناولناه في هذا الشأن تحت عنوان " التدخل المؤسساتي وتأثيره في ممارسة التأريخ بالجزائر من خلال سياسة 'كتابة وإعادة كتابة التاريخ' الاتجاهات والاتجاهات المعاكسة."بمجلة إنسانيات (Remaoun , H. n°19-20,2003)(Remaoun, H. vol:8,2004).

لأن مقاربتنا حول تدريس التاريخ وكل ما يتعلق بالآثار الناجمة عن الذاكرة، والعلاقات المتصلة بالماضي وكذا السياسة المنتهزة في كتابة وإعادة كتابة التاريخ (خاصة مع بداية سنوات السبعينات 1970) بمختلف تمظهراته المؤسساتية والاجتماعية، قد قادتنا إلى اقتراح كيفية تشكل الواقع الذي سنناقشه هنا، وقد أخذنا بمفهوم الباراديغم الذي أصبح ساري

المفعول في البحوث المتعلقة بظروف إنتاج وتشكيل المعرفة العلمية خاصة.(Piaget et Garcia, 1983) (Khaun,1983)

أما فيما يتعلق بما تعودنا على تسميته بالعلوم الاجتماعية والإنسانية عموما، فإننا نعتبر بأن الوظيفة النموذج التي تحتلها هاته العلوم (وقد تكلمنا عن تخصصات علمية أساسية)، والتي تعتبر أقل ارتباطا ومساهمة على المستوى الإبيستيمي، وبمعنى آخر فإن تراكم المعرفة العارفة حول المقاصد المبحوثة من قبل القوى الاجتماعية الفاعلة على مستوى رقعة السياسي والإيديولوجي فإن مآلاتها أصبحت تنحو منحى الصيغة الأداتية لذلك.

فإذا كان مقبولا جدا أن تتميز العلوم السهلة أو الاجتماعية والإنسانية بخاصية انصهارها في القوالب الإيديولوجية التي تختفي في بعض الأحيان وراءها أكثر من العلوم الصعبة التي تتميز بتركيبتها التقنية، فإن ذلك يلزمنا بضرورة إظهار مدى تبعية وتعلق المعرفة الأكاديمية ومقارنتهابالمضامين المؤسساتيةوالاجتماعية عموما، ويندرج هذا في حالة المجتمعات المتعددة والمتميزة بالخاصية الشبابية للتركيبة الجامعية الضعيفة لها،والتي تؤثر سلبا على اشتغال بعض التخصصات إلى درجة اعاقتها. والأمثلة في هذا الجانب كثيرة جدا خاصة في حالة العالم العربي وما يهمنا هنا هو الحالة الجزائريةالتي نتخذهاكمثال على ذلك.

بناء حقل المعرفة حول مجتمع الجزائر المستقلة :

كيف يمكننا اعتبار التركيبة البنائيةلحقل المعرفة حول المجتمع في الجزائر عامة؟ وحتى نكون أكثر دقة وتحديدا نقول كيف حاولت أو كيف استطاعت الدولة الوطنية إعادة بناء مجال المعرفة المؤسساتية ؟.

ففكّ شفرة الإصلاحات لسنة 1971 و مشروع الخريطة الجامعية المقدمة في سنة 1984 يجعلنا نستنتج المحطة الهادفة إلى بناء العلوم الاجتماعية والإنسانية بصيغة التشكيل القائم على وظيفتين وغايتين محددتين:

1 -تعتبر هذه العلوم على أساس أنهامجموعة من التخصصات التي تقدم خدمات لتطوير الجوانب التقنية والاقتصادية وتهتم بجمع علوم الطبيعة والتدريس التكنولوجي، كما تعتبر شكلا من أشكال العلوم الاقتصادية، و هي باختصار:السوسيولوجيا ،والجغرافيا ، اللغات الأجنبية والترجمة.ولأجل هذا النوع من التعليم تتمحور العلوم الاقتصادية كأحسن مثال وتدرج كنموذج.

2 -بالإضافة لكون هذه العلوم تتميز بالخاصية الإيديولوجية كما سبق و أن وضحنا فهي تتمثل في التخصصات التالية: الأدب العربي، الفلسفة، علم اللاهوت والتاريخ،ويعد التاريخ الذي يتأسس كمثال لاختلاف شعبه المعرفية، أو باعتباره نموذجا مماثلا، أو المادة التي تهدف إلى استعمال الماضي لشرعنة النظام السياسي والاجتماعي المرسوم.توجد في السياق نفسه،توجهات علمية أخرى تستطيع أن تكون في هاتين الصيغتين ويتعلق الأمر هنا بعلم النفس الذي يشتغل أساسا على معالجة ملف العمل أو الجوانب العيادية أو يهتم بالتربية أو الشخصية والهوية، كما هو الحالبالنسبة للدراسات التشريعية حسب توجهاتها نحو القانون الوضعي أو الشريعة، وهناك كذلك الأنثروبولوجيا والعلوم السياسية، اللسانيات وبعض التوجهات العلمية الأخرى المنخرطة في قائمة العلوم رغم غيابها.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد حاول المفكر المغربي عبد الله العروي سابقا تقديم تصنيف للجوانب الأنتليجنسية التي تعاقبت على العالم العربي منذ اصطدامه بالمراحل الاستعمارية المختلفة وقد تمثلها في اقتراحاته الثلاثة التي هي :

1 - مرحلةرجال الدين

2 - التكنوقراطيون

3 - المرحلة اللبيرالية (Laroui, A. 1970)

وهي نفس الجوانب الأنتلجنسية التي وجدت وتوجد كذلك بالجزائر، ويشغل الجانب الثالث منها حيزا يتميز بوضعية نموذجية يمكننا مماثلتها بوجهة نظر الاقتصادي، أما نموذج التاريخ فهو أقرب إلى الجانب الذي يماثل الشعبوي الذي لا يأخذ بعين الاعتبار التحقيق الذي ذهب إليه العروي نظرا لتأثره ربما بخصوصيات التاريخ المغربي؟. لذلك كانت لنا فيما مضى فرصة توسيع هاته النقطة في مجموعة من المساهمات نذكر من بينها :"من الحركة الوطنية إلى الدولة الوطنية : مستقبل العلوم الاجتماعية في الجزائر وفي العالم العربي." وذلك في إطار أشغال الملتقى المعنون بالعلوم الاجتماعية اليوم الذي جرت أطواره بكاناستال بوهران سنة 1984. (Remaoun, H. 1986)

أما الجانب الشعبوي فقد كان له حضوره الخاص في التاريخ الجزائري، وهذا منذ ظهور الحركة الوطنية التي تجلت كأهم متغير سوسيولوجي،لذلك علينا أن نسجل أيضا أنه منذ بروز الثورة المصرية على الأقل في سنة 1952 و ظهور الأنظمة الوطنية والعسكرية بدأ هذا التوجه بالتعميم في العالم العربي.

البحث في جذور البارادیغم (التاريخ) :

لقد تسنى للتاريخ كتخصص أن يكون مرسوما في تقاليد العالم العربي الإسلامي قبل ظهور توجه الشعبوية، لذلك فمنذ القدم كانت هناك

ميول واضحة لاستعمال التاريخ أو كل ما هو أرضية لذلككالديوانالخاص الذي يهدف إلى تحقيق غايات الشرعنة، لذلك لا يمكننا بأي حال من الأحوال أن ننسى جملة التطورات على المستوى المنهجي لهذا التخصص المعرفي الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالجهود المبذولة مع البدايات الأولى للعهد الإسلامي لأجل تقصي أصالة وأحقية الأفعال والأقوال النبوية " أي الأحاديث الشريفة خاصة وكيف أن الفقه آنذاك كان حديث العهد، لذلك أخذ عمر بن الخطاب الخليفة الثاني في تاريخ الإسلام على عاتقه مسألة الاهتمام بقضية الترميز المتعلق بالأنساب والتأريخ،بتأسيسه لديوان يهتم بكل ذلك، وقد واصل الأمويون بعده اهتماماتهم بهذا الديوان الذي يعد أهم سجل يضم في طياته ترتيبا لأهم القبائل المجاهدة، وكذا العائلات والشخصيات الفاعلة في المجتمع، حسب استحقاقاتها وأهميتها وأصالتها، وقد عرفت البداية الجديدة للدين أحداثا معينة سمحت لشخصيات خاصة ولأتباع وأحفاد هذه الشخصيات باحتلال مكانة متميزة في المجتمع الجديد.(Oumlil, 1982)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ساعدالتحيين الدوري للديوان الخلفاء على تعيين المؤهلين للمهام الرسمية وكذا للتقسيم الصحيح للامتيازات والمعاشات.قد لا تكمن أهمية الخصوصية المتعلقة بالتاريخ الإسلامي في هذا المستوى، إذ لا يمكننا أن نستدل على التقارب بين هاته العملية، وبينما حدث في الجزائر بعد الاستقلال مباشرة في سنة 1962، عندما تمت عملية إحصاء المجاهدين من أجل تعويضهم وإفادتهم بامتيازات. هاته العملية التي تفهم إلى حد ما على أساس صحيح وفي نطاق معين، قد تتوقف أهميتها لتتحول إلى عملية أخرى بيد النظام الجديد من أجل الشرعية السياسية التي تتركز حول المراقبة الرسمية التي تمس الذاكرة الجماعية والتأريخ للدولة الوطنية.

فالأمر يتعلق في نهاية المطاف بشرعنة الدولة الأمة، في إطار يتميز بإيديولوجية جديدةترتبط بمختلف الفرق الحاكمة التي تعاقبت على رأس النظام السياسي في الوقت الذي تغيبت فيه الجهات المعارضة ذات السمات الأكاديمية التي كان بإمكانها أن تثبت أحقيتها من خلال اعتمادها على ما يسمى باللجان أو الشرطة العلمية الثابتة.ومرجعيتنا في ذلك أعمال هابر ماس.

وللذهاب بعيدا وبشكل سريع فإن المؤرخ محمد حربي كشف النقاب عن ثلاثة من الأساطير التي تميز الخطاب الرسمي(Harbi, M. 1984) حول أحقية وكيفية التشكيل التاريخي ويتعلق الأمر بـ:

أولا : مسألة أسطورة الصفحة البيضاء التي تسعى إلى تجاهل أو تهميش كل إنجازات الحركة الوطنية السابقة للتاريخ الحافل الذي يمثله أول نوفمبر 1954 (أو اندلاع حرب التحرير الوطنية).

ثانيا :أسطورة الشعب المتجانس الذي انتفض بالإجماع ضد المحتل تلبية لنداء جبهة التحرير الوطني FLN.

ثالثا : يتعلق الأمر بأسطورة الفلاحين التي تستند فقط على أصولهم وانتماءاتهم البدوية .

لذلك فعملية النشر الكلية الخاصة بالنموذج انطلقت مع بداية اعتماد السياسة الرسمية لكتابة وإعادة كتابة التاريخ بدءا من سنوات السبعينات 1970، ويتعلق الأمر حسب هاته الرؤية بكتابة تاريخ ثورة التحرير الوطنية وإعادة كتابة كل ما يتعلق بالمراحل السابقة على ذلك باعتبار أن هاته الأحداث تعرضت للتشويه من قبل المؤرخين الكولونياليين، أما فيما يتعلق بالتأريخ الخاص بالمستعمر الذي ارتبط اسمه بمواقف الهيمنة الكولونيالية، فقد عُرف اسمه تلازما بمدرسة الجزائر العاصمة وقد امتدت هيمنته منذ ظهوره في القرن التاسع عشر(19)إلى غاية الاستقلال1962،

كما تميز من خلال حججه العملية بمسألة تبرير نظام الهيمنة الاستعماري، لذلك لا يمكننا فهم أصول نموذج التاريخ الذي عرف انتشارا موسعا بعد الاستقلال إذا ما نسينا هذا العنصر. ومما يستدعي التذكير به هنا، هو أن لهذا النموذج وجودا سابقا، يعود بنا إلى سنة 1920 مع وجود مثقفين معربين كانوا قريبين جدا من جمعية العلماء من أمثال مبارك الميلي وتوفيق المدني خاصة،حيث يعتبرون الجيل الأولالذي باشر خطوات كتابة التاريخ الوطني، الذي أعد خصيصا لمواجهة الإيديولوجية الكولونيالية (Haddad, 1984و(Ghalem, 1987).لقد حاول هؤلاء الحفر في الماضي البعيد لآثار وجود الأمة الجزائرية، ولقيت أعمالهم متابعة وتجديدا على المستوى المنهجي والمفاهيمي من قبل المثقفين من خريجي حزب الشعب الجزائري PPA، وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية MTLD، ثم من قبلمثقفين من جبهة التحرير الوطني FLN من أمثال محمد الشريف ساحلي،مصطفى الأشرف، الذين أعادوا الترتيب القيمي على المستوى الاجتماعي للتاريخ الوطني كما قام مؤرخون آخرون وهم من الحركة الوطنية كمحمد حربي، محفوظ قداش، وأبو القاسم سعد الله، الذين اشتغلوا بعد الاستقلال بجامعات جزائرية أو أجنبية، وانطلاقا من وضعياتهمالمتباينة إزاء معالم التاريخ الرسميتسنى لهم الاهتمام بالتطبيق الخاص لنموذج التاريخ. ولقد أشرنا لذلك في مساهمتنا الموسومة بـ:" المؤرخون أبناء الحركة الوطنية".

الجهاز المؤسساتي و آثاره :

تجدر الإشارة إلى أن مسألة كتابة وإعادة كتابة التاريخ قد لقيت منذ بداية انطلاقتها في سنة 1970مساندة مؤسساتية هامة، لذلك كانت البحوث عن مصادر المحافظة على الأرشيف من بين الأسس التي أدت أولا إلى تأسيس جوهر للأرشيفات الوطنية، ثم إلى تهيئة مركز جد هام ببناء صرح مميز في

سنة 1980 تزامنا مع تشييد المقر الجديد للمكتبة الوطنية، وتتمة لذلك كلهأنشئت مصالح تابعة للأرشيف الوطني في جميع الولايات،ثم انطلقت بداخل الوطن وخارجه وبفرنسا تحديدا حملة للإحصاء والجرد من أجل جلب الأرشيف، ليتم بعد ذلك تأسيس مركز وطني للدراسات التاريخية في 1971 (CNEH)،وقد كان على صلة مباشرة برئاسة الجمهورية ثم بوزارة الثقافة قبل أن يتحول إلى مركز وطني للبحوث التاريخية و القبل تاريخية والأنثروبولوجية CNRPAH، والذي تأسس في سنة 1993 تحت رعاية وزارة الثقافة، بالإضافة إلى مركز وطني للدراسات والبحوث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 (CNERMNR 54) المتصل بوزارة المجاهدين. كما تم على مستوى التعليم العالي وأثناء قيام الهيئة المكلفةبإعداد الخريطة الجامعية الوطنية سنة 1944 وبالنظر إلى الميول المتضاربة عند أعضائها حول تدريس التاريخ الاتفاق على فصل هذا التخصص عن جامعات الجزائر، وهران وقسنطينة، فقط من أجل أن يتولىمعهدا للتعليم العالي أولوية ذلك، وهذا ما لم يحدث أبدا، ومع بداية 1990 ومع فتح أقسام جديدة للتاريخ بمختلف الجامعات الجزائرية بدأ يتحقق هذا التوجه، كما أبانت حوالي 20 مجلة اهتماماتها من قريب أو من بعيد بالتاريخ وبالتخصصات التابعة له بالظهور منذ 1960 على مستوى الجامعات وعلى مستوى مراكز البحث وبعض المؤسسات الرسمية كوزارة الثقافة أو وزارة الشؤون الدينية. يمكننا في هذا المقام أن نقر بأن التحليل الإشكالي لمضامين بعض المذكرات والأطروحات المودعة بالجامعات والكتب المنشورة على مستوى دور النشر العمومية بإمكانه أن يعرض علينا بانوراما عن الإنتاج التأريخي بين سنوات 1960 وبداية سنوات 1970 وهذا ما قمنا به فعلا، (Remaoun, H. ,2003) وقد لا يكون بوسعنا التعرض إليه في هذا المقال إلا بالإيجاز، خاصة وأنه سمح لنا

بالوقوف على عدد من المقالات ببعضالمجلات التي تبدو بصفة متميزة وبقفزة نوعية تظهر على المستويات التالية :

1 -تقدم اللغة العربية التي أصبحت مهيمنة مقارنة باللغة الفرنسية نظرا لارتباطها بالنظام التربوي الجامعي المعرب.

2 -الزيادة العددية في عدد المقالات التي تتناول الفترة الكولونيالية مقارنة بتلك التي تتناول الماضي الإسلامي (كالتاريخ الوسيط، العثماني).

3 -هناك دائما زيادة في الاهتمام بأفعال المقاومة والانتفاضات المسلحة ضد التواجد الكولونيالي مع ظهور عمود خاص بالنسبة للفترة الكولونياليةيتناول حرب التحرير الوطنية بشكل مباشر، كما اهتمت قلة من المقالات بالمجتمع وبالسياسة الكولونيالية، أما فيما يتعلق بالنشاط السياسي للحركة الوطنية فلم تبرز إلا المقالات المتعلقة بالدور الفكري للعلماء المسلمين.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تبينلنا ملاحظة المستويين الثاني والثالث الآثار المباشرة للخطاب وللندوات والملتقيات الرسمية التي تهتم بتكريس الشرعية السياسية، والتي تتماشى مع ما يدرس بالمدرسة خاصة في تأويلها للأحداث وتبريرها للرقابة والرقابة الذاتية وعدم فقدان الذاكرة.

مسألة تدريس التاريخ:

قد لا يكون بوسعنافي هذا الإطار إظهار الجوانب السلبية للتاريخ كمادة تدريسية خاصة عندما نكون بصدد إعداد أو تطبيق النظام التربوي، ورغم أن هذا الموضوع قد أسال الكثير من الحبر، إلا أننا عندما كنا بصدد التفكير في بعض الخصوصيات التي كشفنا عنها عندما اطلعنا على المناهج والكتب الخاصة بالتاريخ المدرس بالمدرسة الجزائرية. (Maarouf, N. 1997)

خاصة وأنناوجدنا الكثير من الجوانب التي يجب أن نتطرق إليها. تجدر الإشارة أولا إلى الحديث عن دور ثورة أول نوفمبر 1954 واندلاعها، الذي يعتبر الحدث الأساس في تشكيل الدولة الوطنية الجزائرية، كما أن حرب التحرير الوطنية تحتل في هذا المقام الوظيفة نفسها التي أدتها ثورة 1789 الفرنسية أو الحرب من أجل الاستقلال بالولايات المتحدة الأمريكية، إلا أنه وفي حالة الجزائر اعتمدت كحدث مؤسس بشكل مبكر، حيث استثمرت في برامج التعليم في السنوات الأولى التي اعقبت الاستقلال الوطني مباشرة،خاصة وأن القادة الأساسيين للدولة الجديدة هم من نشطاء الثورة التي عرفت أشكال العنف المتنوعة والقمع بالإضافة إلى جملة التناقضات والاختلافات التي قوضت مجال الوطنية وكل شيء من شأنه إدخالالشك والقلق في جميع النفوس، ومن نتائج ذلك طبعا أننا جعلنا من التاريخ الوطني في مناهجنا الدراسية حلقة خاصة بالعنف الكولونيالي واختصرناه في رد فعل الجزائريين إزاء ذلك في محطات بطولية خلال الحرب التحريرية بالدرجة الأولى، وكذا في الانتفاضات الكبيرة السابقة في القرن التاسع عشر (19)أو أحداث ماي 1945، فحسب هذا التوجه الإيديولوجي تعد ثورة التحرير من وجهة نظر الشعبوية إنجازا خاصا بأحد الأبطال أو ببعضهم، متجاهلة الشعب بالمعنى الحقيقي للكلمة،ومتجاهلة حتى أولئك الذين لقوا حتفهم، وأولئك الذين ساهموا في ظهور الحركة الوطنية في النصف الأول من القرن العشرين.

تتمثل رؤية المؤرخ محمد حربي حول هاته الإشكاليةفي الأساطير الثلاثة التي يشير إليها، مع كل ما يمكن اعتباره أقصر طريق للتفسير المقدم سابقا، وتجاهل لكل ما لا يتفق مع ما هو رسمي، فالنموذج الخاص بالتاريخ الذي ينشر في هذا الإطار حسبه هو لإعطاء شرعية للنظام

السوسيوسياسي الجديد الذي أعدته الدولة الوطنية. ولتأكيد هذه الشرعية دأبت الدولة على الحفر والتنقيب في رمزية الإسلام الدينية، والتي تمثل جوهر الهوية الوطنية خاصة وأنها تمكنت من الإبقاء على الانسجام والتضامن بين أفراد الشعب ضد التثاقف الكولونيالي. وكخصوصية تميز بها التاريخ عند بعض أعضاء جمعية علماء الإصلاح إلى جوار الشهداء هو عندما تناول في بعض المناهج بعض المراحل السابقة على الفترة الكولونيالية، وهنا إشارة واضحة إلى أنالتاريخ الوطني من المفروض أن يسلك المسلك الذي يجعله يذوب في التاريخ العام للعالم الإسلامي الذي يصبو هو بدوره لأن يتركز حول المشرق العربي.

مع بداية العشرية التسعينية ظهرت مناهج أكثر إفصاحا للتوجهات الجديدة المقاربة للماضي الكولونيالي، فكتاب السنة التاسعة أساسي مثلا فيه من الابتكار والتجديد ما يجعلنا نتوقف على مستويين على الأقل وهما: أولا أن البرامج تعيد الاعتبار للفترة السابقة عن 1954 مع متابعته لظهور نشاط الحركة الوطنية بتقديمه لأهم مكوناتها ويتابع نسقه التسلسلي نحو إعادة تأهيل دور الشخصيات الوطنية البارزة كمصالي الحاج وفرحات عباس، ثم كان بعد ذلك أقل تجاهلا لما يتعلق بحرب التحرير الوطنية خاصة وأن أسماءًلبعض القادة الذين هم على قيد الحياة وهم بصدد إعطاء إضافات سياسية لاحقة قد ترد بشكل من الأشكال في هذه الكتب، وقد كان في هذا المضمار الحق للتلاميذ في الإطلاع على الصورة الفوتوغرافية الممثلة لأعضاء المندوبية الجزائرية في مفاوضات إيفيان، كما كانت لهم كذلك قراءة حول التضامن الدولي الذي لقيته القضية الوطنية حتى من داخل فرنسا نفسها.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتاب السنة السابعة أساسي الذي يتناول العهود العتيقة يعيد في حقيقة الأمر الاعتبار للماضي البربري ما قبل إسلامي معبرا بذلك عن الإرادة الحقيقية واستقلالية الديناميكية المغاربية الصحيحة مقارنة مع المشرق، أما إذا ما تريثنا عند تاريخ نوميديا و شخصياتها البارزة وتعددها الثقافي خاصة في الفترة اللاتينية فإنك تجدنا نتساءل بذلك عن كيفية تفسير مثل هذه التغيرات التي لا تتوقف عند هذا الحد، فتبعا لأشغال اللجنة الوطنية للإصلاح التربوي بالجزائر (CNRSE) التي استمر عملها طيلة السنة الممتدة من 2000 إلى غاية 2001 تقريبا، وكذا بعدما تم إلحاق اللجنة الوطنية الخاصة بالبرامج بوزارة التربية الوطنية التي تكلفت بتهيئة أرضية كلية في ثوب جديد للبرامج الخاصة بكل التخصصات الدراسية وبالمناهج التي أصبحت تنتظر التجسيد، حيث تم إعداد المجموعة الجديدة لهاته النسخة من المناهج الرسمية التي تغطي المراحل الابتدائيةوالمرحلة المتوسطة والثانوية وأصبحت سارية المفعول ومطبقة في كل المؤسسات بداية من السنة الدراسية 2007-2008.فأحداث أكتوبر 1988مثلا ومحاولات الانفتاح الديمقراطي والتصاعد الظاهر للإسلاموية، ثم المرحلة الإرهابية هي محطات يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار في هذا المقام، لأنها تدفع إلى إعادة تأسيس نموذج خاص بالتأريخ الذي يدخل مرحلة الأزمة المفتوحة.

باراديغم في أزمة :

إن تسجيل الانهيار العالمي لسعر المحروقات في 1986 وعدم القدرة على عرض بديل سوسيو إقتصادي ناجع لمجتمع لم يتهيأ بعد

للتخلص من قفزته الديموغرافية (خاصة و أن عدد السكان تضاعف ثلاث مرات خلال ربع قرن بعد الاستقلال) إن هذه المحطة هي من العوامل التي مست توجه الشعبوية التي وجدت ضالتها في عيون السكان وفي حدود القدرات التي خولت لها حق التوزيع العادل لتأتي بعد ذلك خلخلة الموارد المالية التي لم تسمح لهذا التوجه كنسق حتمي بهذا الدور. لقد تسنى أولا للشعبوية بسط هيمنتها لضبط ميزان التوافق بين التكنوقراطية التي من المفروض أن تصبح بارزة بفعل التصنيع وبين الرؤية الدينية المصيغة للهوية الوطنية التي تستطيع كذلك أن تراقب الإيديولوجية العامة للمجتمع وهذا ما يظهر جليا الميول الخاصة إزاء اتخاذ القرار السياسي المباشر عند فئة مقابل الأخرى، فالتنازلات التي كانت في الإمكان أن تحدث شريطة أن لا تكسر تعاملات معينة هي بالضرورة النموذج الذي من المفروض أن يقوم عليه وعلى أساسه التاريخ.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أعطى هذا النوع منالانهيارالاقتصادي الذي لا يسمح بتحقيق التوازنات الصحيحة الفرصة لرواد التوجه الديني لأن يفرضوا نمطهممن أجل شرعية سياسية جديدة تعتمد على نموذج علوم الدين، خاصة و أن المنحى الشعبوي قد أصبح في مهب الريح، و من ثم باتاستعمال الوطنية للتاريخ على وشك ترك المجال لاستعمال العلوم الدينية عن طريق الإسلاموي الذي استطاع نزع عقيدة العدالة الاجتماعية عن الشعبوي باعتماده على ختم القداسة الدينية، كما أن تقادم أعضاء الطبقة السياسية باعتبارهم سليلي حرب التحرير، وباعتبارهم في نهاية مشوار حياتهم بالإضافة إلى الفترة الطويلة للدولة الوطنية وقبولها لتوجهاتها

مقارنة بكل ما هو محافظ أو كل ما يقتضي جوهرا دينيا، كل ذلك دفع بأولئك الذين يتوجهون توجها دينيا إلى تدعيم فكرة توليهم وتأطيرهم لزمام المجتمع، خاصةوأن الشباب أصبح يعيش حالة من الإحباط الناتج عن إحساسه بخديعة النظام له.

إن ما وصلت إليه الشعبوية من كارثة حقيقية هو الذي دفع بها إلى البحث عن مخارج جديدة كاستحداث تحالفات مع التوجهات الليبيرالية في المجتمع والتي ضاق حالها كذلك،وأصبحت جنينية نتيجة لتهميشها وعدم قبولها، نظرا للالتزاماتتحت رهان الفكر النقدي والفلسفي اللذين قدما لنا فرصة إعادة اكتشاف الفضائل بالنظر إلى التوجهات الدوغمائية الدينية. لذلك بدأ بعض رجال الدين المهمشين داخل نطاق تياراتهما بالظهور كفلاسفة لأطر الفكر الصوفي. كما أنهم انفتحوا كذلك على الأنثروبولوجيا والتاريخ واللسانيات وعلوم التفسير في قوالب أكاديمية؟ إن ما يقودنا إلى نمطية مختلفة عن تلك التي تقدم بها العروي سابقا هو التقسيم أو الاقتراح الذي ذهب إليه علي الكنز في مداخلته بهذه الندوة حول وضعية وحالة المعارف بالعلوم الاجتماعية والإنسانية بالعالم العربي والتي مست أساسا نظرته الثلاثية للموضوع والمتعلقة بالأكاديمي والخبير والملتزم.

لذلك يمكننا أن نتساءل : هل استطاعت العلوم الإنسانية والاجتماعية في مجملها وليس فقط (التاريخ والفلسفةوعلوم الدين) أن تعي جيدا الاضطرابات التي وصلت إلى الفكر النقدي وهذا للخروج من النطاق البارايغمي الذي يصيغه لنا ويستعمله السياسي من أجل الاجتهاد

والنشر في المحيط الأكثر إيجابية ويناسب مجال البحوث الخاصة بالمعرفة وتراكماتها؟ وهذا ما يعطي لهذه المسألة الكثير من الدقة كما أن وجود مؤسسات تكفل هذه التخصصات المعرفية يمكنه أن يساهم في تدعيم هذا النوع من التقدم،لكن لا مانع في أن نفكر الموضوع بهذه الصيغة التي فيها من الحلم ما فيها، شريطة أن نعود لموضوعنا الذي هو على صلة بالتأريخ.

للختام : ما مصير التأريخ ؟:

إننا لسنا بصدد التبجح أو التهكم أو بصدد لعب دور الرسول عند الإدلاء بهذه المعلومات، لأن كل ما في الأمر أننا نحاول الكشف بدقة عن بعض الطرق المناسبة التي تساعدنا على استقراء ما سيحدث، فوفرة الجمعيات والتنظيمات واللقاءات والنشريات المتنوعة لها كموضوع استثمار وترجمة كل ما يتعلق بالماضي وهذا طبعا ما يدل على أن التأريخ سيستمر في تشكيل قضية المجتمع. أما الخطاب المعهود اليوم عند رجال السياسة والمتعلق بالانتقال من الشرعية الثورية إلى الشرعية الدستورية في أشكال تسيير نظام الحكم لا يجب أن يتجاهل ما يصبو إليه الكثيرون من أجل أن يتواصل عمل الباراديغم المصمم خصيصا للرؤية الشعبوية، ولكن إذا ظل التاريخ الوطني معبرا ضروريا لا يمكننا بأي حال من الأحوال تجاوزه فإن إعداده لا يجب أن ينطلق من الهيمنة الضاربة أطنابها في مثل ما عهدناه وعشناه في العشرية السابقة،لأن الأفواه تتشدق بطريقة تجعل الكثير من الناس يكتشفون المؤرخ بطريقة لا تختلف كثيرا عن مثل ما جرى عليه الحال مع السيد "جوردان" في

مؤلف "موليار" الذي اكتشف من خلاله أنه ناشر، إن كل ما يتصل بهذه الظاهرة المتعلقة بشهادات عناصر الحركة الوطنية وحرب التحرير،وهذا ما يجعلنا نجتهد لكي نتوصل إلى حقيقة هذا التخصص في حالة الذاكرة الخاصة بمجتمعنا من خلال بعض الأعمال و البحوث المصنفة في إطار التقسيم السوسيو أنثروبولوجي للتاريخ والذاكرة على مستوى مركز البحوث الأنثروبولوجية والاجتماعية والثقافية C.R.A.S.C و التي تقدم بها كل من سياري تنغور أوناسة، فؤاد صوفي، بن قادة الصادق التي تقتضي التنقيب عنها أيضا، خاصة إذا ما واصلت السلطات العمومية مراقبتها، من خلال الأفراد الذين يمثلونها أثناء إعدادها للبرامج المدرسية الرسمية، (وفي ذلك استعراض لجملة خاصة من السيادة حول هاته المسألة وهذا ليس حال الجزائر فقط)، فإن الانشغال سيكون منهجيا وتلقينيا، وهذا طبعا ما هو جار التحضير له وهو في مأخذه من الجد بشكل يجعلنا نتوقع أننا ذاهبون صوب ظهور وطنية خاصة وأننا دخلنا مناقصة فيها نوع من التردد ومآلها حقيقة أننا سنتجاوز عقلية الكتيب الوحيد والإجباري، ويتعلق الأمر كذلك بالتخصص الذي يهمنا في هذا المقال، لذلك فالمدرسة بدورها بدأت تتغير حول هاته النقطة.

يبدو لنا أن الفكر النقدي بدأ يكتسح الساحة لصالحه رغم كل شيء، ولا ينطبق هذا على فكرة التأريخ فقط،حيث تظهر هنا المكونات الغير مكتملة، للحكم من خلالها على ما سيقدمه لنا المستقبل. فجملة التحولات القاضية بتطور الدولة الوطنية وما تختزنه من تصديات للعولمة يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار، ويبقى على الجامعة في آخر

المطاف باعتبارها العلبة السوداء التي يتشكل على عاتقها المؤرخون المهنيون، أين يتم توظيف ممارسو إيديولوجية النظام، أن تستقطب مثقفين عضويين. فهل يتسنى لنا في ظل ذلك الرؤية النقدية المصاحبة للتغيرات العامة التي يعرفها المجتمع وعلى أي مستوى تكون السرعة إلى ذلك، خاصة وأن بعض المجالات الأكاديمية حول التاريخ، والتي كانت قائمة فيما مضى، يبدو أنها لن تتجاوز أزمة الباراديغم المقترح هنا.

المراجع:

- « L'intervention institutionnelle et son impact sur la pratique historiographique en Algérie : la politique «**d'Ecritures et de réécriture de l'histoire» tendances et contre - tendances** » janvier-juin 2003; in *Insaniyat* n° 19-20, (vol. VII, 1-2). «**Les historiens issus du Mouvement national**», Décembre 2004 in *Insaniyat,* n° 25-26, juillet - (vol.VIII, 3-4) «**L'Enseignement de l'histoire et la Guerre de libération nationale»** 2004; in *International Schulbuchforschung*n° 1, volume 26, , (Georg- Eckert - Institut, Braunshweig).
- Cf. à ce propos, Kuhn, Thomas, ***La structure des révolutions scientifiques***, 1983, Paris, Flammarion, ; et Piaget, Jean, et Garcia, Rolando, ***Psychogénèse et histoire des sciences***, 1983, Paris, Flammarion,.
- Laroui, Abdallah, ***L'idéologie arabe contemporaine***, 1970, Paris, Ed. Maspero.
- « **Du Mouvement national à l'Etat national : Le devenir des sciences sociales en Algérie et dans le Monde arabe** », 1986, Actes du colloque, *Les sciences sociales aujourd'hui* (Canastel, 26 au 29 mai 1984), Alger, Ed. OPU.
- « **La contrainte institutionnelle dans la pratique des disciplines sociales au Maghreb et dans le Monde arabe : Le cas de l'Algérie** », 1991, in Bourqia,R., et Hopkins, N., (Ed), *Le Maghreb : approches des mécanismes d'articulation*, Casablanca, Ed. Al-Kalam,.
- Oumlil, Ali, ***L'histoire et son discours. Essai sur la méthodologie d'Ibn Khaldoun***, 1982, Faculté des sciences humaines de Rabat, SMER. Cf., aussi à ce propos l'article « Diwan », dans *l'Encyclopédie de l'Islam*.

- Harbi, Mohammed, ***<u>1954, La guerre commence en Algérie</u>***, 1984,Bruxelles, Ed. Complexe.
- Cf. notamment, Haddab, Mustapha, «**<u>Histoire et modernité chez les Réformistes algériens</u>**», 1984, in *Connaissance du Maghreb*, Paris, Ed. du CNRS; et Ghalem, Mohammed, «**<u>Discours politique et histoire : El Mili et la naissance de l'histoire nationale</u>**» (en langue arabe) 26-27 avril 1987 (dactylographie). in Actes du séminaire : *Le Monde arabe et l'entre-deux Guerres de la vision de l'historiographie et de la production intellectuelle arabe*, URASC, Université d'Oran,
- Cf. Notre contribution, « **<u>Histoire nationale et pratiques Politico-identitaires : Une lecture des manuels d'histoire en usage dans l'école algérienne</u>** », Hiver 1997, in Marouf, Nadir et Carpentier, Claude (sous la direction de) *Langue, école, identités*, Paris, Ed L'Harmattan, 1997, Version en langue arabe dans *Insaniyat,* n° 3,.
- «**<u>L'enseignement de la Guerre de libération nationale (1954-1962), dans les anciens et nouveaux manuels d'histoire. Un enjeu pour l'affirmation de la culture de la citoyenneté</u>**», mars 2008, publié dans la revue *Tréma* n°29/ (IUFM de l'Académie de Montpellier).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حصيلة خمسين سنة من تحقيق المخطوطات التاريخية في الجزائر

د. عبيد بوداود،

مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية،

جامعة معسكر.

مقدمة:

نحاول من خلال هذا المقال، الوقوف عند جهود المؤرخين الجزائريين في تحقيق التراث الوطني المخطوط، وذلك بعد مرور خمسين سنة من استرجاع السيادة الوطنية، انطلاقا من مجموعة من الأسئلة، أهمها:

- ما مدى تقدير المؤرخين الجزائريين لأهمية التراث الوطني المخطوط في كتابة التاريخ الوطني؟
- ما هو حجم الأعمال التي قام بها المؤرخون الجزائريون في مجال تحقيق ودراسة المخطوطات؟
- فيم تتمثل أشكال تلك الأعمال؟
- ما هي الصعوبات التي تعترض جهود المؤرخين؟

ما من شك أنه من الصعب تقديم إجابات دقيقة وقطعية عل أغلب هذه الأسئلة، وذلك في ضوء صعوبة الإحاطة بكل ما أنجز إلى غاية الآن في مجال تحقيق المخطوطات في الجزائر، ولكن سوف نحاول تقديم وجهة نظرنا حيال الموضوع وفق ما توفر لنا من معطيات.

1- مدى تقدير المؤرخين الجزائريين لأهمية التراث الوطني المخطوط في كتابة التاريخ الوطني:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بدأ المؤرخون الجزائريون في كتابة تاريخهم الوطني بعد الاستقلال من موقع دفاعي، أي الدفاع عن الهوية الجزائرية والتاريخ الجزائري العريق، الذي حاولت المدرسة التاريخية الفرنسية طمسه وتشويهه. وبدأت البواكير الأولى لهذه الأعمال تظهر مع نهاية عقد الستينيات وبداية عقد السبعينيات من القرن الماضي. ولقد اعتمد أولئك المؤرخون في دراساتهم على الأرشيف الفرنسي بالدرجة الأولى، لاسيما في تغطية مرحلة تاريخ الجزائر خلال القرن التاسع عشر ميلادي، والنصف الأول من القرن العشرين. وظل اهتمامهم بتاريخ الجزائر ما قبل القرن التاسع عشر ميلادي، لاسيما الفترة العثمانية والوسيطة، وكذا التاريخ القديم قليلا بالمقارنة مع تاريخ الحركة الوطنية والثورة.

إن هذا الحقل من الدراسات التاريخية، أي التاريخ السياسي والعسكري بالدرجة الأولى، وفي فترة التاريخ الحديث والمعاصر، لم ينبه المؤرخين الجزائريين إلى أهمية توظيف التراث المخطوط، أو العمل على تحقيقه، لكن الحاجة إلى هذا التراث بدأت تزداد حينما بدأ المؤرخون الجزائريون يلتفتون إلى الحقب التاريخية ما قبل القرن التاسع عشر ميلادي، وإلى حقول التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن هذه الالتفاتة، وهذا الاهتمام بدأ يظهر، وبشكل فردي لدى طائفة من الباحثين الذين أدركوا أهمية توظيف التراث المخطوط، سواء أثناء إنجاز بعض أعمالهم البحثية، أو العمل على تحقيق بعض المخطوطات التي تيقنوا من أهميتها التاريخية. ومن ثمة توالت أعمال التحقيق، وشملت فترات تاريخية مختلفة لاسيما فترتي التاريخ الوسيط والعثماني. لكن نؤكد على أن هذه الأعمال ظلت مبادرات فردية، ولم ترق إلى مستوى سياسة وطنية

للبحث التاريخي. وسوف نشير في العنصر الثاني من هذا البحث إلى أهم الأعمال التي أنجزت.

في الحقيقة بدأ تحقيق بعض المؤلفات الجزائرية المخطوطة، منذ فترة الاحتلال الفرنسي، حيث عمل عدد من الباحثين الفرنسيين على تحقيق بعض النصوص المخطوطة، وترجمتها إلى الفرنسية، والتعليق عليها، ومن الأمثلة التي يمكننا الاستشهاد بها، ما قام به المستشرق ألفرد بل، حينما حقق كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ليحيى بن خلدون. إلا أن هذه الأعمال وغيرها (يمكننا الاطلاع على أغلب هذه الأعمال في أجزاء المجلة الإفريقية)، لم تتوخ الموضوعية العلمية، كما غلب على منهجها تخريج النصوص دون التعليق عليها، هذا الإخراج الذي جاء في الغالب سقيما بسبب محدودية مستوى أولئك الباحثين باللغة والخط العربيين. إلا أن هذه المبادرات، ورغم محدوديتها، وفقدانها للتحقيق الجيد، نبهت الباحثين الجزائريين فيما بعد لأهمية هذه النصوص.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن توسع اختصاص التاريخ في الجامعات الجزائرية، وفتح مشاريع لما بعد التدرج، وإرسال بعثات طلابية إلى الخارج، سواء إلى العالم العربي، أو إلى العالم الغربي، جعل الكثير من الباحثين في التاريخ من الجزائريين، يدركون أهمية توظيف النصوص المخطوطة لما تحمله هذه المصادر من معلومات نادرة قد لا تتوفر في المصادر المطبوعة، لاسيما حينما بدؤوا يلجون اختصاصات دقيقة في التاريخ، مثل التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

لكن لا بد أن نؤكد، أن توظيف النصوص المخطوطة في مختلف الأبحاث التاريخية، أو الإقدام على تحقيقها ظل محتشما، منذ السنوات الأولى للاستقلال وإلى غاية الآن، وإن كانت وتيرة التحقيق في حالة تصاعد

مستمر. وذلك لأسباب عديدة سوف نقف عندها في العناصر اللاحقة من هذا البحث.

2- حجم الأعمال التي قام بها المؤرخون الجزائريون في مجال تحقيق ودراسة المخطوطات:

بذل عدد من الباحثين الجزائريين جهودا معتبرة لنشر التراث الجزائري المخطوط وتحقيقه، منذ الاستقلال وإلى غاية الآن، ولقد ارتأينا في هذا المقام ذكر عناوين المخطوطات التي حققوها، بالإضافة إلى دار النشر، وسنة النشر، واقتصرنا على التعريف بموضوع بعض المخطوطات دون الأخرى إيثارا للاختصار:

إسماعيل العربي:

- سير الأئمة وأخبارهم لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر الورجلاني(ت471هـ/1078م)، المكتبة الوطنية الجزائرية، 1979، وديوان المطبوعات الجامعية، 1984.وهو من أقدم المصنفات الخاصة بتاريخ الإباضيين في المغرب، إذ زودنا بمعلومات حول دخول المذهب الإباضي إلى المغرب، وتطوره فيه، وعن تاريخ الرستميين، ومقاومة الإباضيين للفاطميين، كما زودنا بسير عدد من أعلام الإباضية المشهورين من المغرب الأوسط والأدنى خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين. ينقسم الكتاب إلى قسمين، القسم الأول ذو محتوى تاريخي، والقسم الثاني حوى تراجم عدد من الإباضيين البارزين من المغرب.

- سير مشائخ المغرب، لأبي الربيع سليمان عبد السلام بن حسان بن عبد الله الوسياني(ت571هـ/1175م)، ديوان المطبوعات الجامعية، 1985. ينتمي المؤلف إلى قبيلة بني وسيان الزناتية، التي كانت مضاربها بإقليم قسطالية من بلاد الجريد التونسية. ويتألف الكتاب من ثلاثة أجزاء، الجزء

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأول في مآثر أعلام الإباضية، بالإضافة إلى قضايا فقهية واجتماعية؛ وهذا الكتاب ثبت انتسابه للوسياني. أما الجزء الثاني الذي يحتمل أن أحد تلامذته هو الذي ألفه، فيتضمن أخبارا وقضايا مختلفة مع تراجم لبعض أعلام الإباضية. بينما يرجح أن يكون الجزء الثالث مأخوذا من سير أبي زكريا، ونسب للوسياني خطأ. إن هذا الكتاب يعتبر حلقة وصل بين ما ألفه ابن الصغير وأبو زكريا قبله في تاريخ الإباضية، ومن جاء بعده كالشماخيوالدرجيني. (سعيدوني، ن. 1999: 76- 79).

-وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر1816-1824، تعريب وتعليق وتقديم: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

رابح بونار:

- سنين القحط والمسغبة أو مجاعات قسنطينة، للصالح بن محمد العنتري (ت بعد 1293هـ/1876م)، الجزائر، 1974. ألف العنتري هذا الكتاب سنة 1870، واهتم فيه بتسليط الأضواء على الحياة الاقتصادية بقسنطينة أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، مركزا على سنوات القحط وما رافقها من غلاء في الأسعار ما بين سنتي 1803و1868. و الكتاب يقع في 76 صفحة.(سعيدوني، ن. 1999:535).

- ابن المبارك أحمد العطار، تاريخ قسنطينة، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، بدون تاريخ.

- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية للغبريني(ت704هـ)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970. بلغ عدد تراجمه مائة وتسع وأربعين ترجمة موزعة على النحو التالي: تراجم

البجائيين والجزائريين ومن يتصل بهم، تراجم الأندلسيين المهاجرين إلى بجاية ونواحيها، تراجم الغرباء الوافدين عليها من المشرق.

- مصباح الأرواح في أصول الفلاح (حول يهود توات)، لأبي عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909هـ/1504م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968. الكتاب عبارة عن رسالة وجهها الشيخ عبد الكريم المغيلي إلى فقهاء تلمسان وفاس يستفتيهم في شأن اليهود الذين أصبحوا يتبوأون منزلة اقتصادية وسياسية رفيعة في هذا الإقليم. الرسالة تنقسم إلى ثلاثة فصول: فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، والثاني فيما يلزم أهل الذمة في الجزية والصغار، والثالث فيما عليه يهود هذا الزمان في أكثر الأوطان من الجرأة والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية بتولية أرباب الشوكة وخدمة السلطان. نشر الكتاب "وألحق به أجوبة فقهاء تلمسان وفاس حول قضية اليهود بتوات، ونبذة من وصية المغيلي لسلطان كانو". (سعيدوني، ن. 1999:271- 273).

- خاتمة أنيس الغريب والمسافر في الطرائف والنوادر، أو تاريخ بايات وهران المتأخرين، لمسلم بن عبد القادر الوهراني (ت1248هـ/1832م)، الجزائر، 1974. وهو كتاب في تاريخ وهران وناحيتها في الخمسين سنة الأخيرة التي سبقت الاحتلال الفرنسي، حاول فيه الإلمام بما حث في عهد البايات المتأخرين.(سعيدوني، ن. 1999 : 471).

محمد بن عبد الكريم:

- بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، لأبي المكارم عبد القادر المشرفي الجزائري(ت1192هـ/1778م)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت. وهو يتحدث فيه بإيجاز إلى أصل الإسبان وموطنهم، ثم بشيء من التفصيل

لقبائل بني عامر ونسبهم، وتعاونهم مع الإسبان، ودوافعهم وراء ذلك، مع كلام مختصر عن علماء عصره، ورجال الدولة على عهده.(سعيدوني، ن. 1999:413).والكتاب في عمومه صغير الحجم، حيث لا يتعدى واحدا وستين صفحة، منها أربعين صفحة تشكل المتن، أما البقية فهي عبارة عن فهارس، وقائمة المصادر والمراجع المعتمدة في التحقيق، وهو لا يتضمن فصولا ولا عناصر، وإنما هو عبارة عن فقرات متتابعة.

- إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس عن الوباء لحمدان بن عثمان خوجة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968،وهو كتاب في الطب والوباء، قدم فيه المؤلف معلومات طبية، وأكد على أهمية العزل الصحي الذي أخذ به الأوربيون لتجنب انتشار الأوبئة.

- التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية لابن ميمون محمد الزواوي الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، وهو في سيرة الداي محمد بكداش(1707/1710)، ضمن كتابه مجموعة من الأشعار بلغ عدد أبياتها سبعمائة وخمسة وتسعين بيتا، وذلك في شكل مقامات، وصلت إلى ست عشرة مقامة، كل مقامة تحمل عنوانا مستقلا يعكس الموضوع الذي تعالجه أو تتعرض إليه. وجاء الكتاب حافلا بالمعلومات التاريخية عن أوضاع الجزائر في مطلع القرن 18م.

- رحلة محمد الكبير باي الغرب إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، لأحمد بن هطال التلمساني (ت1219هـ/1804م)، القاهرة، 1969. وهو تسجيل دقيق لحملة محمد بن عثمان الكبير على عين ماضي والأغواط وجبل عمور، سجل فيها سير المحلة، وأسماء الأماكن التي مرت بها، ومقدار الغنائم التي تحصل عليها الباي، كما تعرض لحالة السكان ووضعية العمران، وعلاقة الرعية بالحكام.(سعيدوني، ن. 1999:448- 449).

- فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، لأبي راس محمد بن أحمد المعسكري (ت1238هـ/1823م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990. يرصد الكتاب حياة أبي راس الذاتية والعلمية، وهو يتألف من خمسة أبواب، الباب الأول: ابتداء أمري، الباب الثاني: في ذكر أشياخي النافضين عني قشب أوساخي شريعة وحقيقة وقرآنا وطريقة، الباب الثالث: في رحلتي للمشرق والمغرب وغيرهما، ولقاء العلماء الأعلام، وما جرى لي معهم من المراجعة والكلام، الباب الرابع: في الأسئلة وما يتعلق بها، الباب الخامس: المسمى بـ:"العسجد والإبريز" في عدة ما ألفت بين بسيط ووسيط ووجيز.

- ابن العنابي محمد بن محمود، السعي المحمود في نظام الجنود، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

- ابن العنتري محمد الصالح، مجاعات قسنطينة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

- مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

عبد الحميد حاجيات:

- أخبار المهدي بن تومرت للبيدق أبي بكر بن علي الصنهاجي(ت حوالي 555هـ/1160م)، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974. أعادت المكتبة الوطنية طبعه سنة 1980، والمؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1986. ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام: قسم يذكر فيه عودة ابن تومرت إلى المغرب، حركته الإصلاحية، دعوته إلى تأسيس نظام سياسي جديد، غزواته، وفاته. قسم يذكر فيه بيعة عبد المؤمن، غزواته، وفاته. قسم

يذكر فيه قائمة الثائرين على الموحدين في المغرب، وأخرى في الأندلس، وقائمة الحصون التي بناها المرابطون.

- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ليحيى بن خلدون(ت780هـ)، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980. الجزء الثاني حققه بوزيان الدراجي.

- تاريخ دولة الأدارسة (قسم من كتاب نظم الدر والعقيان)، الجزائر، 1984.

أبو القاسم سعد الله:

- منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، للشيخ عبد الكريم الفكون(ت1073هـ/1662م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987. وهو كتاب يعكس نظرة نقدية تجاه مدعي التصوف لا سيما في مدينة قسنطينة والشرق الجزائري على عهد المؤلف، ينقسم الكتاب إلى ثلاثة فصول، الفصل الأول بعنوان: في من لقيناه من العلماء والصلحاء المقتدى بهم ومن قبل زمنهم ممن نقلت إلينا أحوالهم وصفاتهم تواترا. الفصل الثاني: فيمن تعاطى المنصب الشرعي لادعائه العلم، وهم كل من ادعى ما لا يصح له من خطة وتدريس وغيرهما إلا قليلا وفي الحديث كلابس ثوب زور، الفصل الثالث: فيمن ادعى الولاية من الدجاجلة الكذابين والمتشدقة والمبتدعة الضالين المضلين. خاتمة الكتاب: في ذكر من أردنا ذكره من الأصحاب والأحباب.

- رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة: لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال لعبد الرزاق بن حمادوش الجزائري(ت حوالي 1200هـ/1785م)، منشورات المكتبة الوطنية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983. اعتمد المحقق على النسخة المخطوطة الوحيدة المتوفرة لحد

الآن، وهي الموجودة في الخزانة العامة بالربط تحت رقم ك 463، والتي تتضمن الجزء الثاني من الرحلة، أما بقية الأجزاء فهي في حكم المفقود. يتضمن هذا الجزء من الكتاب رحلة ابن حمادوش إلى المغرب الأقصى، وتحديدا إلى مدن تطوان، مكناس، فاس ثم العودة إلى مدينة الجزائر. الكتاب حافل بوثائق مهمة في التاريخ الاجتماعي والديني والأدبي، كما يسلط الأضواء على شخص المؤلف الذي لا نتوفر على معلومات عنه في مصادر أخرى.

- رسالة الغريب إلى الحبيب" تقع في حدود خمس وسبعين ورقة، بيروت، 1993. وهي في شكل رسالة أدبية استهلها أحمد البجائيبقصيدة يشيد فيها بأبي الفضل المشدالي ومكانته العلمية وذكرياته معه، بعدها أوضح أن هذه الرسالة هي جواب عن خطاب وصله من المشدالي المقيم بالقاهرة، وقد ذكر فيما بقي من الرسالة تحوله من مصر إلى الحجاز مفارقا أبي الفضل الذي ظل متعلقا به يراسله باستمرار دون أن يتلقى ردا يريح قلبه ويشفي غليله" (سعيدوني،ن. 1999: 240- 241) لأبي عصيدة أحمد بن أحمد البجائي (ت حوالي 865هـ/1460م. تقع في خمس وسبعين ورقة، استهلها المؤلف بقصيدة شعرية يشيد فيها بأبي الفضل المشدالي ومنزلته العلمية وذكرياته معه. وتضمنت بقية الرسالة خبر انتقاله من مصر إلى الحجاز مفارقا أبي الفضل المشدالي، ثم يروي حياته بالحجاز، وانتقاله بعد ذلك إلى تونس، وعودته إلى الحجاز. قام الدكتور أبو القاسم سعد الله بنشر هذه الرسالة مع نبذ من أنيس الغريب وروض الأديب.

يحيى بوعزيز:

- روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، للشيخ محمد بن صعد الأنصاري التلمساني(ت901هـ)، منشورات الوكالة الوطنية للنشر

ولإشهارANEP، الجزائر، 2004. وهو في التعريف بأربع شخصيات من متأخري صوفية المغرب الأوسط، وهم: محمد بن عمر الهواري، وإبراهيم التازي، والحسن أبركان، وأحمد بن الحسن الغماري.

- طلوع سعد السعود، للأغا بن عودة المزاري (ت بعد 1315هـ/1877م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990. يوجد هذا الكتاب في جزأين، الجزء الأول به أربعمائة وخمس صفحات، والجزء الثاني به أربعمائة وسبع وعشرين صفحة.

إن العنوان الحقيقي لهذا الكتاب، هو طلوع سعد السعود في تاريخ وهران ومخزنها الأسود، والمحقق هو الذي أدخل عليه هذا التعديل حتى يتجاوب مع مضمونه، الذي يذكر عنه المحقق ما يلي:" فقد توسع مؤلفه الآغا إسماعيل بن عودة المزاري في التأريخ لمدينة وهران، والجزائر، والغرب الوهراني، وإسبانيا، وفرنسا، والأتراك العثمانيين، من غابر العصور إلى عهده عام 1890م". (المزاري،أ.1990. ج1: أ)

يعود تاريخ تأليف المخطوط إلى نهاية عقد الثمانينيات وبداية عقد التسعينيات من القرن التاسع عشر، ويتشكل من خمسة أقسام يحمل كل واحد منها اسم مقصد، وهي:"

- المقصد الأول: فيمن بنى وهران، وفيمن أمر ببنائها، وأي تاريخ بنيت فيه. وبه 8 صفحات، من4 إلى 11.

- المقصد الثاني: في ذكر بعض أوليائها والتعريف بهم، وبه 20 صفحة، من 11 إلى 30.

- المقصد الثالث: في ذكر بعض علمائها والتعريف بهم، وبه 9 صفحات، من 30إلى38.

- المقصد الرابع: في ذكر الدول التي حكمتها، وهي تسع، وبه 486 صفحة، من 38 إلى 523.

- مقصد الخامس: في ذكر مخزنها وهو عين المراد، وبه 59 صفحة، من 523 إلى 582."(المزاري، أ.1990. ج1: 15)

- فريدة مؤنسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها المعروفة بتاريخ قسنطينة، للصالح بن محمد العنتري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991.

ناصر الدين سعيدوني:

- القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط للشيخ أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشدي(ت بعد 1301هـ/1883م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991. تعرض المؤلف في هذا الكتاب لقضايا عديدة، وأحداث متفرقة، بعضها عاصرها، وكان شاهد عيان عليها، والبعض الآخر نقلها عن غيره؛ ومن بين ما تعرض إليه: ثورة بوعمامة(1881- 1904)، حقيقة الرؤيا الصالحة، الحديث عن الإمامة وشروطها، بعض الانتفاضات التي وقعت بالغرب الجزائري، ثورة الأمير عبد القادر، بعض المجاعات والأوبئة والفيضانات بالناحية الغربية، ذكر سيدي الهواري، استيلاء الإسبان على وهران، فتح وهران الأول والثاني إلخ...

- الشويهد عبد الله بن محمد، قانون أسواق مدينة الجزائر 1107-1117 هـ/1695- 1705م، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006.

محمد العربي الزبيري:

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

- المرآة، لمحة تاريخية وإحصائية عن إيالة الجزائر، لحمدان بن عثمان خوجة (ت حوالي 1261هـ/1845م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية، 1982. وترجمة محمد بن عبد الكريم، بيروت، 1972.

- مذكرات لحمدان بن عثمان خوجة، ترجمة محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973.

المهدي البوعبدلي:

- الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، لأحمد بن محمد بن سحنون الراشدي (ت بعد عام 1211هـ/1796م)، قسنطينة، 1973. يتعرض الكتاب لشرح أرجوزة وضعها المؤلف في الفتح الثاني لوهران.

- دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران لمحمد بن يوسف الزياني (ت بعد 1320هـ/1902م)، الجزائر، 1978. يتألف الكتاب من قسمين: القسم الأول وبه أربعة فصول: في التعريف بوهران، في ذكر من اختطها، في ذكر بعض علمائها وأوليائها، وفي ذكر من ملكها من حين اختطت إلى هذا الزمان. أما القسم الثاني فتعرض فيه لحكم بني زيان، وأصل الإسبان وبلادهم واحتلالهم لوهران، ثم الحكم العثماني، وأخبار بايات الغرب.

إبراهيم طلاي:

- طبقات المشائخ لأبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني(ت670هـ/1271م)، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974. ولد الدرجيني بنفطة من بلاد الجريد، ثم انتقل إلى ورجلان سنة 616هـ/1220م، ثم عاد بعد سنتين إلى منطقة الجريد، وواصل تعلمه بتوزر، وتوفي ودفن بها. ألف كتابه هذا نزولا عند طلب بعض مشائخ

الإباضية أثناء إقامته بينهم في جربة. ضمن كتابه في جزئه الأول ما كتبه أبو زكريا الورجلاني مع تعقيبات مهمة، وتعرض في الجزء الثاني إلى الترجمة لعدد من العلماء الإباضيين المشاهير، فبلغ من ترجم لهم مائة وعشرين ترجمة من المغاربة والمشارقة.

- الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات لأبي القاسم إبراهيم البرادي(ق8هـ)، " الذي هذب وأكمل به كتاب الدرجيني".(علاوة، ع.2008: 174- 175.)

عبد الرحمان طالب:

- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم التلمساني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986. وهو في الترجمة لعدد معتبر من العلماء والأولياء الذين ينتسبون لتلمسان بالولادة أو الإقامة أو الزيارة أو الوفاة. أعاد تحقيقه الدكتور عبد القادر بوباية سنة 2011، وطبع بمكتبة الرشاد للطباعة والنشر بسيدي بلعباس، في إطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

إبراهيم بحاز ومحمد ناصر:

- أخبار الأئمة الرستميين لابن الصغير، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

محمود بوعياد:

- نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان للتنسي محمد بن عبد الله (ت899هـ)، حقق محمود بوعياد قسم منه عنونه بـ: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان، المؤسسة الوطنية للكتاب والمكتبة الوطنية الجزائرية، 1985.

مختار حساني:

- الدرر المكنونة في نوازل مازونةللمازوني أبي زكريا يحيى بن موسى (ت833هـ). وهو كتاب في النوازل، تضمن فتاوى المازوني، وغيره من مشاهير فقهاء المغرب الأوسط.

- تاريخ تحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني خلال القرن الثامن عشر الميلادي من خلال مخطوطتين، الجزء الأول فتح مدينة وهران للجامعي، وهو في موضوع فتح وهران سنة 1708م، الجزء الثاني الرحلة القمرية(1792) لابن زرفة، منشورات مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، 2003.وهو في تاريخ مدينة وهران، تضمن مسائل مختلفة، بما في ذلك الفتح الثاني لوهران من قبل محمد بن عثمان الكبير.

- ابن زرفة، أبو محمد المصطفى بن عبد الله بن عبد الرحمن، الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، 2003.

مصطفى محمد الغماري:

- شرح أم البراهين في علم الكلام، لأبي عبد الله السنوسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

محمد الأمين بلغيث:

- كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، لأحمد بن يحيى الونشريسي، النشر لافوميك1985. الكتاب من الحجم المتوسط فهو في حدود 85 صفحة، وموضوعه النظم في المغرب الإسلامي وتطور خطة القضاء. ينقسم الكتاب إلى قسمين، القسم الأول: كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية، والقسم الثاني: كتاب الأقضية.

جلول أحمد البدوي:

- أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، لأبي عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984. يتضمن الكتاب معلومات هامة عن الدعوة الإسماعيلية والدولة الفاطمية بالمغرب، وثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد

محمد بن معمر:

- رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، لأبي العباس أحمد المقري(ت 1041هـ/1631م)، منشورات مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004." يحتوي الكتاب على معلومات هامة، وهي تتعلق بحياة المقري الشخصية في تلمسان والمغرب الأقصى ومصر والشام والحجاز. ويعالج الحياة الثقافية والأدبية في عصر المؤلف، وهو يتضمن في نفس الوقت معلومات تاريخية عن بلاد المغرب وأرض الحجاز واليمن، وبعض القضايا الفقهية والعقدية وغير ذلك"(المقري،أ.9 :2004.)

http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبد القادر زبادية:

- أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

محمد بوكوشة:

- الديوان لأبي عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني (ت حوالي 1088هـ/1677م)، الجزائر، 1968.(نشر رابح بونار سنة 1976 القصائد العامية للمنداسي المجموعة في مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقم 1989 ورقات 114- 124، وتتضمن ست قصائد مجموع أبياتها 352 بيتا مع القصيدة النونية. أنظر: (سعيدوني،ن.1999:372.)

محمد بخوشة:

- الديوان، لأبي عبد الله محمد بن مسايب التلمساني (ت حوالي 1190هـ/1776م)، نشره بتلمسان سنة 1370هـ، وأعاد نشره محققا الحفناوي أمقرانالسحنوني وأسماء سيفاوي، الجزائر، 1989.

- الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، لمحمد بن رقية الجديري التلمساني (ت بعد 1194هـ/1780م)، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، العدد 3، 1967، ص ص2- 32. فرغ المؤلف من وضع كتابه سنة 1779م، وجاء تأليفه استجابة لطلب الباي محمد بن عثمان الكبير باي وهران، وتضمن الكتاب عرض تسع حملات عسكرية تعرضت لها الجزائر بين 1516مو1775م.

أحمد توفيق المدني:

- مذكرات 1754- 1830 للحاج أحمد الشريف الزهار (1289هـ/1872م)، الجزائر، 1974. يعتبر الكتاب تقاييد شخصية تعرض فيها صاحبه إلى الفترة الأخيرة من العهد العثماني، ومرحلة المقاومة بزعامة كل من الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي.(سعيدوني،ن. 1999: 516)

-الحاج أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار - نقيب الأشراف- ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1980.

سليم بابا عمر:

- الجديري محمد، "الزهرة النائرة فيما جرى للجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة"، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، العدد الثالث، يوليو 1976.

محمد غالم:

- محمد بن أحمد أبي راس الناصري. عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران،

الجزء الأول طبع سنة 2005 أما الجزء الثاني فقد طبع سنة 2008 بنفس المركز.

عبد القادر بوباية:

- مفاخر البربر لمؤلف مجهول، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2005؛ والطبعة الثانية اكتشف من خلالها الباحث مؤلف الكتاب حيث نسبه لأبي عبيد الله صالح بن عبد الحليم الإيلاني المصمودي، وطبع بنفس الدار.

لا ندعي أننا أحطنا بكل الأعمال المنشورة والمحققة للتراث الجزائري المخطوط من قبل باحثي المدرسة التاريخية الجزائرية، فربما قد أغفلنا ذكر بعض تلك الأعمال، لكن العناوين المذكورة تمثل أهم ما أنجز في هذا الإطار.

نلاحظ على هذه الأعمال أنها كانت أكثر اهتماما بتاريخ الجزائر خلال مرحلتي التاريخ الوسيط والحديث خاصة الفترة العثمانية، هذه الأخيرة التي تزخر بحجم أكبر من المخطوطات مقارنة بالفترات التاريخية السابقة. وإن مجهودات المؤرخين الجزائريين تراوحت بين النشر والدراسة والتحقيق. وإن بعض هذه الأعمال المعروضة لم تقتصر على تاريخ الجزائر فقط، وإنما تناولتها في إطار تاريخ المغرب الإسلامي مثلا فأدرجناها ضمن التراث الجزائري المخطوط.

ولا بد أن نشير أن العديد من المؤرخين الجزائريين ساهموا في تحقيق التراث العربي والإسلامي، سواء المتعلق منه بتاريخ المغرب

الإسلامي والأندلس، أو تاريخ المشرق الإسلامي، لكننا ارتأينا حصر الموضوع في تاريخ الجزائر، حتى نستطيع الإحاطة به، والتحكم فيه.

3- أشكال تلك الأعمال:

لقد اتخذت مساهمات الباحثين الجزائريين في تحقيق التراث الجزائري المخطوط أشكالا متعددة، فمن حيث طبيعة الدراسة، تراوحت بين الأطاريح الجامعية، وبين الدراسات الأكاديمية المستقلة، وبين أعمال الهواة من المهتمين بالمخطوط والتراث عموما. وتفاوت حجم هذه الأعمال من طبيعة دراسة إلى أخرى، حيث نجد قلة من الباحثين الجزائريين قد أنجزت أطاريحها الجامعية في موضوع يتعلق بتحقيق المخطوط، وهذا يطرح أكثر من سؤال. فلماذا هذا العزوف؟ وما هي مبرراته أو مسوغاته؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سبق وأن ذكرنا أن المؤرخين الجزائريين، اهتموا في البداية بالتاريخ السياسي والعسكري، وأهملوا الحقول التاريخية الأخرى، وبالتالي لم يجدوا أنفسهم مجبرين على الخوض في الحقول التاريخية التي تدفعهم إلى الاهتمام بالتراث المخطوط، خاصة وأنهم ركزوا أكثر في دراساتهم على التاريخ المعاصر، لاسيما تاريخ الحركة الوطنية، والثورة الجزائرية، كما أن الباحثين الجزائريين الشباب لم يجدوا التشجيع من قبل الهيئات العلمية في الجامعات للانخراط في هذا النوع من الدراسات، وهذا ما أحدث الفارق بين حجم الدراسات المهتمة بتحقيق المخطوطات في الجامعات الجزائرية، وغيرها من الجامعات الأجنبية.

كما أن برامج دراسة التاريخ في الجامعات الجزائرية قلما تعكس اهتماما بتحقيق المخطوطات، ويمكننا التأكد من هذه الحقيقة من خلال الاطلاع على عناوين المقاييس المعتمدة من قبل الوزارة الوصية في نظام التعليم الكلاسيكي لطلبة ليسانس تاريخ. أما الدراسات لما بعد التدرج، فقلما نجد مشاريع اهتمت بهذا الحقل من الدراسات التاريخية. هذا بالإضافة إلى عدد الطلاب المسجلين في أقسام التاريخ، والذي كان عددهم قليلا في السنوات الأولى للاستقلال، وكان اختصاص التاريخ متوفر فقط في ثلاث جامعات،وهي جامعات الجزائر ووهران وقسنطينة.

لقد أصبح اليوم عدد الطلاب في التاريخ كبيرا، وعمم اختصاص التاريخ على أغلب الجامعات الجزائرية، التي أصبح عددها يضاهي عدد ولايات الوطن، كما منح نظام التكوين الجديد في الجامعات الجزائرية حرية أكبر أمام الأساتذة لاختيار المشاريع والبرامج. ونأمل أن يجد تحقيق المخطوطات حيزا في اهتمامات الباحثين من أساتذة وطلاب.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن أغلب الدراسات المتعلقة بتحقيق التراث الجزائري المخطوط، جاءت في شكل دراسات أكاديمية مستقلة، وذلك تبعا لاهتمامات أصحابها. وهنا لابد من أن ننوه ببعض الأعمال الجليلة التي قام بها بعض المؤرخين الجزائريين من أمثال أبي القاسم سعد الله، وناصر الدين سعيدوني، ويحيى بوعزيز، ورابح بونار، وعبد الحميد حاجيات، ومحمد بن عبد الكريم، وغيرهم. وكذا الجيل الثاني من المؤرخين الجزائريين الذين بذلوا جهودا مضنية في نفض الغبار عن المخطوط الجزائري، ووضعه

تحت تصرف الباحثين والمهتمين، نذكر منهم محمد بن معمر وعبد القادر بوباية، وغيرهما.

أما من حيث نوع الدراسة، فبعضها كان في شكل تحقيق ودراسة، أما البعض الآخر، فاقتصر على النشر فقط. ونحن في هذه المرحلة نحتاج إلى الإخراج الجيد لكل النصوص الجزائرية المخطوطة حتى نربح الرهان في معركة إنقاذ المخطوطات الجزائرية من الأخطار التي تتهددها.

إن غياب بيبليوغرافيا جزائرية متجددة، لا يسمح لنا بالاطلاع على كل ما أنجز من أعمال سواء في هذا الحقل من الدراسات أو غيره، مما قد يحول دون رسم صورة مكتملة عن هذا الموضوع، وهنا نستسمح كل الباحثين عذرا ممن لم نتمكن من ذكر إسهاماتهم في هذا المجال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

4- الصعوبات التي تعترض جهود المؤرخين:

إن المؤرخين والباحثين الجزائريين بذلوا جهودا كبيرة من أجل تحقيق التراث الجزائري المخطوط،وذلك في حدود ما توفر لهم من إمكانات، وإن كان هذا الحمل قد وقع على البعض دون الكل. ولقد اعترضت هذه المسيرة مشاكل متعددة، ذكرنا البعض منها في ثنايا هذا الموضوع، وسوف نذكر البعض الآخر في هذا العنصر.

أولا: غياب أو عدم تحيين فهرسة للتراث الجزائري المخطوط، والمتناثر هنا وهناك، مما صعب أمام الباحثين إمكانية الاطلاع على عناوين المخطوطات، فالمكتبة الوطنية الجزائرية لم تعرف فهرسة شاملة لكل مخطوطاتها منذ العمل الأول الذي قام به إدموند فانيون سنة

في ختام هذا العمل، نؤكد على أهمية حصيلة ما أنجز من أعمال في ميدان تحقيق المخطوطات في الجزائر، من قبل الباحثين الجزائريين، على الرغم من الصعوبات التي اعترضت الرعيل الأول من المؤرخين الجزائريين، وعلى الرغم من أن هذه الحصيلة لم ترتق إلى الطموحات المنشودة.

كما أن حقل البحث في دراسة وتحقيق المخطوطات في الجزائر لا يزال بكرا، وهو يعد بآفاق واعدة، وذلك من خلال ما يبذل من جهود في مجال الفهرسة، وتوفير الإمكانات المطلوبة. وإن تأسيس عدة مخابر للبحث في هذا النوع من الدراسات التاريخية، وفتح دراسات لما بعد التدرج في هذا الاختصاص، سوف يمكن من تكوين عدد مهم من الباحثين المختصين، مما قد يرفع عدد الأعمال الأكاديمية في هذا الحقل.

بيبليوغرافيا البحث:

- المزاري، الآغا بن عودة. (1990). طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، دراسة وتحقيق يحيى بوعزيز. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- المقري، أبو العباس أحمد.(2004). رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تحقيق محمد بن معمر. الجزائر: مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع.
- سعيدوني،ناصر الدين .(1999). من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي.بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- علاوة،عمارة. (2008). دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

النضال الصحفي للنخبة الجزائرية بتونس 1900- 1956

د. خير الدين شترة،
قسم التاريخ ،
جامعة أدرار.

ملخص:

لقد كان للصحف التونسية وغيرها من المنشورات الوافدة على الجزائر من تونس الأثر البالغ على الحياة الثقافية والأدبية بها؛ وذلك من خلال ما كانت تقوم به بعض الصحف من متابعة مسيرة النهضة الأدبية والسياسية والفكرية في الجزائر، وفتح صدرها لبعض النخب الجزائرية لينشروا بعض أعمالهم ببعضها (كالعصر الجديد والنهضة والزهرة، والوزير، والصباح..) وغيرها.

وبفضل ما أتاحت الصحف التونسية من مجالات للتعبير والكتابة بالنسبة للنخب الجزائرية ظهرت النواة الأولى للأدباء والكتّاب والشعراء الذين كانت ولادتهم الأدبية والفكرية والسياسية في الصحف والمجلات التونسية التي تبنّت سر إنتاجهم المبكّر وتشجيعهم على الكتابة وتحريضهم بكل الوسائل على تناول القضايا الوطنية الجزائرية والتعريف بنضال شعبهم، ففي الصحف والمجلات التونسية نجد آثاراً أدبية وفكرية لأبرز أعلام الأدب والفكر في الجزائر، مثلما نجد كتابات أخرى لأدباء وكتّاب ومفكرين جزائريين كانوا درسوا بالزيتونة وأقاموا بتونس وساهموا بالإنتاج في فترة ما، فبقي هذا الإنتاج مغموراً في هذه الصحف ومجهولاً من قبل الدارسين الجزائريين. ويمكن تلخيص إنتاجهم في هذه المحاور:

- الانصراف عن الأغراض الذاتية الضيّقة والالتزام بالتعبير عن الوجدان الجماعي للأمة.
- الاندماج في الواقع الوطني والعمل من أجل النهوض بالمجتمع وترقيته وإصلاح حاله.
- الحض على الاستمرار في حركة الجهاد لإفشال الخطط التغريبية إزاء عناصر الهوية الحضارية .
- مواكبة مسيرة العمل الوطني والثوري، وحث الشعب على الالتفاف حولها.

التعاطف مع قضايا الأمة العربية الإسلامية، والمشكلات الإنسانية، ويمكن أن نميّز في هذه الاهتمامات جملة من المضامين من بينها: البعد الديني، البعد الوطني، البعد الاجتماعي والثوري، البعد القومي والإنساني.

مدخل:

تُمثل نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حقبة بالغة الأهمية؛ تتميّز بأزمة عميقة في الفلك الثقافي الجزائري..، حيث كانت السنوات الأولى من القرن العشرين شاهدة على تأرجح المجتمع الجزائري بعد أن نخره التطور الاستعماري، مجتمع يحكمه قانون التبعية الأهلية، مجتمع مفكك البني عاجز عن المقاومة الفعالة لهيمنة سلطة الدولة الاستعمارية وتظهر العناصر الأولى من أنتلجنسيا جديدة ترتب جزئيًا على الأقل في الجهاز الثقافي الاستعماري يتنازعها الغرب الذي يفرض نفسه ماديًا، والفكر الإسلامي الذي لازال المحرك للمجتمع لذا فهي أنتلجنسيا هشّة حاولت استبدال المقاومة الجريئة في رفضها القبول بالأمر الواقع بنمط جديد من المواقف والتصرفات وسلوك موارب يُفضي بالتخلي عن

ساحة المجابهة المباشرة للاستعمار ونقل الصراع إلى الجبهة المطاطة حيث استبطان القيم الاستعمارية ثم نقلها ونشرها لإقامة مجتمع جديد**(عوض، 1992م، ص. 215)**، وكانت الصحافة أولى السبل التي سلكها أصحاب هذا الاتجاه للتعبير عن آرائهم وأفكارهم.

وقد كان للصحف التونسية وغيرها من المنشورات الوافدة على الجزائر من تونس الأثر البالغ على الحياة الثقافية والأدبية بها؛ وذلك من خلال ما كانت تقوم به بعض الصحف من متابعة مسيرة النهضة الأدبية في الجزائر، وفتح صدرها لبعض النخب الجزائرية لينشروا بعض أعمالهم ببعضها (كالعصر الجديد والنهضة والزهرة، والوزير، والصباح..) وغيرها.

ويؤكد ابن باديس على عمق هذه الأواصر الأخوية بين الجزائر وتونس فيقول: «إن الروابط عديدة بين الجزائر وتونس بل بين المغرب العربي بصفة عامة.. كالروابط العلمية والسياسية التي ذاقت بها هذه حلاوة الاستقلال تحت ظل الإسلام والتاريخ يشهد بذلك..» **(بن سمينة .م، 1989م - 59-60)**، وبفضل ما أتاحت الصحف التونسية من مجالات للتعبير والكتابة بالنسبة للنخب الجزائرية ظهرت النواة الأولى للأدباء والكتّاب والشعراء الذين كانت ولادتهم الأدبية في الصحف والمجلات التونسية التي تبنّت سر إنتاجهم المبكّر وتشجيعهم على الكتابة وتحريضهم بكل الوسائل على تناول القضايا الوطنية الجزائرية والتعريف بنضال شعبهم، بل إن دُور النشر التونسية كان لها الفضل الأول في تبني نشر هذا الإنتاج مثلما فعلت مع الطلبة الزيتونيين أمثال: رمضان حمود صاحب كتاب بذور الحياة، وأبو اليقظان في ديوانه، ومحمد الهادي السنوسي صاحب كتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر (جزءان)، وعبد المجيد الشافعي صاحب

كتاب الطالب المنكوب، وعبد الله الركيبي صاحب كتاب نفوس ثائرة، ونور الدين بوجدرة صاحب كتاب الحريق، ومحمد الصالح الصديق وكتابه أدباء التحصيل... وسائر المطبوعات الجزائرية التي ظهرت بتونس خلال النصف الأول من القرن العشرين ففي الصحف والمجلات التونسية نجد آثاراً أدبية وفكرية لأبرز أعلام الأدب والفكر في الجزائر، مثلما نجد كتابات أخرى لأدباء وكتّاب ومفكرين جزائريين كانوا درسوا بالزيتونة وأقاموا بتونس وساهموا بالإنتاج في فترة ما، ثم أقلعوا عن الكتابة فبقي هذا الإنتاج مغموراً في هذه الصحف ومجهولاً من قبل الدارسين الجزائريين(**الجابري. م 1992م، 110**) .

وعلى صفحات الجرائد والمجلات التونسية انطلقت النخبة الجزائرية تعاني معطيات الحياة الجديدة وتُصوِّر قضايا الواقع وتُعبّر عن تطلعات المجتمع، فكان العالم الذي يستولي على اهتماماتها، وما يغلب على إنتاجها إنما هو عالم الوطن، وعالم الأمة، وكل ما يتصل بهما ويتفرّع عنهما من قيم ومقوّمات وقضايا واهتمامات، وكان صوت الوجدان الجماعي لدى هذه النخبة أقوى من أي صوت غيره في نفوسهم مما جعلهم يُسخّرون أعمالهم للنهوض بالواقع والتعبير عن قضاياه، ويمكن تلخيص ذلك في هذه المحاور:

- الانصراف عن الأغراض الذاتية الضيّقة والالتزام بالتعبير عن الوجدان الجماعي للأمة.
- الاندماج في الواقع الوطني والعمل من أجل النهوض بالمجتمع وترقيته وإصلاح حاله: عقيدةً وفكراً، علماً وعملاً.
- الحض على الاستمرار في حركة الجهاد لإفشال الخطط التغريبية إزاء عناصر الهوية الحضارية المعتدى عليها، والمنافحة عن الحقوق الوطنية.

• مواكبة مسيرة العمل الوطني والثوري، وحث الشعب على الالتفاف حولها وتصوير ملامحها والتلويح ببشائر النصر على فلول المعتدين.

• التعاطف مع قضايا الأمة العربية الإسلامية، والمشكلات الإنسانية، ويمكن أن نميز في هذه الاهتمامات جملة من المضامين من بينها: البعد الديني، البعد الوطني، البعد الاجتماعي والثوري، البعد القومي والإنساني.

حتى الطالب الجزائري في تونس لم يكن يكتفي بدور الطالب الذي يتلقى الدرس ثم يتأبط كتبه صوب مسكنه، وإنما كان يُساهم مساهمة فعالة فيما كانت تزخر به تونس في أعقاب الحرب، وبعد رفع الحصار على الصحافة سنة 1920م من نشاط فكري وديني وسياسي(**الخرفي.ص، 1969، 30**)، وهكذا فإننا نلمس من الهجرة: هجرة بالفكر والرأي والقلم، وهجرة إلى طلب المعرفة والعلم، ولكل منهما وسطها الثقافي ومجالها وصلاتها، كان المهاجرون بالرأي يرتبطون بالصحافة التونسية من خلال المراسلات والعلاقات الشخصية التي نشأت عن هذه الرسائل كالعلاقة التي ربطت بين عمر بن قدور والشيخ الطيب بن عيسى صاحب جريدة المشير والتي نجد إشارات لها في بعض رسائل بن قدور، أو العلاقة التي ربطت بين الطيب العقبي وأحمد حسين المهيري صاحب جريدة (العصر الجديد)... وذلك بالإضافة إلى علاقات أخرى كثيرة نجد لها صدى في الكلمات الودية والشخصية التي تظهر في هذه المراسلات(**الجابري. م، 1991م.21**).

وما من شك في أن هذه المراسلات أدت دوراً خطيراً سواء في مجال الإعلام بأخبار الجزائر التي كان التونسيون والجزائريون المهاجرون

يتشوّقون إليها، أو في مجال ما تضمنته من معلومات عن الوضع وفضح الأساليب الاستعمارية، وكذلك كان لها دور في أن تراثاً أدبياً هاماً وجد مجاله إلى الصحافة التونسية من قصص، وشعر، ومقالات ربما كان بعضه مهدداً بالضياع والتلاشي، أما الهجرة الثانية فهي هجرة الطلبة الذين كانوا يأتون للدراسة بجامع الزيتونة ثم يُغريهم الوسط الأدبي والثقافي بالمساهمة في النشاطات الفكرية فيكتبون المقالات والقصائد ويُشاركون بفعالية في الحياة الأدبية، وهؤلاء هم الذين أصبحوا فيما بعد أبرز صحافيي الجزائر وأهمهم، وقد تخرّج معظمهم من الزيتونة، ومارسوا خطواتهم الأدبية الأولى بالصحافة التونسية.

ومن حصاد هاتين الهجرتين استطاعت الصحافة والمجلات التونسية أن تحتفظ طيلة أكثر من نصف قرن بتراث أدبي وفكري زاخر وبصفحات مشرقة ومُشرّفة من العمل الوطني المشترك الذي ساهم فيه الجزائريون المهاجرون مع أشقائهم التونسيين، وكان له التأثير المباشر في وحدة الحركة الوطنية المغربية، وفي تحقيق الغايات التي كانت تهدف إليها هذه الهجرة. **(الجابري. م، 1991م. 22- 25)**

1 - النضال الصحفي الجزائري في الصحافة التونسية خلال الفترة (1900- 1920)م

لم يشتغل الخضر حسين«**1874- 1958**» بالصحافة كمهنة يرتزق منها ولا انقطع لها كما ينقطع الصحفي المحترف ولكنه مارسها كرسالة ومنبر للتعبير عن مذهبه في الإصلاح وآرائه في الدين والحياة والفكر ولطول ممارسته لها وتحمله أعباء مسؤوليات كثيرة فيها منذ فجر شبابه إلى آخر لحظة من حياته وجب اعتباره صحفياً مناضلاً ورائداً

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

من رواد الصحافة التونسية، فبالإضافة إلى ما كتبه ونشره من مئات المقالات والفصول والأبحاث في مختلف الجرائد التونسية... أسّس عدداً من المجلات وساهم في تحرير كثير غيرها، وكان بذلك مؤسساً للصحافة التونسية وصاحب امتياز، ومحرراً ورئيس تحرير **(كرو .م، 1973م،62).**

فلقد أسّس في سنة 1904م، وهو في جامع الزيتونة مجلة "السعادة العظمى" وهي أول مجلة تأسست وصدرت في تونس وقد جعلها نصف شهرية وذات اتجاهين ديني وأدبي، ولئن لم يصدر منها سوى (21 عددًا) فإن مجموعتها تعتبر مصدراً هاماً لتاريخ الصحافة العربية وطليعة رائدة للإصلاح وبذوره الأولى بتونس**(الخريف.ص، 1977م، 62)**، قال عنها الشيخ بن عاشور عند صدورها منتشيًا بها، ومنتقداً لمعارضيها قائلا: «بقي معارضو الدعوة الإصلاحية متطلعين إلى الوفاء... بتكوين نشرة تناقش في المباحث الدينية على قاعدة التزام المذهب الذي عليه جمهور العلماء في مسائل أصول الدين الاعتقادية... وكان الحرص على محاكاة مصر في وسائل نهضتها، يحسن لأهل العلم إيجاد مجلة علمية بتونس... حتى انتدب لسد ذلك العوز نابغٌ من شباب شيوخ الزيتونة هو الشيخ محمد الخضر حسين، فأصدر في شهر محرم سنة 1322هـ/1904م مجلة علمية سمّاها السعادة العظمى ابتهجت لصدورها جميع الأوساط العلمية والفكرية، ثقةً بعلم صاحبها وتحقيقه، وصلابة عوده في أمور الدين مع ما اشتهر من تأييده لحركة المصلحين... فكانت هذه المجلة مركزاً للحركة الفكرية وقوة توجيه متصلة بجميع أهل الثقافة العربية...». **(علي الرضا. ح، 1998م.77- 78).**

وظهرت المجلة بقطعٍ من الورق الجيّد مقاس (17- 24) وبعدد (16) صفحة، وقد جاء تحت اسم المجلة ما يلي: «مجلة علمية أدبية إسلامية

تصدر غرة كل شهر عربي وفي سادس عشر منه» (**الخضر، ح. 1904م**)، كان صاحبها يُصدرها من منزله نهج رحبة الغنم (معقل الزعيم حالياً) بالعاصمة، أما عن محتواها فهو كما أشار العدد الأول في افتتاحيتها التي استغرقت صفحات كامل العدد، تقتصر على بعض عناصره «...تُفاتح مطالعيها(كذا) بمقالة تتخذ مظهراً لبعض مطالب تقتضيها المحافظة على حياة مجدنا القديم، ويتلوها باب نعتبره معرضاً لعيون مباحث علمية، ولا نريد إلا انتظامها في ماهر التحقيق، بما يتخللها من الأفكار السامية يتلوها باب ثالث تنشر فيه من الآداب ما يكون مَرقاةً للتقدم في صناعتي الكتابة والشعر لا يتمتع بها عند المسايرة، ثم ترقص كأضغاث أحلام.. ونقصّ في هذا الباب من التاريخ أحسن القصص ويتصل بذلك باب رابع في الأخلاق ويلي باب آخر للأسئلة والاقتراحات ثم خاتمة عنوانها مسائل شتى». (**C. D. N, <u>B2–81.</u>**)

لقد ساهمت السعادة العظمى برغم عمرها القصير، بدور فعال في الحياة التونسية وكان لها أثر محمود في مطلع القرن العشرين على الحركات الفكرية والدينية والاجتماعية، ورغم نزوعها إلى الاعتدال – كشأن صاحبها دائماً- فقد جُوبهت بمعارضة عنيفة من طرف شق الجامدين والمحافظين من شيوخ الزيتونة وأمثالهم في الحياة العامة يومئذ(**كرو .م، 1973م،62**).

ولعل أهم ما عنيت به المجلة تأييدها للإصلاح، ودعوتها لتغيير مناهج التعليم الزيتوني ومطالبتها بإدخال تدريس الأدب واللغة فيه ونشرها لأولى محاولات التجديد في الشعر ودفاعها عن اللغة العربية، وإذا سلمنا بما يقول الشيخ محمد الفاضل بن عاشور عنها فإنها كانت لسان حال جماعة من الشيوخ والعلماء الميّالين إلى الاعتدال في تحقيق الإصلاح وبناء

النهضة**(بن عاشور .م. الفاضل، 1983م، 62)**، لقد تتابعت أعدادها إلى رقم واحد وعشرون أي قرابة العام، ويبدو أنه تخلى عنها ليتولى منصب قاضي شرعي ببنزرت عام 1905م، كما تولى الخطابة والتدريس بجامعها الكبير **(محفوظ.م، 1982م، 128)**.

وكان عمر بن قدور (1886- 1932)م -أحد خريجي الزيتونة- يملك توجهات أدبية وفكرية جسّدها في عمله الصحفي، حيث أخذ يتعامل مبكراً مع جريدة الحاضرة التونسية والحضارة العثمانية التي تصدر في اسطنبول، ويذهب بعض الباحثين إلى أنه قد رجع إلى الجزائر سنة 1908م**(سعد الله .أ، 1998م، 277)**، وكانت ميوله قومية إسلامية كما يدل موشحُه الذي نشره في جريدة الحاضرة سنة 1909م، والذي عارض به موشح ابن سهل وتساءل فيه (هل أباد اليأس جيش الأمل؟) وفي نظره أن اليأس لم يقع لأن الحضارة الإسلامية ما تزال بخير إذا استيقظ أهلها وعلمائها وعرفوا مكانتهم في التاريخ.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويُعد عمر بن قدور الجزائري من بين الرواد الأوائل في التطلع إلى الوحدة المغاربية يوم نادى سنة 1914م بتأسيس (جمعية التعارف الإسلامي لأهالي شمال إفريقيا)، فقد كتب يقول في الفاروق **(الفاروق، ع20، 07/ 1914)**: «حدا بي إلى الخوض في هذا الموضوع ما أشعرني به أحد المفكرين الموثوق بسمو مداراتهم بأن نجاح مشروعنا العظيم موقوف على تخصيصه بالوسط الجزائري فلا يتعداه إلى التخوم الشرقية والغربية، ومستند هذا المفكر الخبير وجيه جداً بالنظر إلى المحيط السياسي.. أما مأمورية (الفاروق) في إيجاد هذا المشروع فإنها عامة لأن له القراء في تونس ومراكش ما يعادل قراءه في الجزائر... وكان أول المستجيبين له الأديب [الجزائري الأصل] حسين الجزيري.».

وفي إطار التعاون والتنسيق الصحفي دائماً بين القطرين نجد عمر راسم الجزائري يتوجه بالنصح لكل من يصدر جريدة جديدة كما فعل وهو يُهنئ الشيخ الطيب بن عيسى[الجزائري الأصل] بصدور جريدته (المشير) قائلاً له: «أرجوكم نعمَ الأخ أن تجعل مشرب الجريدة انتقادياً وخادمة للدولة العليّة، وأن تنتقد عليها في كل ما تراه حسناً.. أيها الأخ اعلم أنك جزائري الجد فلا تغفل عن وطنك ودافع عنه بقدر الطاقة ولا تخش في الله لومة لائم، وكُن مع نصر الله يكن معك، وعلى الوطن يُعينك الله، وحب الوطن من الإيمان»(**المشير**، ع26، **06/ 08/ 1911**)، ونظراً لتلك العلاقة النقية الصادقة التي مزجت بين مشارب الجميع، ولِما أبداه الجزائريون من غيرة وطنية واهتمام دقيق بأخبار الصحافة والصحفيين التونسيين –فقد ظل التونسيون يبادلونهم نفس المشاعر الودية ويتابعون بحرص ضروب ما يتعرض له إخوتهم في الجزائر من أذى واضطهاد، وعندما لا يجدون الحول للدفاع عنهم فهم يكتفون على الأقل بنشر أخبارهم ولفت نظر الرأي العام إلى قضاياهم.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولقد ضاهى بعض القرّاء الجزائريين مستوى جريدة "المشير" التونسية بالمستوى الذي كانت عليه جريدة (المنار)، وقد صاغ هذه المضاهاة في أبيات شعرية أرسل بها إلى الجريدة مُظهراً إعجابه بمضمونها الإصلاحي، فنشرت المشير (**المشير**، ع26، **06/08/1911**).هذه الأبيات الموقعة باسم (أديب ابن خنشلة):

ألا من لي بذي عقل منير ❖❖❖ يرحب بالمنار وبالمشير
ويحمل سامعيه على التصدي ❖❖❖ هم كتّابنا صافي الضمير
يعظم شأن علم العصر فينا ❖❖❖ ويوقظهم إلى خير كثير

ومن أبرز الأقلام الجزائرية التي ناضلت من خلال الصحافة التونسية في هذه الفترة نجد قلم سعد الدين بلقاسم بن الخمار، فقد كان أول الملبّين لفكرة عمر بن قدور الجزائري يوم دعا لعقد «جماعة التعارف الإسلامي» ومن أشد الكتّاب تحمساً لها ودفاعاً عن أهدافها بل ومن أجرئهم مهاجمة لخصومها(**الفاروق، ع66، 1914/06/22**)، نشر له الفاروق سلسلة مقالات في هذا الموضوع تحت عنوان «المفاوضات الاستنهاضية» (**الفاروق، ع72، 1914/08/03، والأعداد التي تليها**).جاء في بعضها داعياً الصحفيين التونسيين إلى الانخراط في جماعة التعارف الإسلامي «.. فيا بلاد شمال إفريقيا علقي حبال آمالك بهذه الجماعة فلسوف تبرز شمس الحقائق وتبدو للجاد الطرائق وتسطعُ الأنوار وتظهر الأسرار...» (**الفاروق، ع72، 1914/08/03**).

لقد صدرت في تونس بُعيد انتصاب الحماية الفرنسية عدد من الصحف والمجلات ذات الطابع الإصلاحي والثقافي العام، وزيادة على الحاضرة التي أسّسها الجزائري علي بوشوشة«**1859 – 1917**» وسبيل الرشاد التي أسّسها [الجزائري الأصل] عبد العزيز الثعالبي«**1874- 1946**»**م** والسعادة العظمى ومؤسسّها الخضر حسين، ظهرت أيضًا بعض الجرائد الهزلية والنقدية الساخرة سواء منها الناطقة بالعربية أو بالفرنسية، وكان للصحفيين الجزائريين فيها مساهمة متميزة تأسيساً أو اشتراكاً، ومنهم الهاشمي المكي الذي بدأ حياته في ميدان الصحافة بإصدار جريدة إسلامية أسبوعية مناهضة للاستعمار سماها "الإسلام" (**الزمرلي،ص، 1986م، 134 – 140**) وسخّرها للدفاع عن الدين الإسلامي الحنيف وإعلاء كلمة المسلمين، وقد صدر منها عددان فقط، الأول في 10 جوان والثاني في 17 جوان من سنة 1908م، وإثر ذلك أصدرت سلطة الحماية

قراراً مؤرخاً في 24 جوان 1908م يقضي بتعطيل جريدة "الإسلام"، بدعوى تعكير صفو الأمن العام**(حمادي.س، 1996م، 33)**- راجع أيضًا: **C. D. N, A3-53** -**(بن عاشور.م.الفاضل.1381هـ، 46)**- **(الشهاب، 09/1937م)**- **(أحمد. خ، 1979م.50- 53)**– **(شوقي.أ، 1991م.119- 121)**- **(الجندي.أ، 1965م، 123- 126)**– **(الخريف.ص، 1995م، 533)**..

ولكن الهاشمي المكي لم يستسلم للأمر الواقع، فبذل قُصارى جهده لإصدار جريدة هزلية أخرى لتعويض جريدته المعطّلة، وأطلق عليها اسم «أبو قشة جريدة كشكولية هزلية جدية حساسة الشعور تجسّم اللب في قالب القشور»، وقد سخّرها لتحقيق غرضين اثنين أولهما الإصلاح الاجتماعي والديني حسب تعاليم جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده ومقاومة البدع المنافية لروح الدين الإسلامي الحنيف، وثانيهما مقاومة الاستعمار الفرنسي. **(حمادي. س، 1992م، 256)**.

وقد بلغ هذه الغاية المزدوجة عند استعمال اللغة الدارجة والشعر الملحون لأول مرة في تاريخ الصحافة التونسية وذلك لإيقاظ الشعب وتوعيته، كما التجأ إلى نشر بعض القصائد من الشعر الشعبي الملحون، مثل قصائد الشاعر قاسم شقرون لتوعية الجماهير التونسية، وتحقيق الأغراض السياسية والاجتماعية التي كانت ترمي إليها جريدته.

وتجلت في جريدة أبوقشة بكل وضوح الروح الوطنية التي أخذت تنتشر في تونس قبيل الحرب العالمية الأولى من خلال الصحف التونسية الناطقة بالعربية، فلننصت إلى صاحبها وهو يختم إحدى افتتاحياته بقوله: «يا أيها الناس كونوا أحرارًا مستقلي الفكر في ثوب من الإطلاق رافلين وألهجوا (كذا) دوماً بذكر الحرية وذكر رجالها، علّ تنبعث فيكم من وراء

ذكرها روح جدد تبعثكم على الاقتداء بمن تسربل بها، إذن فلتعش الحرية وليعش أنصارها والداعون لها»(**أبو قشة، ع19، 1908/12/19م**)، ونشر الهاشمي المكي في نفس العدد تعليقاً مطولاً بمناسبة الحكم عليه بالسجن مدة شهر وبغرامة مالية قدرها (500 فرنك)، وقد صدَّره بهذين البيتين من الشعر الملحون(**أبو قشة، ع19، 1908/12/19م**):

خدمــة جريدة ❖❖❖ يلزمها مشيّقات عديدة

مرة ربطة ومرة تهديدة ❖❖❖ الكل عندي كلاش

وبعد مدة قليلة ضاقت السلطة الاستعمارية ذرعاً بانتقادات الهاشمي المكي، فاتخذت قراراً مؤرخاً في 27 جانفي 1909م يقضي بتعطيل "أبو قشة" بدعوى أنها نالت من هيبة الدولة وتطاولت على رجالاتها فارتحل الشيخ إلى طرابلس حيث أصدر جريدة من جديد، ثم تحوّل إلى تركيا ومنها إلى جاوة في أندونيسيا فاستقرّ بها إلى آخر حياته، وأصدر هناك جريدة عربية جديدة بعنوان «بوربو دور».

كما أصدر الجزائري "محمد الصحبي بن المكي"، جريدة هزلية بعنوان "أبو خلف" في 07/ 09/ 1910م ولم يظهر منها سوى خمسة أعداد، وأصدر الجزائري الآخر بن عيسى بن الشيخ أحمد الجزائري (1880- 1957)م جريدة فكاهية انتقادية بعنوان"جحا"ظهر عددها الأول يوم 1909/07/15م، وسارت في منهج "أبو قشة"، تقاوم البدع وتدعو الشباب إلى التحلي بالأخلاق الحميدة والإقبال على طلب العلم، وكانت تنشر الفصول والمقالات المحررة باللغة الدارجة والملزومات والأزجال من نظم كبار شعراء الملحون أمثال: قاسم شقرون، وأحمد بن موسى، وعبد الرحمان الكافي وأخيراً أصدرت الحكومة قراراً مؤرخاً في 10/19/ 1910م يقضي بتعطيل هذه الجريدة(**حمادي. س، 1992م،**

257).، بعدها بعشرة أيام أصدر بن عيسى بن الشيخ أحمد جريدة "جحجوح" لكنه تمّ حجز العدد الأول المؤرخ في 20/10/ 1910م قبل توزيعه، وفي 1911/01/26م عاود الشيخ بن عيسى الكَرة وأصدر جريدة الضحك التي استمرت في الظهور إلى أن أوقفتها الحكومة في نوفمبر 1911م مع جميع الصحف التونسية الأخرى.

وفي أوائل سنة 1920م قرر المقيم العام الفرنسي الجديد "فلاندان" رفع الحظر على الصحافة التونسية بعد احتجاب ثماني سنوات وثلاثة أشهر، فظهرت بعض الصحف التي أوقفتها الحكومة في نوفمبر 1911م، من ذلك أن بن عيسى بن الشيخ أحمد قد أعاد إصدار جريدة "جحا" ابتداءً من يوم 06 مارس 1920م، ورغم انتهاج الجريدة سياسة معتدلة، فقد أوقفتها الحكومة يوم 1921/01/23م بتهمة التهجم على أحد أفراد العائلة المالكة، وعندئذ أصدر صاحبها من جديد جريدة الضحك ولم يظهر منها سوى ثمانية أعداد حتى أوقفتها السلطة فعوّضتها جريدة "جحجوح" التي تعطلت بدورها في 1921/10/05م **(حمادي. س، 1996م، 259)**، وللمكي كامل بن عزوز الجزائري عدة كتابات صحفية ساهم بها في تنشيط الساحة السياسية التونسية.**C. D. N, B2. 61, doc n°(1-2-3-4-5)**

أما الجرائد التي نالت رواجاً في الميدان الثقافي والإصلاحي والأدبي بتونس كجريدة "العدلية" التي مثلت الشباب التونسي في الميدان الأدبي لصاحبها الهادي بن أحمد عباس فقد شاركه في تحريرها الشيخ عبد العزيز الثعالبي بمقالاته الشهيرة وقلمِه النابه، وكانت أول جريدة وطنية تصدر بالفرنسية هي "بريد تونس" لعبد العزيز الثعالبي التي تطوّر برنامجها مع الزمن وأصبحت تُطالب بتمثيل التونسيين في المجلس

الاستشاري، ودافعت بشدة على مسألة تعليم التونسيين، كما أن الثعالبي موازاةً مع ذلك كان يحرر القسم العربي بجريدة "التونسي" ابتداء من شهر أكتوبر 1909م سماه الاتحاد الإسلامي **(مناصرية.ي، 1988م ، 27-28)**- راجع أيضًا: **C. D. N, <u>A3, 39</u>**.

ومن الجزائريين المشتغلين في الصحافة التونسية أيضاً حسين الجزيري، الذي بدأها منذ عهد شبابه الباكر، فكان في سنة 1910م يُحرر افتتاحيات جريدة اللواء التونسية، وكان كاتباً بجريدة المنار التونسية ومراسلاً لجريدة الفاروق الجزائرية، كما كتب في الصحف الهزلية لميله إلى الفكاهة، فحرّر بجريدة "المضحك" وكتب في جريدة "جحا" مدة طويلة، وفي الوقت نفسه كان يقوم بوظيفة الملقّن لجمعية "الشهامة العربية" التمثيلية وهو لا يزال طالبًا بالجامع الأعظم، وفي 12 فيفري 1921م أصدر جريدة "النديم"وهي أسبوعية أدبية فكاهية، فأظهر نشاطًا كبيرًا في إدارتها ومجهودًا أكبر لتنظيم بروزها، فهو القائم بجميع شؤونها ومحرر جميع فصولها، وبين الحين والآخر يُصدر منها عددًا ممتازًا يكتب فيه بعض الكتّاب اللامعين المشهورين كالشيخ راجح إبراهيم،والأكودي، ومحمد الصالح المهيدي، ومحي الدين القليبي... وغيرهم، وهي صحيفة من نوع جديد لم يسبق لها مثيل في تونس، تجمع الأدب والفكاهة وحسن استغلال إيحاء اللفظة العامية الدارجة للنكتة مع الروح الأدبية المتزجة بها ومظهر الانفعال الذي يتجسد في كتاباته كلها عناصر جذابة للقراء **(محفوظ.م، 1982 .29-30)**.

ولقد زاول حسين الجزيري تعلمه بالكُتّاب ثم بجامع الزيتونة سنوات قلائل حيث وقع رَفته بسبب ما أبداه من نشاط في أول إضراب شنّه تلاميذ

الزيتونة في 15 مارس 1910م فاحترف الصحافة ومكث بها حتى اندلعت الحرب العالمية الأولى ولمجرد تهمة ملفقة دخل الجزيري السجن ولم يخرج منه إلا بعد الهدنة، وبعد خروجه من السجن استأنف العمل في جريدة "المضحك" وانخرط ضمن معاوني الوكلاء والمحامين، وفي السجن كتب من بين ما كتب قصيدته"صوت من السجن" **(المنصف.ش، 1997م، 264)**؛ قال عنه عمر بن قفصيّة: «لذيذ الأسلوب، فَكِه التحرير حلو الشعر، مرّ التنكيت، يبكت خصمه ولا يتركه إلا على نعشه، مقصه حاد بقطع حتى رقاب العباد، ولولا خفة روحه لرأيت له خصومة في كل حومة».**(بن قفصية.ع، 1972م، 92).**

فقد كان الجزيري يغتنم الفرصة للتعليق على الأحداث ودور بعض الأشخاص فيها بروح نقدية ساخرة لاذعة تثير الضحك، ويستعين بكل الوسائل الأدبية لإظهار ما يرمي إليه كالاستعانة بالأمثال الشعبية والنظم الشعبي الملحون وهو من البارعين فيه، والأبيات الشعرية السائدة والوصف الوجيز الجامع للحقيقة والشواهد على هذا كثيرة في جريدة "النديم"(**المدني. أ، 1976م، 265- 67**)، وعمومًا فأدبه النثري والشعري تسري فيه الروح الفكاهية النقدية المضحكة مع هدف واضح إلى الإصلاح، قال عنه الشيخ محمد الفاضل بن عاشور مُبينا ميزات شعره ونثره: «أما حسين الجزيري فإنه في شعره يتلاقى مع نثره في مؤثراته وأغراضه فهو ساخر متهكم يستخرج الضحك من روح الألم ويتخيّر الألفاظ ذات الوقع المطلوب من اللغة الفصحى أو اللغة العامية ومدار شعره كمدار نثره على روح الكفاح السياسي والإصلاح الاجتماعي»**(بن عاشور.م الفاضل، 1983، 145)** ومن أشهر قصائده الفكاهية قصيدته في رمضان التي كان يحفظها أطفال المدارس وينشدونها في نشوة طالعها :

فرحَت بمقدمه بطون الناسِ ❖❖❖ شهر تحنّ لذكره أضراسي

ويلاحظ براعته في استخدام العبارة العامية في مطاوي القصيدة وبراعته في تضمين الشعر القديم وإخراجه من الغرض الذي قيل فيه إلى الغرض الذي يريده بلباقة كما في الشطر الثاني من البيت الأخير من قصيدة عجائب السجن وهو عجز بيت للمتنبي:

بذا قضت الأيام ما بين أهلها ❖❖❖ مصائب قوم عند قوم فوائد

والقصيدة تكشف عن نظام السجن والأخلاق المتدنية عند بعض المسجونين، لكن جريدة "النديم" الغرّاء احتجبت في مدة الحرب العالمية الثانية ولم تصدر بعد ذلك، فأصبح حسين الجزيري يحرر افتتاحيات جريدة "الزهو" وكان له في نفس الجريدة (الزهو) باب عنوانه "نقرات على أوتار" كما قام بوظيفة المحرر بوزارة العدلية ثم عمل بعد الاستقلال بالإذاعة كمراقب للتمثيليات إلى أن وافاه الأجل أواخر سنة 1974م **(المنصف.ش، 1997م. 266)** كما كان لحسين الجزيري إبداع في التأليف النثري والشعري منها رسالة طبعها بالجزائر هي "تنبيه الغلام إلى شيَم الكبار" وفيه نصائح وتوجيهات ترمي بالشباب إلى بلوغ درجة الكمال، وكذا ديوان شعر طبعه بتونس.

وإذا كان التفتح والابتكار ومسايرة الأحداث من سمات الصحيفة الناجحة فإن هذا ما توفر فعلا لجريدة (لسان الشعب)، الأسبوعية بفضل مهارة ومقدرة صاحبها ومؤسستها السيد البشير الخنقي الجزائري الذي أصدرها سنة 1291هـ/ في صفحتين لمدة عامين ثم طورها إلى أربع صفحات وإلى ستة في بعض الأحيان(**C. D. N, B2-2**)وكان الشعار الذي إلتزمه الخنقي طوال حياته الصحفية هو الدفاع عن مصالح البلاد ومؤازرة العاملين مع الحرص كل الحرص على عدم خدمة هيئة بعينها أو جمعية

بذاتها ومما يحفظه التاريخ له بمزيد الإعجاب أنه أُغرى بعشرة آلاف فرنك من حركة النادي التونسي ليكون لسانها الناطق ويفسح مجال جريدته لأقلام معتنقيها فأبى ذلك بكل شمم ولم يضعف رغم تعدد العرض وتنوّع المساومات.**(بن قفصية.ع، 1972م، 155).**

وقد بدأ البشير الخنقي عمله الصحفي سنة 1911م، بمراسلة جريدة (الكامل) الصادرة بحيفا بفلسطين الضائعة.. كما راسل جريدة (البلاد) اللبنانية، وقد كتب بإمضاءات مستعارة في أشهر الصحف التونسية، ومما يلاحظ أن كتابة الخنقي لا تعقيد فيها ولا إطالة، إذ أنها نوع من التراسل سهل الفهم، سريع الهضم، خال من الاستطراد الذي يُطوّح بالقراء في متاهات الضياع **(بن قفصية.ع، 1972م، 155).**، والبشير الخنقي ولد بتونس من أب جزائري الأصل وتعلم بالزيتونة، وساهم بنصيب موفور في إيقاظ الشعور الوطني بقلمه وعمله «فهو يُبشرك بكل انتصار وبكل هزيمة للخارجين فترى لسانه دائم الالتواء لا يميل إلى الانزواء له مكاتب للمحابر والدفاتر وللصحف والمجلات وله مجلس في مفترق الطرقات وهو ذو انتباه لم يهمل بلاده من كل المسالك وذو اشتغال بالأخبار عما هو حاصل في مختلف الممالك ولكن بتضامن مشتركيه قد بخلوا وقصّروا، وتركوه ينادي تعالوا وانظروا ...». **(بن قفصية.ع، 1972م، 91).**

كما صدرت منذ العقد الأخير من القرن التاسع عشر عدة صحف تونسية ناطقة باللغة العربية من أشهرها جريدة الزهرة التي سيكون لها شأن عظيم في تاريخ الصحافة التونسية، وصاحب هذه الجريدة هو الجزائري عبد الرحمان الصنادلي (1850- 1935)، وقد ولد بتونس من أسرة جزائرية، هاجرت إلى البلاد التونسية قبل انتصاب الحماية في سنة 1881م وبعد أن زاول دراسته بجامع الزيتونة تحوّل إلى القاهرة حيث

التحق بجامع الأزهر لمواصلة دراسته العليا، وإثر عودته إلى تونس أصدر في سنة 1830م جريدة نصف أسبوعية أطلق عليها اسم "الزهرة" التي عطلتها السلطات الاستعمارية مرتين بسبب مواقفها الوطنية، ثم عادت إلى الظهور في شكل جريدة يومية مسائية، وكانت الصحيفة العربية الوحيدة التي نجت من التعطيل إثر حوادث الجلاز(1911/11/07)م،(**حمادي. س، 1992م، 425**). راجع: **C. D. N, B2-66, doc n° 31 et 37**

كما أنها كانت في عصرها الجريدة العربية اليومية الوحيدة بتونس بل وفي المغرب العربي كله، ودام ذلك ما لا يقل عن خمسة عشرة عامًا حتى برزت جريدة النهضة اليومية عام 1923م. وللصنادلي في مناصرة الضعفاء مواقف مشرفة نذكر منها على سبيل المثال. موقفه في الدفاع عن المساجين (جقار)، وحملته المشهورة ضد القساوة التي يستعملها الحراس معهم حتى وصل الأمر إلى دفن الأحياء، وكان من أثر تلك الحملة أن أخرجت جثث الأموات من القبور ووقع الكشف عنها من طرف الأطباء بحضور قضاة التحقيق، وكذلك حملته على أداء الصانتيمات الإضافية وإرهاق الفلاحين(**بن قفصية.ع، 1972م 63- 64**)، وزبدة القول أن الشيخ الصنادلي من كبار كتّاب العربية وأبرز الصحافيين في المغرب العربي وقد خدم أمته ووطنه والعرب المسلمين عامة بقلمه وجريدته طيلة نصف قرن.

وزيادة على صحيفة الزهرة، هناك صحيفة أخرى بارزة لعبت دورًا أساسيًا في التعريف بأحداث الجزائر الداخلية وكان لها مراسلون من الداخل الجزائري، وهي صحيفة (المشير) التي صدرت سنة 1911م وكان مراسلاها من الجزائر عَلمان بارزان هما عمر راسم، وعمر بن

قدور(**الجابري.م. الفكر، ع07، 1984/04م، 108**)، وكان رئيسها الجزائري الطيب بن عيسى الذي ولد بتونس سنة 1885م من أسرة جزائرية الأصل، وبعد انتهاء دراسته بالزيتونة والخلدونية اقتحم ميدان النشاط الصحفي فأصدر في مطلع سنة 1911م جريدة المشير التي احتجبت في نفس السنة، مثل باقي الصحف العربية إثر حوادث الجلاز، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، أعاد إصدار جريدته في سنة 1920م لكن السلطة قد عطلتها بعد مدة قصيرة من صدورها، فأصدر إثر ذلك جريدة "الوزير" التي استمرت في الظهور سنوات عديدة، والتحق بالحزب الدستوري منذ تأسيسه وعُين عضوًا في لجنته التنفيذية، لكنه سرعان ما انفصل عن الحزب ليَنظم إلى الحزب الدستوري المستقل الذي لم يُعمر مدة طويلة مثله مثل الحزب الإصلاحي(**C. D. N B2-66-doc n°31et 37**) الذي أنشأه الجزائري حسن قلاتي قال عنه بن قفصية: «استوزر في دولة صاحبة الجلالة (الصحافة)، فكان مشيرها ومستشارها في محلياته وخارجياته، ومتفرقاته فهو وزير عاقل ومشير لبيب في مقام طبيب، ولقد جاهد كثيرًا في حياته الصحفية، وامتحن ولم يفز إلا برضى القرّاء الذين لم يهمهم غنى أو فقر الكاتب» (**بن قفصية.ع، 1972م، 91**).

2. النضال الصحفي الجزائري في الصحافة التونسية خلال الفترة(1921- 1945)م

بالإضافة إلى المهاجرين الجزائريين الذين ذكرناهم سلفًا، وعرفوا بمواقفهم العلنية، وتضامنهم المطلق مع الوطنيين التونسيين، ومارسوا كفاحًا عمليًا في إطار الحزب الحر الدستوري، فإننا نطالع خلال الفترة (1921- 1945)م كتابات متعددة لبعض الجزائريين الآخرين، من طلبة جامع الزيتونة ومن رجال الحركة الوطنية الجزائرية المقيمين داخل

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجزائر، وتتضمن هذه الكتابات تعريفًا بالجزائر، وانشغالاً بأوضاعها ودعوة مُجاهدة ومُلحة للتعرف عما يحدث في أنحائها مما يجعلنا نصنفها في عداد الكتابات الهادفة إلى مجابهة الاستعمار ونصنف أصحابها بين هؤلاء المكافحين بالقلم الذين حاولوا خدمة بلادهم في ظروف عويصة محفوفة بالمحاذير والأخطار.

وقد عاضد هذه الحركة الزاخرة من لدن الطلبة الزيتونيين في الصحافة التونسية صدور عدد من الصحف الوطنية الجزائرية التي كانت تنزع منزعًا إصلاحياً وطنياً، التي شرعت بدءًا من منتصف عشرينات القرن الفارط تبث الوعي الديني والسياسي، وتطلُ على القارئ التونسي في تونس حيث كانت توزع توزيعاً واسعًا، وتُلاقي الابتهاج والثناء عليها من مختلف الصحف الوطنية التونسية.

في يوم كان السعيد الزاهري طالبًا في تونس كانت له صلات أدبية وصحفية وثيقة بالصحافة هناك، وكانت جريدة النهضة التونسية تعتز بإنتاجه وتنشره بعناوين بارزة، وفيها نشر الكثير من قصائده، كما نشر الزاهري في الشهاب مقالاً بعنوان «داء دفين في جامع الزيتونة»(**الشهاب، 12/ 1933م**)، انتقد فيه بعض الأوضاع السائدة في الجامع واسترسل في طرح وجهة نظره مقدمًا الحلول والبدائل لتصحيح الأخطاء وعلاج الداء، كما نشر عدداً من المقالات في جريدة "الوزير" لصاحبها الطيب بن عيسى، منها مقال تحدَث فيه عن خصوصية الوحدة المغاربية قائلاً: « إن تاريخ المغرب هو تاريخ واحد متصل تمام الاتصال بعضه ببعض، حتى لا يقوم تاريخ تونس مثلاً بدون تاريخ الجزائر ومراكش، إلا كما يقوم عضو من أعضاء الإنسان بدون غيره من بقية الأعضاء.. وسواء استقام تاريخ كل قطر من هذه الأقطار الثلاثة على حدا، أم لم يستقم فإن

تاريخها جميعًا شديد الاتصال» **(الخرفي. ص، 1986م.164)**. ذلك أن الروابط الطبيعية التي لا تربط بعضها بعضًا كثيرة جدًا زيادة على رابطة التاريخ فإن كل المغرب اليوم هم سلالة منحدرة من البربر والعرب، وهناك رابطة اللغة والدين وكذا رابطة العادات والأخلاق المتقاربة. **(الشامي.ع، 1980م، 29.15)**.

لقد ساهم الزاهري في عملية النشر الجزائري بالصحافة التونسية بمقالاته التي نشرها في جريدة "الوزير" التونسية حيث استقطبت اهتمام قراء الجريدة، بما فيهم رئيس تحريرها الطيب بن عيسى الذي مهّد لإحدى مراسلات الزاهري بمقال عنوانه: (حول المقالة القيّمة) قائلاً : « وردت علينا مقالة ممتعة أتى بها بريد تلمسان من الأستاذ المفضال، والبطل المغوار الشيخ محمد الزاهري يدعو فيها إلى إيجاد وحدة "مغاربية" تشمل تونس والجزائر والمغرب الأقصى إذ في ارتباط المغربيين [المغاربيين] ببعضهم من جميع النواحي والوجهات فوائد لا تحصى ومنافع لا تستقصى»، حيث قال الزاهري: « فلنعمل على تقوية الرابطة الإسلامية وإحيائها بين أقطار المغرب الثلاثة، ولنسم أنفسنا أبناء المغرب ولنسعى في إحياء مجد المغرب، ولندعُ إلى الوحدة المغربية ».**(الوزير، 1929/4/4م)** طالع أيضًا، **(الوزير، 1929/03/21م)**.

كما تلَقت جريدة النهضة التونسية رسائل قليلة منه حاول فيها تصوير ما يجري في الجزائر على مستوى القوانين والتشريعات والصراعات السياسية، وفي إحدى هذه الرسائل نراه يُطلع القرّاء التونسيين على شروع الحكومة في تطبيق القانون الذي صدر سنة 1919م، ولم يتسن تطبيقه إلا في سنة 1925م وهو المتعلق بمنح بعض الامتيازات الانتخابية لبعض الأهليين في المجالس البلدية، إذ ينص القانون الجديد على انتخاب عضو

أهلي من أعضاء المجلس البلدي سمي «جوان مير»، له النظر الواسع في أمور المسلمين، وينتخبه أعضاء مجلس الأهالي والفرنسيون انتخابًا حرًا كما ينتخب شيخ المدينة... **(النهضة، 1925/05/22م).**

كما اهتم أبي اليقظان اهتمامًا شديدًا من خلال رسائله في جريدة "المنير" تحت عنوان: «الرسائل الجزائرية» بمعالجة الواقع المحلي للجزائر وتوجيه النصائح إلى عموم الجزائريين داعيًا في نفس الوقت إلى الإتحاد والتضامن والتأكيد على الشخصية الجزائرية، ومثلما ندّد أبو اليقظان بالجهل والخيانة والتهور والاستغلال والزيغ، نراه يندد بالسلطة الاستعمارية جهارًا ويوجه الرسائل عبر الصحافة إلى القائمين عليها أمثال"جناب مسيو إيبل"، الذي أصدر قرارًا يمنع رواج الصحافة التونسية التي كانت المدد الروحي الوحيد الذي يغتدي منه القراء في الجزائر، وبمناسبة هذا القرار الجائر لم يستطع أبو اليقظان السكوت والإغضاء بل فضّل مخاطبة "إيبل" عبر الصحافة التونسية نفسها لإحراج موقفه والتشنيع به لدى الرأي العام في تونس والجزائر معًا مخاطبًا إياه في حماسة وصراحة قائلا:« فهذه الصحافة التونسية قد قضت عليها السياسة العصرية بالتعطيل عنّا، وحاولت بذلك حرماننا من القراءة والكتابة بلغة ديننا وبلادنا والتجهيز(كذا) على ما بقي لنا من رمق الحياة وقتل حياتنا الأدبية صبرًا بعد حياتنا المادية جوعاً»**(المنير، 1921/02/11).**

وفي مقال له بعنوان: « الصحافة مرقاة للحياة ومرآة الحياة» ، نشر أبا اليقظان إحدى قصائده المطولة يشرح فيها دور الصحافة في حياة الشعوب الراقية المتقدمة كما هنّأ الصحافة التونسية التي عادت بعد احتجاب، معربًا لها عن الوفاء مشيدًا بمختلف الأدوار التي قامت بها

في نهضة المغرب عمومًا، مستفزًا همّة الجزائريين كي يقوموا بإصدار صحف مماثلة(**الزاهري.م. الهادي، ج1، 1926م، 116**) :

وصحافة الخضراء إذا برزت لنا ❖❖❖ بعد احتجاب عمره سنوات
يا شمس تونس إن أصابك كسفهم ❖❖❖ فلقد أصابت شمسنا ظلمات
لو لم يغب في السجن يوسف ما أضحى❖❖❖ ملكًا تؤدى عنده السجدات
أفلا يكون مسليًا لك ما نرى ❖❖❖ إذ منك دبت في الشعوب حياة

وهكذا نرى الشاعر يُمثّل احتجاب الصحافة عن الصدور بالليل الطويل الممتد، وبالظلام الذي يصيب العقول والديار على السواء لأنه كان أكثر القوم تعلّقًا بهذه الصحافة وأكثرهم إحساسًا بمسؤولية الصحفي الوطني، وبحكم معايشة الشاعر (أبي اليقظان) لهذه الصحف ووجوده في تونس في هذه الفترة ومساهمته بالكتابة في جريدة (المنير) خاصة فإننا لا نستغرب منه الحرص على العودة، ولا ذلك الوفاء السخي المتصل، فقد أولى قضايا المغرب الكبير اهتمامًا مميّزاً في صحافته وتجاوز عمله فيه من المساندة إلى التنفيذ، ذلك أنه فتح صحفه على مصراعيها لمساهمة الكتاب التونسيين أمثال: عثمان الكعاك الحبيب الخلصي، محمود بورقيبة الشاعر، وعرفت جريدته "النور" رواجًا في تونس أكثر منه في الجزائر، إنّ هذه الفكرة التي حملها أبو اليقظان كانت نابعة من إيمانه العميق بالمصير المشترك لبلدان المغرب الكبير التي اعتبرها كالجسد الواحد(**قاسم .ش،_الموافقات،ع05. 06/ 1996م،507**)، وهو يرى أن العسف والإرهاب الاستعماري سواءً كان في تونس أو في الجزائر إنما هو بمثابة تشحيذ لعزائم أهل الشمال الأفريقي كلهم، فنجده ينادي الأشقاء التونسيين بالصبر والاحتمال وأن لا يضيقوا من سياسة الضغط والعسف فليس هناك قوة في الدنيا ترد الهلال عن الاكتمال. (**الأمة،**

ع76، 1936/05/26م)، للتوسع راجع أيضًا، **(الأمة، ع130، 1937/7/02م)**.

لقد كانت صحف أبو اليقظان التي أصدرها في فترة العشرينات والثلاثينات هي مدار جهاده الإسلامي بالدرجة الأولى فمن خلالها كان يبلّغ أفكاره الإصلاحية إلى كل أنحاء القطر الجزائري وكذا الأقطار الإسلامية الأخرى خاصة منها تونس، وهذا التفاعل يبدو جليًا في كثرة مقالاته عنها، وفي ذلك الأسلوب الحماسي المتهيّج الذي يريد من خلاله أن يُوقظ الشعوب الإسلامية، ويدفع بها مع غيره لأجل رفع راية الإسلام بالإصلاح والنهضة**(ناصر. م، الثقافة، ع27، 09- 10/ 1974م، 63)**.

وفي هذا السبيل عمل الشيخ أبو يقظان على إنشاء صلات وثيقة مع زعماء الإصلاح في تونس من ذوي النزعة الوطنية الإسلامية الصادقة، أمثال عبد العزيز الثعالبي وسالم بن يعقوب بجرية، ومحي الدين القليبي والمحامي أحمد الصافي والأستاذ الشاذلي المزالي، وزين العابدين السنوسي صاحب مجلة "العرب"، ذلك أنه خصص في صحفه مجالاً واسعاً لتتبع أحداث تونس والاهتمام بقضاياها، والمساهمة بأفكاره وآراءه في شؤونها، ويمكن حصر محاور هذه المقالات فيما يلي:

- تفرق المسلمين في تونس واختلافهم وخطر هذا عليهم.
- التنديد بأعداء الإسلام والتشهير بمخططاتهم.
- دعوتهم إلى التضامن وعرض الحلول الممكنة للتغلب على هذا الواقع المرير.

إن هذه المحاور التي رسمت اهتمامات صحف أبي اليقظان كانت استجابة لذلك الإيمان العميق والراسخ بفكرة الإصلاح وإحداث النهضة في المجتمع الإسلامي والتحرر من عبودية الاستعمار بكل أشكاله، ومن

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مساهماته الصحفية دفاعًا عن المسلمين في تونس، رده القوي على كاتبة فرنسية تدعى(مدام سيلاربي)، بمقالة نشرها في جريدة وادي ميزاب(**وادي ميزاب، ع107، الجزائر: 1922/11/02م**)، بعنوان:" كيف يفهمون الدين"؟ هذه الكاتبة زارت تونس وحررت مقالاً عما رأته من تكاثر الشحاذين والمتسوّلين، ساخرة مزدرية بالإسلام مدعية بأن أولئك الأشكال من الناس هم تحت رعاية محمدﷺ ، فغضب أبو اليقظان لذلك معتبرًا هذا العمل قلبًا للحقائق وتسفيهاً للحق، وتعصباً ضد الإسلام والمسلمين في تونس، ثم شرح لهذه السيدة أن ما عليه المسلمون الآن في تونس، إنما سببه الأساسي هو ذلك الاستعمار الأوربي الحقود الذي أبقى هذه الشعوب على تلك الحالة وغلق كل منافذ التحضر أمامها.

ولتقدير النضال الصحفي لأبو اليقظان بتونس يكفي أن نذكر بأن جريدته وادي ميزاب التي صدرت يوم 1926/10/01م كانت تطبع بتونس وتوزع بالجزائر(**الزبير. س، الأصالة، ع(14، 15)، 284- 289**) وكان أول الداعين لتأسيسها والعاملين على صدورها الأستاذ محمد بن الحاج صالح الثميني وهو الذي تولى رئاسة تحريرها وطبعها بتونس والإشراف على تصحيحها وتوجيهها جاهزة للجزائر، بل أن جُلّ جرائد أبي اليقظان كانت تطبع بالمطبعة التونسية ثم انتقلت إلى المطبعة الأهلية بنهج الديوان فطلبت الحكومة الاستعمارية بالجزائر من حكومة تونس عدم السماح بطبع جرائد أبي اليقظان بتونس إلا برخصة من حكومة الجزائر، وآنذاك اضطر أبو اليقظان لطبع جرائده بمطبعة المغرب التي كان يملكها ابن عليوة بعاصمة الجزائر ومديرها الأخضر عمروش رئيس تحرير "البلاغ الجزائري" سنة 1929م(**مفدي. ز، 2003م.167**).

وهذه الشذرات القليلة من نضالات أبي اليقظان المنشورة بالصحف التونسية لا تدل فقط على همة ووطنية صاحبها، ولكنها تؤرخ لحركة الوعي السياسي والحضاري التي قادها ثلّة من الوطنيين الجزائريين الذين اتخذوا من تونس منطلقاً، ومن صحافتها منبراً ومن مخاطبة الشعبين التونسي والجزائري بداية "لحوار حول وحدة هذه الربوع ولبنة في الصرح المغاربي والعربي المؤمل، ثم ما لبث جهاد الوطنيين الأوائل أن حرّك أقلام الطلبة والعلماء والسياسيين وأقلام كتّاب الجزائر وأثار فيهم النخوة للكتابة عن الأوضاع الداخلية في رسائل كانت تنشرها الصحافة التونسية وتُطلع الرأي العام من خلالها على الظروف الصعبة والأوضاع المتردية التي كانت تعيشها الجزائر في ظل احتلال غاشم، إن نفس الأفكار المحرضة على حرية القول وعلى الدعوة إلى أن تنهض الصحافة بواجبها كاملاً تجاه الشعوب المغربية وخاصة تونس والجزائر التي نادى بها كل من الزاهري وأبو اليقظان، ظلت تتردد في معظم ما كتب الجزائريون المهاجرون في تونس من قصائد تتناول دور الصحافة في المناسبات التي تقتضي تهنئة جريدة من هذه الجرائد أو إبداء الأسف على احتجابها، ولعل أكثر هؤلاء وفاءً للجريدة التي رعته وبرت بمواهبه الطالب حمزة بوكوشة (شنوف) ، الذي نجده يلتزم الكتابة في جريدة (الوزير) **(بن قينة. ع، 1993م، 375 –385**)، فقط سواءً إبان إقامته للدراسة بتونس أو عند عودته إلى الجزائر، وقد توثقت هذه الصلة بين الشاعر وأسرة التحرير من مجرد اعتباره كاتباً وشاعراً جزائرياً يُحرر بعض الخطرات من حين لآخر إلى صداقة توثقت عراها بينه وبين مدير الجريدة الشيخ الطيب بن عيسى الجزائري الأصل، وبين الشاعر التونسي

محمود بورقيبة الذي كان يشرف على تحرير الأركان الأدبية بنفس الجريدة.

ولئن لم تُشر الصحافة التونسية إلى أي زيارة يمكن أن يكون الشيخ مبارك الميلي قد قام بها إلى تونس منذ مبارحته لها في سنة 1924م مع اهتمامها الجلي بكل الزيارات التي أداها أعضاء جمعية العلماء، فإن بعض المجلات التي صدرت بتونس احتفظت لنا برسالتين فقط كان الميلي أرسل بهما إلى بعض الأوساط العلمية الجزائرية والتونسية بتونس في مناسبتين خلال سنة 1937م المناسبة الأولى هي احتفال جمعية الطلبة الجزائريين بذكرى الهجرة النبوية وقد وجهوا الدعوة إليه لحضور احتفالهم فلما تعذّر عليه الحضور كتب إليهم خطاباً توجيهياً لمساندة نضالهم ومباركة جهودهم **(الثمرة الأولى، 1937م، ص88)**، أما المناسبة الثانية فكانت خطاباً كتبه إلى أعضاء أسرة تحرير المجلة الزيتونية عندما اتصل بالعدد الثالث من مجلتها وقد ضمن هذا الخطاب جملة من الملاحظات التي عزّ له إبداؤها حول المجلة ومنهجها ومضمونها العلمي، وتقديراً من المجلة لأهمية هذا الخطاب ومكانة صاحبه العلمية واعتزازاً بما ورد فيه من آراء وأفكار، وإن كانت في غير صالح المجلة، فقد بادرت بنشره لصدوره عن «عالم صديق فاضل» كما وصفته المجلة حيث كانت غاياته نبيلة ومقاصده شريفة وغيرته مشروعة **(الجابري.م، 1990م، 58)**.

وهذا بعض ما جاء في هذه الرسالة:«...نكتب هذا وبين أيدينا أثر من آثار ذلك الجامع المغمور، هو "المجلة الزيتونية" الممتعة يحمل عرشها أربعة

من شيوخه المدرسين وفتيانه الأقوياء.. ولا أنتقل قبل أن أبدي شكري لرجال إدارة المجلة وإعجابي بمهمتهم لنهوضهم بهذا العمل الجميل، ولحفظهم لذلك العهد عهد اجتماعنا في الطلب وإن تطاولت عليه حقب، ثم لنعد إلى مجلتنا فلننتظرها بعين ذلك الهوى العاقل في غير تعصب أو احتقار، فإنّ نجدها روضة باسقة الأغصان وارفة الظلال متنوعة الأشجار ناضجة الثمار... وإن الذي سرني جداً وملأني ثقة بحسن مستقبل مجلتنا وتحسين سمعة جامعنا هو اشتباك إمضاءات فتية ناشطين بإمضاءات شيب متبصرين...(وهذا) ما ينشر بثبوت قدمها في سلم الكمال ويضمن لها السير في طريق الاستقامة والاعتدال، ويربي النشء على احترام الكبار، ويدعو الكبار إلى مشاركة الشبان، وفي امتزاج هاتين الطبقتين قضاءً على الجمود وسلامةً من التطرف».(**الزيتونية، ج7، مج1، 47- 48**).

ويبدو أن التونسيين حتى من غير منخرطي الحزب الحر الدستوري قد أصابتهم حالة من الدهشة عندما اكتشفوا بالموازاة مع إعجابهم بشخصية توفيق المدني أن هذا الذي يدافع عن قضاياهم ويناضل من أجل حريتهم بمقالاته الجريئة وأدواره السياسية الفكرية المتعددة، إنما هو في أصله جزائري وقد تكمن مفاجئتهم في إن معظمهم لم يكن يفرق بين ما هو جزائري وغير جزائري خصوصاً في المحن والأزمات، فقد بدا لهم المدني من خلال مقالاته الغزيرة المتعددة المدافعة عن القضية التونسية باهتمام، إضافة إلى عضويته الحزبية المتميّزة، أنه تونسي الأصل والفصل، وفي هذا الإطار يبدو المدني تونسياً مغربياً إسلامياً دون أن يُولي اهتماماً يُذكر بالقضية الجزائرية، وربما كان يفعل ذلك خوفاً من الوقوع في المحظور،

ففي جلّ مقالاته برز بشخصية سياسية متميّزة بالعناد والصلابة والإيمان بمبادئ الحزب والتصدي لخصومه من المستعمرين الفرنسيين الذين طالوا ما طالوا وسوّقوا في انتظار أن تحين الفرصة للانقضاض على الحزب نفسه، أو تأتي الأحداث بما يشتهون.

في هذا المجال الذي يبرز فيه الكاتب متحزباً شديد الإيمان والتعلق بمبادئ الدستور نراه يؤكد في إحدى مناقشاته لتصريح أحد وزراء خارجية فرنسا لحمة الحزب وصلابته بقوله:«أما الحزب الحر الدستوري التونسي ورجال الأمة المخلصون الملتفون حوله التفافًا متيناً فإنهم يستمرون بثبات كلي، وبعزم أكيد على أعمالهم، ولا يغادرون فرصة - كبيرة ولا صغيرة- إلا انتهزوها لعرض مطالبهم والسعي في تحقيقها بكل الوسائل السلمية المشروعة، وإنهم ليزدادون إلا قوة وثباتاً كلما ازداد خصومهم انغماساً في بحر الأكاذيب المرذولة فلنسر سيرنا، ولنذب على أعمالنا، ولنتبع خطتنا السياسية التي ارتسمناها لأنفسنا، وما علينا أن يوالي أضدادنا حملاتهم ضدهم...» **(لسان الشعب، 1925/02/24م)**، وبهذا الفهم الذي يقوم على منطق الرفض للأمر الواقع ومحاولة تغييره بصورة ملحة ودائبة لم تُجدِ مع توفيق المدني شتى وسائل الترهيب والترغيب، فقد كانت جزائريته كما يقول في مذكراته: «تملي عليّ الصمود في المواقف الصعبة والمقاومة حتى النهاية» بل كان ينصح الناس بأن يجربوا«لذة» السجن مثلما جربها هو وله من العمر خمس عشرة سنة، حين زجّ به في 15 فيفري 1915م بتهمة التدبير لقيام تنظيم سياسي وتوزيع الأناشيد الوطنية والمنشورات ضد فرنسا **(الجابري.م، 1983، 287- 288)**.

وعن إسهاماته الصحفية بعد الحرب العالمية الأولى يقول عن نفسه: « وجاء يوم أول فيفري 1920م وكان يوم تحرير الصحافة التونسية من عقالها... وازدانت الآفاق الفكرية والسياسية والأدبية بتونس بعودة صحف المشير والصواب وعدد كبير من الصحف الجديدة والمجلات الراقية كالفجر والبدر والمجلة الصادقية... شمرتُ عندئذ عن ساعدي وآمنت بأن ساعة العمل قد دقت وتقدمت ولا أزال بالزيتونة إلى الصحف التونسية خاصة الصواب والوزير بمقالات متوالية اخترت لها رمز المنصور إمضاءً حتى لا أظهر باسمي لشر الإدارة، وكنت أوالي الكتابة ضمن دائرة السياسة الخارجية وأتولى النضال عن القضية المصرية والسورية وخاصة التركية... كما نشرت ترجمة لمقالة "هنري دي شامبون" – صاحب المجلة البرلمانية بباريس- المقتبسة أصلاً من كتاب تونس الشهيدة وفيها نقد قاسي للإدارة الاستعمارية بتونس، وهذا في جريدة "المشير"، وتهافت التونسيون على المشير يختطفونه من الباعة، فلم يبق في السوق إلا بعض أعداد فقط حجزتها الإدارة، وأمرت بإغلاق جريدة المشير وأخذتُ منذ ذلك الحين أغشى المجالس السياسية بصفة منتظمة، وأكتب المقالات السياسية لمختلف الصحف أمضيها باسم المنصور تارة وأنشرها دون إمضاء تارة أخرى»(**المدني، أ.1976، ج1، 162- 165**) وخلال هذه الفترة كان المدني يُحرر القسمين الإسلامي والخارجي بجريدة الأمة لصاحبها الحاج علي بن مصطفى(**بن قفصية.ع، 1972م، 28**).

ومن خيرة من اشتهر في العمل الصحفي خلال هذه الفترة ضمن كوكبة النخبة الجزائرية الزيتونية بتونس الصحفي عبد الرحمان

اليعلاوي، الذي كان تكوينه والتزامه السياسي قد جعله من أنشط الصحفيين خلال العشرينات ومن أبرز المدافعين عن حرية الصحافة، فقد ساهم بمعية محي الدين القليبي والمنصف المنستيري والطاهر الحداد وعثمان الكعاك في إعداد تقرير عن وضع الصحافة، تمّ تقديمه إلى اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري في اجتماع عقدته يوم 17 ماي 1923م ليقع اعتماده من قبل صالح فرحات خلال اتصالاته بالعاصمة الفرنسية، وقد طالب هؤلاء بالحرية للصحافة الوطنية الناطقة بالعربية كما رصد نشاط الرابطة القلمية، وذكر أنها كوّنت وفدًا قابل الوزير الأكبر وسلمته لائحة احتجاج على خنق حرية الصحافة.

ولقد كتب اليعلاوي العديد من المقالات على أعمدة الصحافة الوطنية بدون إمضاء أو بأسماء مختلفة أشار إليها في يومياته منها: (عبد الرحمان اليعلاوي- عماد- بن عباد- الكاتب المتجول- الصريح...)، وهذا في الصحف التالية: لسان الشعب (43 مقالاً)- وجحجوح (11 مقالاً)، ومقالات متفرقة بجرائد الأمة ومرشد الأمة والمبشر، والنديم، والممثل وإفريقيا.

وإذا كانت الصحافة هي ترجيع للأصداء المختلفة التي تتجاوب في شتى ميادينها، ومرآة صقلية تنعكس فيها الأحداث السياسية والاجتماعية التي تضطرب بها آفاق البلاد في مختلف مراحل نموها وانبعاثها، فذلك هو مفهوم مفدي زكريا للصحافة وتلك هي رؤيته لوظيفتها الرائدة في بناء ذاكرة الأمة وتفعيل دورها في المجال الحضاري، من هذا المنطلق الواضح راح الشاعر مفدي يبحث في مختلف وقائعها

ومراحل تطوراتها وزوايا تاريخها الحافل بالجزائر، حيث استقر بحثه ذلك عن برنامج إذاعي اشتمل على (23) حلقة، تمّ بثها عبر الإذاعة التونسية ما بين سنتي (1959م- 1961م).

ذلك أن أول خطوة لمفدي زكريا في عالم الصحافة كانت مبادرته إلى جانب رفيقه الشاعر رمضان حمود عندما أسس جمعية "الوفاق"، الأدبية التي أصدرت صحيفتها في الفترة مابين (1925- 1930)م في تونس **(مقابلة مع <u>الأستاذ سليمان الشيخ</u>، الأبيار، 2006/04/05)**، ورغم انشغالاته الوطنية العديدة، فقد ظل مراسلاً وفيًا لعدد معتبر من الصحف أو المجلات التونسية بأسماء مستعارة مثل:"الفتى الوطني"و "أبو فراس"، وتميّزت كتابات مفدي زكرياء الصحفية بطابعها الثوري وحماسها الفياض ولغتها الصافية والمباشرة عندما تكون موجهة لجماهير الشعب، وطافحة بالتهكم والسخرية اللاذعة عندما تكون موجهة لقوى البطش الاستعماري، «وقد غلب على كتابات مفدي في هذه الفترة المقال الصحفي والتعليق دون إغفال بقية الأجناس الصحفية الأخرى، ويعود سبب ذلك إلى أن مفدي ينزع نحو صحافة الرأي لا صحافة الإثارة، لكن ذلك لا يمنعه من أن يكتب بأسلوب صحفي بليغ؛ طابعه تحريضي وهدفه تعبوي، وسياقه حماسي متمرد». **(مقابلة مع <u>الأستاذ سليمان الشيخ</u>، الأبيار، 2006 /04/05)**

وكذلك الكاتب والشاعر الزيتوني محمد العريبي أصيل تيهرت الذي لم تستهويه في هذه الفترة ما ينشر في مختلف الصحف من كتابات أدبية يغلب عليها طابع الإثارة والتحريض، ولكنه ترأس تحرير جريدة من أعتى

الجرائد الوطنية التونسية وأشدها صلابة وأكثرها نضالاً، **(بن صالح.م. الهادي، الكراس 3، 1992م. 30- 37)**، ألا وهي جريدة "صبرة"، التي صدرت سنة 1936م بمدينة القيروان لصاحبها عمر العجرة، وتولى رئاسة تحريرها ثم عطلت في حوادث أفريل 1938م كما شارك العربي في تحرير عدد من الصحف: كالزمان- والزهرة- والبوق- والمباحث..، وساهم قبل ذلك في تحرير عدة صحف تونسية منها: السردوك والسرور، والوطن والعالم العربي، وكان يمضي فصوله باسم "ابن تومرت"، وتعتبر جريدة صبرة التي صدر عددها الأول في 16 مارس 1937م، امتداداً لجريدتي "الشباب" و"السردوك"، فهي نسجت على منوالهما، ذلك أننا نجد فيها نفس الانتقادات الساخرة الموجهة إلى الاستعمار وأذنابه من خلال المقالات والأزجال والصور الكاريكاتورية، من ذلك أنها نشرت صورة تمثال "جول فيري" المنتصب في شارع مدينة تونس الرئيسي تحت عنوان "لو تتحرك التماثيل"، مع التعليق التالي «... يحل تمثال جول فيري ضيفاً على حي باب سويقة لكننا نرى جول فيري يسد أنفه من رائحة المشوي والصبي التونسي يفرّ من الصبي الفرنسي قائلاً: تعلمت ياسر خليني نمشي نشيّت (أمسح الأحذية)، أما تونس فيطغى عليها جو الحارة العربية فتدقز [تتنبأ] للمعمّر قائلة: برجك بالخطار، لعنة الله على ظلم وجار».**(صبرة، ع34، 1938/02/25م).**

وقد تعطلت جريدة "صبرة"، إثر حوادث 1938/04/09م، مع كافة الصحف الموالية للحزب الدستوري الجديد، وذلك بعد صدور العدد 37 المؤرخ في أول أفريل 1938م، وأُلقي القبض على رئيس تحريرها محمد

العربي، وأودع السجن ثم عادت للظهور بعد احتجاب دام زهاء السنة حيث ظهر العدد الأول من السلسلة الجديدة في 07 جوان 1939م طافحاً بأخبار السجون والمنافي وما تعرض له الدستوريون من اضطهاد وتنكيل بعد حوادث 1938/04/09م، وصدر ضدها قرار جديد بالتعطيل النهائي في 1939/08/25م.

كما صدرت في تونس جريدة السرور الهزلية برئاسة علي الدوعاجي بالاشتراك مع نخبة من الأدباء والشعراء الشبان كان من بينهم الجزائري محمد المقراني، حيث ظهر العدد الأول يوم 1936/08/30م في ثماني صفحات يحمل العنوان الآتي: «السرور جريدة مفاكهة ممازحة ومؤانسة» ومن سوء حظها فإنها لم تعمر طويلاً، فما إن ظهر العدد العاشر الصادر في 10 أكتوبر 1936م، حتى احتجبت نهائياً. **(بن صالح.م. الهادي، الكراس 3، 1992م. 34)**.

ومن المعلوم أن العربي بدأ حياته الصحفية بمقال عنوانه "معرض يحي التركي" ونشره بجريدة "الزهرة" يوم 1935/01/01م بإمضاء ابن تومرت، ثم واصل بعد ذلك نشاطه فأبدع وامتاز، كما قال زين العابدين بإدخاله أسلوب الروبورتاج وقد أعانه في ذلك الأستاذ مصطفى بوشوشة الجزائري الذي كان يمده بالصور الشمسية للحوادث الجارية بحيث كوّن رواجاً لجريدته وخلق في البلاد تشوقاً لفنه. **(بن صالح.م. الهادي، الكراس 3، 1992م. 34- 35)** راجع: - **(حمادي. س، 1992م، 262)**.

فمجهود العربيي في إثراء الصحافة بتونس كان رائداً لا يمكن لناكر إنكاره حتى أنه حاول أن يكتب الجريدة بمفرده (جريدة الزمان 1940- 1941)، إثباتاً لكفاءته وتعبيراً عن مقدرته على غرار ما كان يقوم به محمود بيرم بجريدته «الخازوق» و«الشباب»، ومن الصدف الغريبة أن يُنهي العربيي رحلته الصحفية سنة (1944م) بتونس حيث بدأ بجريدة "الزهرة"، وقد تعامل أثناء هذه الرحلة مع جلّ المجلات والصحف اليومية والأسبوعية التي كان بها رواج في زمانه... وإذا عرف العربيي الصحافة المكتوبة منذ نشأته فقد أدرك الصحافة المسموعة منذ نشأتها.. فانظم إلى الإذاعة منذ بدايتها إثر خروجه من السجن سنة 1938م، فعمل بها متعاوناً مدة طويلة إضافة إلى عمله كصحفي بجريدتي "الزمان" ثم "الزهرة"، فأذاع بعض الأحاديث والأغاني والأزجال وكان العربيي يُدبِّج مقالاته بأربعة إمضاءات كانت على التوالي: العربيي، ابن تومرت، وولد الشيخ، الراوي المهم أن ما عرف من كتاباته الصحافية قد تم حصره في: (15) قصيدة ذات طابع رومانسي (12) أقصوصة(01) أقصوصة مترجمة، (01) فصل من رواية ...مترجمة، (06) مسرحيات باللهجة العامية التونسية، (09) أغاني وأزجال، (85) مقالة صحفية في الفن والأدب والسياسة وبعض الروبورتاجات. **(بن صالح.م. الهادي، الكراس 3، 1992م. 36).**

ولمحمد العيد الجباري عدة أعمال علمية وثقافية وأدبية، نشر البعض منها في عدة جرائد ومجلات تونسية، حيث نشر خلال الفترة (1924- 1936)م، أكثر من (20) مقالاً منها (12) مقالاً في جريدة العمل التونسية**(هلال.ع، 2004م، 158- 161)**، وهو يُناضل في صفوف

الدستور التي كانت سبباً في نفيه الأول إلى الجنوب التونسي، كما نشر الجباري في جريدة الإرادة مقالين بعنوان، "التفنن في الإرهاب" بتاريخ 1934/09/24م بعدها صدر أمر نفيه بتاريخ 30/ 09/ 1934م ونشر أيضًا في جريدة تونس قصيدتين أهمهما قصيدة: "أيها الشعب" جاءت كلها تنديد بالاستعمار الفرنسي في المغرب العربي.

وقد كان من ميزات الطالب الجزائري أحمد بن ذياب – الذي درس بالزيتونة خلال الفترة (1935- 1938) وتخرّج منها متطوعاً – التي فرضها على نفسه زمن تلمذته بالجامع الأعظم أنه كان يكتب في كل أسبوع موضوعاً إنشائياً حراً، حيث أثمرت هذه العملية بثمارها فكان ابتداءً من سنة 1937م ينشر البعض منها في جريدة البصائر وفي بعض الجرائد التونسية، وحين ظهر له لأول مرة مقال تناول فيه سلوك التلاميذ المستقيم في قسنطينة والمنحرف في تونس وقعت ضجة عنيفة في أوساط الطلبة الجزائريين **(البصائر، (ع92، 1937/12/24)، (ع94، 1938/01/07)**، حيث انتقد فيه مناهج الزيتونة العقيمة الجامدة التي تُساير الحياة كما انتقد سلوك الطلبة الزيتونيين الذي يسير من سيئ إلى أسوأ، فرد عليه أحد الطلبة في جريدة "الزهرة"، إلا أن بعض أساتذته قد نصحه وأقنعه بإهمال شأنه وعدم الرد عليه مراعاةً للمصلحة العامة للطلبة.

كما تألّق في ميدان الصحافة التونسية خلال هذه الفترة، عدد لا يحصى من الطلاب الجزائريين وهو ما لا تتحمله هذه الدراسة، نشير من بينهم على سبيل الذكر لا الحصر ولا التحديد، محمد الأخضر السايحي

الذي نشر شعره ونثره في الصحف الآتية (الزهرة، النهضة، تونس المصوّرة، الإرادة، الصواب، والزمان ..وغيرها) مع ملازمته لدراسته التي لا يتوانى فيها(**فضلاء.م، 2000م، ج2، 141**)، ومنهم أيضا محمد بن الحسين الذي قضى عمره في التحرير في الصحف والمجلات وبالخصوص في الجريدتين اليوميتين "الزهرة" ثم "النهضة"، كما ساهم في الإذاعة بأحاديثه الصباحية الشيّقة، وتولى أيضًا التحرير في مجلة (الجامعة) التي صدرت في جويلية 1937م، للجمع بين الفكر الزيتوني، والفكر الصادقي، وقد ضمت هيئة تحريرها إلى جانب محمد بن الحسين؛ جزائري آخر هو صلاح الدين بوشوشة. (**حمادي.س، 2005م.378**).

ومنهم أيضاً الطالب حماني أحمد الذي قال عن نفسه: «...كانت البصائر تنشر لي سلسلة مقالات بعنوان "حديث المتجول" أتناول فيه ماضي وتاريخ كل مدينة أنزل فيها، ونشرت لي حديث اجتماع جمعية العلماء، ثم اتصلت بجريدة "الإرادة" وبالصحفي القدير محمد المنصف المنستيري رئيس تحريرها فاستفدت من توجيهه ونشر لي عدة مقالات رنانة منها مقال بمناسبة محاكمة الشيخ العقبي تحت عنوان "صراع ثلاث سنوات" ومنها مقارنتي بين شخصية (م، ميو) مدير الشؤون الأهلية وشخصية الشيخ ابن باديس، وكتب الطالب الصادق حماني عدة مقالات في الصحف التونسية وأعجبت البصائر بما نشرنا ونوهت به في بعض أعدادها تحت عنوان "الجزائر في الصحف التونسية"، وبسبب مقالاتي في الجرائد التونسية، بحث عني رجال إدارة الشؤون الأهلية وتتبعوني بسبب نشاطي الصحفي بتونس، لكنهم لم يعثروا علي، إذ لم أكن أمضيها

باسمي ولكن أمضيتها باسمي المستعار الذي كان يعرفه أصدقائي ويعرفه الشيخ ابن باديس وهو الذي لقبني به (العيشاوي)، ومما كنت أقوم به خلال فترة الثورة من أعمال فقد كنت أنشر في الصحف الخارجية التي كانت ترسل إلى الشيخان شيبان وعلي مرحوم لتنشر في الصحف السيارة مثل جريدة "الصباح" بتونس بإمضاء "رشيد"..."»(**حماني.أ، 2004م، 48- 78**).

3- النضال الصحفي الجزائري في الصحافة التونسية خلال الفترة (1946- 1956)م.

إن هذه المساهمات الصحفية للنخبة الجزائرية بتونس يبدو أنها قد تطورت باطراد بعد الحرب العالمية الثانية، وبعد تضاعف حجم الهجرات والبعثات الطلابية الجزائرية إلى تونس في فترات لاحقة خصوصاً منها بعيد قيام الثورة الجزائرية المظفرة، ونمو الوعي السياسي ودخول الكفاح الجزائري ضد المستعمر الفرنسي طوراً جديداً من المجابهة المباشرة، ومع إطلالة الخمسينيات أخذت معظم الصحف والمجلات التونسية وفي مقدمتها: الأسبوع، والزيتونة، والندوة، والفكر، والعمل والصباح، واللغات، وغيرها تتوج بالأسماء الجديدة وبالمواهب المختلفة التي لفتت إليها الأنظار، وشدت الأسماع في المحافل الأدبية والفكرية؛ أسماء لا تدخل تحت طائلة التحديد والحصر، بعضها يكتب لماماً، وسرعان ما كان يتوارى كالشهاب النير بعد مقالة أو مقالات قليلة، وبعضها الآخر ثبت في الساحة الأدبية والفكرية وأصبح حديث النوادي، وكان نشاطه ملأ الصحافة، وملأ الساحة الأدبية والسياسية.

وهكذا لم تكن المرحلة الأولى منطلقاً لعمل صحفي وطني جزائري تونسي فحسب ولكنها كانت طوراً جديداً من أطوار الصحافة المناضلة التي تخلت عن اتجاهها السابق المتمثل في اهتمامها الواسع بالأخبار الخارجية، ودعوتها الدائبة للتضامن الإسلامي وحزنها المستمر على سقوط الخلافة العثمانية، مولية كل جهدها وعنايتها إلى الأوضاع الداخلية وترتيب الصفوف وتبصير الشعب بحالته الراهنة وبما يجب عليه القيام به من عمل للخروج من وضعية الهون والدون، وبسبب هذه الروح الجديدة التي برزت فيها هذه الصحافة كان إقبال القراء التونسيين والجزائريين عليها إقبالا مشجعاً، فقد رأوا أن الواجب يملي عليهم بأن يتخلوا عن قراءة الصحف القديمة التي كانت لا تكف –بحسن نية- عن توجيه الأنظار إلى الآفاق الخارجية، ومعالجة المشاكل العامة التي لا تمس حياة المواطن في شيء عن حاجياته الملحة وقضاياه المحلية الأكيدة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد انطوت الصحافة التونسية على تراث زاخر مما أنتجه الصحفيون الجزائريون خلال هذه الفترة، فقد ضمت صفحاتها كتابات هامة تؤرخ لتطور الحركة العلمية والفكرية بالجزائر، وتقدم حولها صورة مشرفة، وإن الرجوع إلى هذه الصحف كمصدر أساسي يأخذ أهمية أكبر بداية من الثلاثينات إلى حين استقلال الجزائريين نجد عدداً وافراً من الأعمال الإبداعية والإنشائية والمقالات السياسية التي تشير إلى كتابات هذا الجيل الذي أصبح فيما بعد عماد الحركة الأدبية والفكرية في الجزائر

(I.S.H.M.N. (Tunis)., A.N.O.M, Bob A57, C26 H8, Dossier 2,-I S.H.M.N. (Tunis. A.N.O.M, Bob A58, C26 H9, Dossier 2,)

إن النشاط الصحفي للنخبة الجزائرية بتونس لم يقتصر على تأمين رغيف العيش أو الدراسة بالمعاهد التونسية، ثم القيام بنشاط مماثل في الجزائر، ولكنه كان نشاطاً زاخراً متعدد الأغراض مختلف الوسائل مما جعله يُفضي إلى النتيجة المرتجاة ألا وهي تحقيق الحرية، وتأكيد الهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري، وعلى صفحات الجرائد التونسية لمعت أسماء العديد من الجزائريين في مجال كتابة المقالة السياسية والثورية والإبداعية، وقد برز من هذه الأسماء بالإضافة إلى عبد الله شريط، محمد الميلي، ومفدي زكريا، يحي بوعزيز، عبد الرحمان شيبان، محمد الصالح الصديق، عبد الله ركيبي، أبو القاسم سعد الله، الجنيدي خليفة، الطاهر وطار... وغيرهم عدد آخر لا يدخل تحت الحصر من كتّاب القصة والشعر والمقالة الأدبية.

وإذا كان من العسير الإحاطة بكل المقالات والكتابات الصحفية التي تكاد تتشابه خلال فترة الأربعينات والخمسينات خصوصاً، فإنه من المناسب الإشارة إلى أن هذا النوع من الكتابات التحريضية والاستنهاضية ساهم مساهمة جليلة في تعضيد الحركة الوطنية الجزائرية ثم الثورة المسلحة والتعريف بها ونشر أخبارها وأخبار الجهاد الشعبي الشامل، ورغم طابع الحماس والنخوة والانفعال الذي يسيطر على هذه الكتابات بحكم العوامل النفسية المعروفة في مثل هذه الحالة، فإنها تُعد إحدى الوثائق البارزة التي تقدم صورة عن نشاط النخب الجزائرية المهاجرة...ووجهاً من وجوه تصديهم للاستعمار، واندماجهم في المقاومة المسلحة، التي أعطوها من روحهم الوثابة الشيء الكثير، فما إن أطلت الثورة الجزائرية حتى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجدت بالانتظار جيلاً من المقاومين الأوفياء بالفكر والساعد... فكان هؤلاء صوتها الجهير وأداة إعلامها والمحاور الكفء الذي كان يتصدى للصحف الاستعمارية المسمومة، ويقدم للرأي العام الحقائق التي تحاول هذه الصحافة تشويهها وإخفائها.

فمولود قاسم نايت بلقاسم كان وهو طالب بالزيتونة يشارك بالكتابة في جريدة "المغرب العربي" الناطقة آنذاك باسم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية التي كان يرأس تحريرها محمد السعيد الزاهري، كما كان يساهم أحياناً بكتاباته في مجلة "المنار" الفتية التي كان يرأسها الأستاذ "محمود بوزوزو"، وجريدة "لسان العرب" التونسية فيما بين (1947- 1949)م أي خلال تلمذته بالجامع الأعظم **(بن نعمان. أ، 1997م،22).**

ومنذ سنة 1948م بدأ الطالب محمد الصالح الصديق (1946-1951)م ينشر في الصحف التونسية بعض القصص والمقالات القصيرة، حيث ألّف عام 1951م - سنة تخرجه- كتاب أدباء التحصيل من أربعة أجزاء طبع منه جزآن**(محمد الصالح. ص، 1951م)**، كما أنه تابع نشاطه الصحفي بها فيما بعد عندما التحق بتونس عام (1956)م عن طريق باريس، أين كان يعمل في إطار مصلحة الصحافة والإعلام لجبهة التحرير الوطني**(بوعزيز. ي، 1995م، ج1، 317).**

يقول الأستاذ محمد الصالح الصديق عن إسهاماته الصحفية«..كنت الوحيد من ضمن زملائي الطلبة الجزائريين الذي كان يداوم وباستمرار على الكتابة في الصحافة التونسية فنشرت لي "صوت الطالب الزيتونية"

عدة مقالات متنوعة الجوانب منها مقالات في الأخلاق والروحانيات.. كما نشرت لي مجلة "وحي الشباب" مقالاً واحداً، والطابع العام لمقالاتي هو الرؤية الأدبية المحضة في تناول قضايا المجتمع والعالم الإسلامي والتشريع الإسلامي والمعاملات الأخلاقية (جمعتها في كتاب سميته أدباء التحصيل)، كناية على شهادة التحصيل الزيتونية حيث أدرجت فيه جملة من تراجم الأشخاص درست حياتهم الشخصية والأدبية، والملاحظ أن جامع الزيتونة قلمّا شهد طالباً زيتونياً ألّف كتاباً وهو لا يزال يدرس في المرحلة الابتدائية...» **(مقابلة مع الأستاذ محمد الصالح الصديق).**

وفي سياق عمله الصحفي بتونس نشر أيضاً في مجلة "وحي الشباب" التي كان لا يكتب فيها إلا الأساتذة.. وكان أول مقال لي فيها بعنوان "التفاؤل والتشاؤم" وقد أثار حينها ردود فعل في أوساط الطلبة «ومن شدة إعجابهم بما كتبت كان الطلبة الزيتونيون عموماً يقولون لي دومًا "لقد بيّضت وجوهنا" أما عن ردود زملائي من الجزائريين فقد لقيت من بعضهم العنت والصدود، وفيهم أيضاً من كان يرمقني بعين الحسد والبغض.. ولم أكن أبالي بهم..» **(مقابلة مع الأستاذ محمد الصالح الصديق).**

وقد أتاح وجود الطالب الطاهر بن عيشة بالعاصمة التونسية الفرصة في أن يستأنف مغامراته الصحفية التي بدأها غداة الحرب العالمية الثانية، بالكتابة في بعض نشرياتها كمجلة "النهضة التونسية".. وكان ذلك من خلال صحيفة "عصا موسى" لصاحبها السعيد الزاهري. **(عباس. م، 2004م، ج2، ص73).**

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

كما كان الطالب أبو القاسم سعد الله (1930م-) يُدبج مقالاته وأشعاره خصوصاً المنشورة منها في جريدة البصائر بأسماء مستعارة كإبراهيم الحمداني أو رشيد الخوري أو بلقاسم القماري، ومن الملفت أنه كان يُوظف هذه الألقاب لينتقد نفسه بنفسه، كنقده لنفسه فيما يتعلق بمقال "أرض الملاحم"، الذي نشره بالبصائر(**البصائر، ع 264، 1954/03/26م**)، تحت اسم مستعار هو إبراهيم الحمداني؛ يقول عن نفسه في ذلك «كشباب كنا نتنافس في تحرير الإنشاء الأدبي لشيوخنا الذين يكلفوننا بهذه الأعمال كجزء من فروض الدراسة دون الشعور بأنني شخصياً كنت أختلف عن أمثالي من الطلبة التونسيين، فكان التنافس شديداً بيني وبين أحدهم (؟)، الذي كان أيضاً يحب الأدب الحديث.. وقد أضاف ظهور مجلة "الندوة" التي تسير في ركاب الحداثة ومجلات أخرى قصيرة الأجل مثل مجلة "المعارف"... شيئاً جديداً إلى اهتماماتي الأدبية.. وقد نشرت شخصياً بعض أعمالي المبكرة بتوقيع (عضو رابطة القلم الجديد)، في بعض الصحف التونسية فأذكر أنني نشرت في النهضة بعض المحاولات وهي لا تستحق الذكر هنا لأن الجريدة نفسها كانت تختصر ما أرسله إليها أو تنشره ربما تشجيعاً لي فقط بل كانت تخطئ في الاسم نفسه، كما نشرت في مجلة "المعارف" وفي جريدة "الأسبوع"، ولا أدري إن كنت قد نشرت في جريدة (الزهرة)، وهي جريدة عريقة، فقد طال العهد ولم أكن أجمع أو أحتفظ بنسخ مما كنت أرسله إلى هذه الجرائد...» **(مقابلة مع الأستاذ أبو القاسم سعد الله).**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن إصدارات جبهة التحرير الوطني بتونس صحيفة "المقاومة" التي سبقت صدور جريدة "المجاهد". وكانت المقاومة تصدر باللسانين العربي والفرنسي، وبالنظر إلى قائمة محرريها نجدها تكاد تكون زيتونية، فمن محرريها مثلا إبراهيم مزهودي، محمد الميلي، عبد الله شريط، الأمين بشيشي، عبد الرحمان شيبان، عبد الرحمان شريط، عيسى مسعودي، محمد الصالح الصديق.(**Hassani .A,1988, 26- 54**)، وكلهم خريجي الجامع الأعظم، ويروي محمد الصالح الصديق موضوع التحاقه بهيئة تحرير جريدة المقاومة قائلا: «لما جاء الأخ علي محساس إلى تونس واتصل بي، وبعد محادثة قصيرة اقترح علي أن أعمل في الصحافة في قسم اللغة العربية، وأخذني في الحال إلى الإدارة فقدمني إلى الإخوة أعضاء المكتب العربي، حيث ظللت محرراً في (جريدة المقاومة)، ومن أوائل سبتمبر 1956م إلى غاية شهر أوت 1957م، حيث تجنّدت ضمن فرق جبهة التحرير الوطني التي فتحت الواجهة في الصحراء دخولاً من فزان والإقامة بتوات(**مقابلة مع الأستاذ محمد الصالح الصديق**).

وعندما لجأ عبد الرحمان شيبان إلى تونس عام 1956م عن طريق جبهة التحرير الوطني أصبح من أسرة تحرير (المقاومة الجزائرية) التي كانت تصفف وتوزع انطلاقاً من تونس، وكان لشيبان باب خاص فيها بعنوان (صفحات خالدة من الإسلام) حيث كان يقارن بين غزوات الرسول ﷺ وثورة الجزائر، وفي تونس دائماً أشرف على إصدار مجلة الشباب الجزائري والتي قصد من خلالها تثقيف وتوجيه الشباب الجزائري اللاجئ في تونس، إضافة إلى أنه كان يشرف على أنشطة الشباب المختلفة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

كالكشافة والرياضة والموسيقى والتمثيل**(فضلاء،م، 2000م، ج2، 84- 85)**، كما قام الطلبة المنضوين في إطار اللجنة الكشفية الجزائرية بدعم مجلة الشباب الجزائري التي صدر منها إحدى عشرة عدداً. **(لبزة. م،1999م، 73).**

الخاتمة:

وعموما فقد تميّز النشاط الصحفي الذي قام به الجزائريون منذ مطلع القرن العشرين حتى منتصف الخمسينيات منه في جلّ مراحله بالحيوية والاندفاع والعمل الدائب، كما كان هذا النشاط متلاحقًا توارثته الأقلام كما الأجيال وتفرّد كل جيل بخصوصية المرحلة التي عاشها ومثلما ساهم في توسيع دائرة هذا النشاط نخبة من الصحفيين الجزائريين المقيمين بأفكارهم وآرائهم فقد ساهم في تزكيته ومتابعته بحرص فلول من المهاجرين الجزائريين بأنفسهم وأموالهم وأقلامهم، وإجمالاً فإن النشاط الوطني الذي بذله الجزائريون في تونس عقب الحرب الكونية الثانية كان أوضح مواجهة وأشد على الاستعمار من ذلك النشاط الذي بذله الأسلاف في المرحلة السابقة، ومن الاستنتاجات التي يمكن أن نخرج بها أيضاً، هو أن النخب الجزائرية التي قادت مسيرة الحركة الصحفية الوطنية طيلة المرحلة الاستعمارية نجحت في أن تثري قضية الوحدة المغاربية بأدبيات سياسية وفكرية متنوعة، كما أنها تمكنت أيضاً من توظيف هياكل التنسيق والنضال المشترك لخدمة المسألة الوطنية الجزائرية لكن الذي تعثرت في إنجازه هو إسهامها في خلق وعي قومي وحدوي حقيقي قوامه الوحدة السياسية بعد الاستقلال.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفيما يتعلق بالنشاط الصحفي الطلابي بتونس فيمكن القول أنه تجاوز في أغلب الأحيان واقعه الطلابي ليكتسح الساحة السياسية العامة، وذلك أن تعرضهم لضغوط نظام الحماية ومضايقاته كانت تدفعهم إلى توخي الطرق النقابية واتباع أساليب الأحزاب السياسية، فكانت طرق عملهم تكتسي في الغالب صبغة شبه سرية وهذا عن طريق المناشير والمعلقات والمقالات والاجتماعات والمظاهرات.

إن هذا النشاط الفيّاض كان يعكس من جهة الحالة الواقعية لنضجهم السياسي، ومن جهة أخرى نوعية وحقيقة التحوّلات التي سيشهدها المجتمع التونسي، فالمكانة التي كان يحتلها العنصر الجزائري ضمن تلك الحركية الجماعية هي التي كانت من أهم أسباب انبعاث النهضة في تونس، إن أنشطة الجزائريين السياسية والجمعوية والصحفية والنقابية والفكرية والأدبية... تحيلنا إلى تبني بعض النتائج المهمة:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- لقد لاحظنا حيوية الفكر الجزائري، فرغم الركود الذي كان يصيب العالم الإسلامي والعربي حينها بسبب الهجمة الاستعمارية الأوروبية عليه، إلا أن بعض الجزائريين كانوا يتفاعلون مع أحوال عصرهم ويهتمون بأحوال إخوانهم المسلمين في الأقطار الأخرى وأحياناً كثيرة كانوا يسبقون ذلك العصر ببعض الأفكار المتقدة في ميداني الفكر والسياسة خصوصاً.

- نلاحظ أن منطلقات الصحفيين الجزائريين كانت منطلقات ثقافية مضمرة في شخصيتهم من غير تكلف ومواربة، والتي هي في الأخير وعي

مدرك بقضية الوحدة وإيمان يقيني بضرورة التوّحد، بل أن المنطلقات نفسها شكلت في فترة زمنية سابقة رهاناً حقيقيا في مصير الجزائر، ذلك أن تصفحنا لمقالاتهم ينتهي بنا إلى خلاصة واحدة وهي اقتران المطلب الوطني القطري بالمطلب القومي الملي من غير تناقض بينهما.

▪ نلاحظ أن التجربة الصحفية الجزائرية هذه كانت رائدة من حيث منطلقاتها في العالمين العربي والإسلامي وهي تجربة لم يتح أن تعطى حقها من العناية والدرس، ووضعها في مكانها من نضال كل العرب والمسلمين السياسي والفكري من أجل النهوض والتحرر.

قائمة المصادر والمراجع:

• الوثائق الأرشيفية

–C.D.N: Centre de documentation National(Tunis),
- A3, 39
- B2–81. , A3-53
- B2. 61, doc n°(1-2-3-4-5)
- B2-25
- B2-66, doc n° 31 et 37.
- B2-66-doc n°31et 37
- I.S.H.M.N: Institut supérieur d'Histoire du Mouvement National (Tunis).,
- A.N.O.M, Bob A57, C26 H8, Dossier 2, "Guerre d'Algérie à Traver la presse Tunisienne".
- A.N.O.M, Bob A58, C26 H9, Dossier 2, "Guerre d'Algérie" date (10/1957, 12/1957), N, p (199)".

• المقابلات

– مقابلة مع الأستاذ أبو القاسم سعد الله، بمقر المركز الوطني (ل. ب. ث. ج. و ث أول نوفمبر) – الأبيار – الجزائر 2006/04/05م، 09:30 -12:00.

- - مقابلة مع الأستاذ سليمان الشيخ، بمقر المركز الوطني – الأبيار، الأربعاء 2006/04/05، (09:00- 09:30)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- - مقابلة مع الأستاذ محمد الصالح الصديق: حي بن عُمار (القبة) فيلا 339- الجزائر، 2006/04/04م، 5:00 - 17:00.

❖ باللغة العربية:

- **الكتب المصدرية:**

1. أحمد (خالد)، 1979م. أضواء من البيئة التونسية على الطاهر الحداد، ط2، تونس: الدار التونسية للنشر.
2. الثمرة الأولى (إصدار ج.ط.ز.ج) 1937م ، تونس: مطبعة الشباب.
3. حمادي (الساحلي)، 1992م.فصول في التاريخ والحضارة، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
4. حمادي (الساحلي)، 1996م. الصحافة الهزلية في تونس، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
5. حمادي (الساحلي)، 2005م.تراجم وقضايا معاصرة، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
6. حماني (أحمد)، 2004م. شهداء علماء معهد بن باديس، الجزائر: قصر الكتاب.
7. الخضر حسين، 1904م.السعادة العظمى، تونس: مطبعة الرائد التونسي.
8. الزاهري (محمد الهادي)، 1926م. شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، تونس: المطبعة التونسية.
9. بن عاشور (محمد الفاضل)، 1381هـ. أركان النهضة الأدبية بتونس، تونس: مكتبة النجاح.
10. بن عاشور (محمد الفاضل)، 1983م. الحركة الأدبية والفكرية في تونس، ط3، تونس: الدار التونسية للنشر.
11. علي الرضا (الحسيني)، 1998م.كتابات حول الإمام محمد الخضر حسين، تونس: الدار الحسينية للنشر.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

12. بن قفصية عمر، 1972م. أضواء على الصحافة التونسية، تونس: دار بوسلامة للطباعة والنشر.

13. كرو (محمد أبو القاسم)، 1973م. محمد الخضر حسين، تونس: دار المغرب العربي.

14. محفوظ (محمد)، 1982م. تراجم المؤلفين التونسيين، ج2، ، دار الغرب الإسلامي.

15. محمد الصالح الصديق، 1951م.أدباء التحصيل، تونس: دار الكتب العربية.

16. المدني (أحمد توفيق)، 1976م.حياة كفاح (مذكرات)، ج1، الجزائر: ش. و. ن. ت.

17. مفدي (زكريا)، 2003م. تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، تح. أحمد حمدي، الجزائر: مؤسسة مفدي زكريا.

- **الدوريات المصدرية:**

1. الأمة، الجزائر: ع76 - 1936/05/26م - ع130- 1937/7/02م.
2. البصائر، الجزائر: (ع92، 1937/12/24)، (ع94، 1938/01/07). ع 264، : 1954/03/26م.
3. الزيتونية، تونس: ج7، مج1.
4. الشهاب، الجزائر: ديسمبر 1933م- سبتمبر 1937م.
5. صبرة، ع34، تونس: 1938/02/25م.
6. الفاروق، الجزائر: ع66، 1914/06/22- ع72: 1914/08/03، والأعداد التي تليها- ع20، 07/ 1914 ـع72، . 1914/08/03.
7. أبو قشة، ، تونس: ع19 .1908/12/19م.
8. لسان الشعب، تونس: 1925/02/24م.
9. المشير، تونس: ع26، 06/ 1911/08.- ع26، 1911/08/06.

10. المنبر، تونس: 1921/02/11

11. النهضة، تونس : 1925/05/22م

12. الوزير، تونس: 1929/4/4م - 1929/03/21م

- **الكتب المرجعية:**

1. بوعزيز (يحي)، 1995م. أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
2. الجابري(محمد الصالح)، 1983م. النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، تونس: الدار العربية للكتاب.
3. الجابري (محمد الصالح)، 1990م.التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
4. الجابري (محمد الصالح)، 1991م. الأدب الجزائري في تونس، ج1، تونس: بيت الحكمة.
5. الجندي (أنور) 1965م. الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، القاهرة: الدار القومية.
6. الخرفي (صالح)، 1969. شعراء من الجزائر، ج1، معهد البحوث والدراسات العربية.
7. الخرفي (صالح)، 1977م.الجزائر والأصالة الثورية، الجزائر : ش.و.ن.ت.
8. الخرفي (صالح)، 1986م.محمد السعيد الزاهري، الجزائر: م، و، ك.
9. الخرفي (صالح)، 1995م. عبد العزيز الثعالبي، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
10. الزمرلي (الصادق) 1986م. أعلام تونسيون، تح حمادي الساحلي، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
11. سعد الله (أبو القاسم)، 1998م. تاريخ الجزائر الثقافي، ،ج5، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
12. بن سمينة (محمد)، 1989م. محمد العيد آل الخليفة، الجزائر: م، و، ك.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

13. الشامي (علي)، 1980 م. الصحراء الغربية (عقدة التجزئة)، بيروت: دار الكلمة للنشر.

14. شوقي (أبو الجليل)، 1991م.الإسلام وحركات التحرير العربية، دمشق: دار الفكر.

15. عباس (محمد)، 2004م.مثقفون في ركاب الثورة، ج2، الجزائر: دار هومة.

16. عوض (صالح) 1992م.، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر، ج2، ط2، الجزائر: دار دحلب.

17. فضلاء (محمد الحسن)، 2000م. من أعلام الإصلاح في الجزائر ، ج2، الجزائر: دار هومة.

18. بن قينة (عمر)، 1993م. صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، الجزائر: د، م، ج.

19. لبزة (محمد الصغير)، 1999م." الكشافة وجيش التحرير"،الكشافة الإسلامية الجزائرية،الجزائر: دار هومة.

20. مناصرية (يوسف)، 1988م. الحزب الحر الدستوري، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

21. المنصف (شرف الدين)، 1997م.من رواد المسرح التونسي وأعلامه، تونس: المكتبة العتيقة.

22. بن نعمان (أحمد)، 1997م. مولود قاسم نايت بلقاسم، ط2، الجزائر: در الأمة.

23. هلال (عمار)، 2004م. نشاط الطلبة الجزائريين إبان ثورة نوفمبر 1954م، الجزائر: دار هومة.

- **الدوريات المرجعية:**

1. الجابري(محمد الصالح)، 1984/04م. "تونس في نظر الشعراء الجزائريين " الفكر، تونس، ع07: ص.ص (21- 38)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

2. الجابري (محمد الصالح)، 1992م. "التواصل الثقافي والفكري بين تونس والجزائر"، دائرة المعارف التونسية، تونس: بيت الحكمة، الكراس03، ص.ص(105- 112).

3. الزبير (سيف الإسلام)، 1975م. "النضال الصحفي"، الأصالة، ع24، الجزائر، ص.ص (74- 94).

4. بن صالح (محمد الهادي). 1992م.، " محمد العريبي"، دائرة المعارف التونسية ، تونس: الكراس03. ص.ص(30- 37).

5. قاسم (الشيخ بلحاج)، 06/ 1996م. " الشيخ أبو اليقظان ومعالم في جهاده الإسلامي"، الموافقات، ، الجزائر: المعهد الوطني العالي لأصول الدين، ع9، ص.ص(32- 46).

6. ناصر (محمد)، أوت/سبتمبر 1974م "أبو اليقظان والقضايا الإسلامية والعربية"، الثقافة، الجزائر: ع27.ص.ص ص.ص(54- 66).

❖ باللغة الأجنبية:

- الكتب المرجعية:

-Hassani (Abdelkrim), 1988. Guérilla sans visage, Alger: O.P.U.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجزائر 1830- 1962:

فقدان الذاكرة، العفو العام، الذكرى: مرارة الجزائر !

(الجزء الأول)

برونو ايتيان،

معهد الدراسات السياسية بآكس آن بروفانس، فرنسا،

ترجمة د. ودان بوغفالة،

مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية،

جامعة معسكر.

إن ***مجلة العَالَمَيْن*** (Deux mondes) تأسست زمن احتلال الجزائر، وقد ساهمت منذ أكثر من قرن ونصف في النقاش الثقافي بفرنسا، وقبلت بكتابها؛ وهم الذين ينتمون إلى ميولات ونزعات متنوعة بكثرة، ومنحتهم حرية التعبير عن أفكارهم.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خصصت هذه المجلة، وخلال الفترة المذكورة حوالي ثلاثمائة وعشر مقالا للبلدان المغاربية؛ خصصت منها أكثر من النصف للجزائر بمفردها، وأكثر من عشرين مقالا للمشكل الاستعماري على العموم. واندهشت كثيرا أنا شخصيا عندما كنت أشتغل على الأرشيف من أجل إعداد دراسة بيوغرافية عن الأمير عبد القادر من العثور على مقالات ممتازة عن الأمير نفسه (بربروجر: BERBRUGGER)، وعن فترة الغزو، حررت بأقلام ذات كفاءة عالية يومئذ. كما وجدت كذلك أكثر من ثلاثين مقالا لكاميل روسي (Camille ROUSSET)، وأيضا رحلات أخرى كثيرة لبعض ضباط الجيش. (المرجع. على سبيل المثال الرسائل المكتوبة للجنرال دو كاستيلان (DE CASTELLANE)، ص ص 89- 112).

لقد ظهر إذا من الأهمية بمكان لجان كوسي (Jeanne CAUSSE) وبرونو دو سوسول (Bruno de CESSOLE) رسم صورة مماثلة لهذا الإنتاج والاطلاع على مساهمة المجلة في التعرف على هذا البلد القريب جدا والبعيد كذلك. إنه بالتأكيد كان يتوجب الانتقاء، لأنه لم يكن من الممكن إعادة نسخ كل المقالات. كان يجب عرض كل المقدمات وما هو تافه: ***إن الكتاب ينتمون إلى عصرهم، ومن الخطأ أن نحاكم الناس على فترة وكأنهم تم تبليغهم مسبقا بكل ما تعلمناه نحن منذ ذلك الحين***. ولم يتم اختيار المقالات المرتبطة بالأحداث البارزة المعروفة جيدا في التاريخ، لكن من الواضح أنه خلال القرن التاسع عشر كان الكتاب العسكريون والرحالة أكثر حيادا (موضوعيين ووضعيين) من كتاب القرن العشرين الذين كانوا يمارسون في الغالب التبرير الاستعماري بدون تردد.

إن مقالات لويس برتران (Louis BERTRAND) كانت تقريبا كاريكاتورية في هذا الموضوع: لقد كان أستاذا بثانوية آكس وجزائروي « Algérianiste »، وهذا يعني أنه مقتنع في الوقت ذاته بميلاد سلالة جديدة بالجزائر ولكنه عدائي للغاية للسلالة العربية والايطالية. إنه في الواقع، على مستوى اللفظ (هنا كلمة «السلالة» أو كل الأوصاف التي تحدد الأهالي العرب المسلمين الجزائريين) الذي يمكن إتباعه في القضايا المروعة للتصور الاستعماري: كتابات كثيرة لرنان (RENAN) صارت باطلة اليوم تحت طائلة القانون. كان هذا الأخير يفكر بأن الساميين هم سلالة منحطة، وفي مقاله (ص ص 267-287) يناقش بجدية بالغة وجهة النظر التي تتأسس على التمييز في دراسة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأمازيغ بالمقارنة مع العرب. ويناقض بال (BELLE) التاريخ عندما نتابع اليوم الكفاح الحضاري (KULTUR-KAMPF) للأمازيغية في الجزائر!

كل نصوص القرن التاسع عشر هي معبئة بهذا النوع من المرجعية في التمييز بين العرب والأمازيغ، ونجد فيها حتى أحكاما من نوع: « أوربيا، كان عبد القادر رجلا عظيما » بقلم كاميل روسي (Camille ROUSSET) في إشادة وجهها إلى الدوق دومال (Duc d'Aumale ص ص 113-136)، فأي جهل بهذه الشخصية!

ومع ذلك، نجد أيضا بعض الملاحظات الايجابية، على سبيل المثال أدبيات ما كمهون (Mac-Mahon ص ص 29-53): « العرب الذين يعرفون بشجاعة ... »، أو المقال الجميل عن الشرف بالصحراء ... في 1854 (ص ص 151-172) ! إنه بحق أن الجنرال دوماس (DAUMAS) هو أحد أفضل الخبراء بالجزائر، وبدون شك هو من أفضل أصدقاء الأمير عبد القادر الذين دافعوا عنه حتى النهاية أثناء فترة أسره.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غير أن الفضائل المعترف بها هي دائما تقدم مُخففة مُضَعَّفة: « ضيافة العرب معروفة جدا على شيوع هذا الموضوع ... »، كما تصرح السيدة دو باركي (Du Parquet) في نص جميل وشرقي نوعا ما، عن رحلتها في بسكرة (Biskra: 231-265) التي قامت بها، تصف في عام 1879 الجزائر التي يعرفها بعض الفرنسيين وبعض الأوربيين المتواجدين بها؛ والذين سيزورونها فيما بعد. وفي مصدر قريب، فرومانتان (Fromentin) لا يفاجئنا؛ وهو من دون شك أحد أفضل الممثلين رفقة دولاكروا (Delacroix) للوحة الشرقية، فوصفه الدقيق (ص ص 173-229) يثير الدهشة بتفاصيله الاتنولوجية. وعلاوة على ذلك، كان

ملاحظا أكثر منه مجاملا، ويطرح السؤال المناسب مثلما يطرحه العرب: لماذا لا يكون الرسام جاسوسا سياسيا؟

أما على المستوى المعماري أو الجمالي، هناك مقال حديث جدا (ص ص 311-333) يلفت الانتباه: قصبة مدينة الجزائر هي ليست سوى من الحنين، ويتأسف كذلك لويس برتران؛ وهو أكثر تعاطفا هذه المرة.

زمنيا، نحن في سنة 1934، لقد وصل إلى مدينة الجزائر لو كوربزيي (Le Corbusier)؛ وهو يحمل مشاريع معمارية كبرى، يزورها رفقة الرسام جون دو ميزونسال (Jean DE MAISONSEUL). وفي أعقاب السنوات الموالية، يواصل فرنان بويان (Fernand POUILLON) وغيره من المعماريين على هذا الزخم نفسه.

إن الجنود يشكون بالفعل من تحيز الصحافة، ويشجب كتاب كثيرون الأخطاء المتداولة في العاصمة عن أعمال الجزائر الفرنسية؛ وهو موضوع متكرر أكثر منه دائم على مدار ما يربو عن قرن من الزمن.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقام برنار سيميو (Bernard SIMIOT) المتخصص في الدراسات الأمازيغية بالربط بين الفترة الحديثة و« زمن القتلة » (ص ص 535-539) ويستشهد حتى برواية لويس برتران دم *السلالات*؛ وجزائره (Son Algérie) في كربته هي كذلك غير واقعية عند تأكيده نجاح الاندماج بين الدوران (Les Durant) والآرنونداز (Les Hernandez) ...، دون العرب !

لقد كان كل شيء في مكانه منذ فترة طويلة: القانون الأساسي للمعمرين (المرجع. مقال سنة 1906 لبول لوروا - بوليو Paul LEROY-BEAULIEU، ص ص 365-391) واستخدام العمالة المحلية من الأهالي (ص ص 137-149) - ويا له من مقال غير متوقع من الماريشال بوجو (BUGEAUD) عن العمال وعن السان سيمونية (Le Saint-simonisme !)-

، ثم حقوق الفرنسيين المسلمين من أصول شمال إفريقيا (إليزي سباتيي Elisée SABATIER ص ص 457-466)، وحتى الانتخابات المزورة منذ عهد نيجلان (Naegelen) إلى عهد لاكوست (Lacoste) (ص ص 467-480). ونرى بأن السلطات الجزائرية اليوم قد تعلمت الكثير من التلاعب الفرنسي!

وتركز مقالات كثيرة منشورة من عام 1900 إلى عام 1940 على مشكلة القانون الفرنسي الحديث المتعارض مع المشاكل التي يطرحها القانون الأساسي الإسلامي للأهالي ومشكلة القانون الجزائري. لقد اطلعنا هناك (على مقالات موقعة بـ: *** بأول أفريل 1903 وبأول ماي 1935) على النقاش المعقد جدا بين مفهومين متباينين للقانون، أحدهم من أصل ديني (لفقرة غامضة من القانون الأساسي ليهود الجزائر تعود كفكرة مهيمنة)، والمفهوم الثاني؛ هو قانون أجنبي ولكنه مؤسس على عقد روسو بحيث لا يستطيع قسم من السكان الانضمام إليه.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعن هذه النقطة، يلفت انتباهنا المقال (ص ص 457-466) الموثوق به تماما لصاحبه إليزي سباتيي عن الحقوق الانتخابية للأهالي الذي يُبين جيدا رهان مشروع بلوم فيوليت (Blum-Violette)؛ الذي نوقش في مقالات أخرى بتسليط الضوء على معاداة السامية (L'antisémitisme) الكامنة عند الأوربيين بالجزائر الذين بعثوا دريمون وماكس ريجيس (Drumont, Max Régis) إلى الغرفة.

غير أنه من الواضح أن المقالات الأخيرة (لبرنار سيميو على سبيل المثال، ص ص 523-558) هي تتعلق إذن "بالأحداث" الواقعة ذات الطابع السياسي أكثر، وأقل موضوعية من مقالات الجنرال دوماس. وبكل

وضوح، لم تكن الرهانات أبدا هي نفسها، وتزايد سوء الفهم عدائية أكثر فأكثر ما بين المجموعات.

ما يدهشني حقا هو نشأة تصور فريد من نوعه، لقد نشرت ***مجلة العَالَمَيْن*** مقالات أخرى عديدة عن الأب دوفوكو (De Foucauld)، وعن الأسقف لافيجري (Mgr Lavigerie)، وعن فرومانتان (Fromentin) وعن الصحراء السياحية، وحتى عن أوريلي بيكار (Aurélie Picard)، هذه "البوردية" (Bordelaise) التي تزوجت من الشيخ التيجاني.

بيد أن هذه ***المجلة***؛ هي كذلك وحسب زمانها، وما لم تتحدث عنه له دلالته من روح العصر. لم تشر إلى أي شيئ عن الجزائر العميقة، ولا عن أبطالها، لا عن الأمير خالد (حفيد عبد القادر وبدون شك هو أول بطل وطني)، ولا عن ابن باديس أو مصالي الحاج، ولا عن فرحات عباس، ولم تتطرق إلى مدينتي تلمسان وقسنطينة كمراكز ثقافية عربية. كان يجب الانتظار إلى غاية عام 1991م ليتم نشر مقال محرر من طرف أحد المغاربة.

لقد قال حنا أرنت (Hannah ARENDT) إن من يدعي محاكمة نظام ما؛ فهو يزعم محاكمة الجنس البشري. ويظن كثير من الفرنسيين أن العرب المسلمين، والجزائريين على وجه الخصوص ليسوا جزءا من البشرية. وسيكون إذن من الرائع، ومن أجل سلامتنا وأمننا الفكري،أن يعزل زملاؤنا العلميين الصبغيات أو الكروموسومات (Chromosome) الإسلامية. إن الأهلي المسلم « هو دائما في بعض التفاصيل، الكائن نفسه سلبي، رتيب، قطيعي وموهوب بقدرة خارقة للبؤس ... » (« الجزائر ومشاكلها»، مقال موقع بثلاث نجوم، لأول ماي 1935، ص 445).

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاستخدام السليم للذاكرة الجماعية:

وفي غضون ذلك، أردنا أن نساهم في نقاش ظل مؤلما حتى الآن، ومن البديهي، أن واجب الذاكرة لا يمكن أن يتعارض مع التاريخ. إن الذاكرة تضفي على نفسها الشرعية بمعيار وحيد هو عندما تستهدف ضمان الهُوية لمجموعة تتمتع بعلاقة مؤثرة وأليمة مع الماضي؛ وهي تلعب على هاجس عبادة ذكرى معاناة حصرية صدرت فريدة من نوعها غير قابلة للتنفيذ، ولا تضاهيها معاناة الآخر.

ومن الأمثلة التي نوردها بخصوص هذا الموضوع على سبيل المثال في الجزائر، ذاكرة الأقدام السوداء واليهود. وأود هنا أن أقول بأنني عشت في الجزائر ما بين عامي 1959-1975، أي قبل الاستقلال وبعده، وبأن زوجتي ولدت بالجزائر وقد أنجزت أطروحتي عن هذه الفترة المفصلية. وعليه، فإنني أمنح لنفسي حق الحديث عن آلام الطرفين.

غير أن الذاكرة الأحادية هي انتقائية وعدائية لأنها تمنع التصالح، وتنطوي على نوع قائم على ما أسماه بول ريكار (Paul RICOEUR) « التطبيق بدسيسة الماضي ». وتضع الذاكرة أسسا رافضة الابتعاد وإنكار السياق التاريخي، وتعزز الصور النمطية بإحياء الذكرى. وفي هذا الصدد، بشرت احتفالات مئوية الجزائر فرنسية (L'Algérie française) سنة 1930 مثل طيور مينيرفا (Minerve) بالنهاية المروعة كما كان متوقعا.

المصادر والمراجع:

« L'Algérie et ses problèmes. ». (1999). In (S. Dir. De Jeanne CAUSSÉ et de Bruno de CESSOLE). Algérie 1830-1962, Les trésors retrouvés de la Revue Des Deux Mondes. Paris: Maisonneuve & Larose/Valmonde. PP. 439-455.

BERBRUGGER, Louis-Adrien. (1999). « Voyage au camp d'Abd el-Kader ». In (S. Dir. De Jeanne CAUSSÉ et de Bruno de CESSOLE). Algérie 1830-1962, Les trésors retrouvés de la Revue Des Deux Mondes. Paris: Maisonneuve & Larose/Valmonde. PP. 55-88.
BERTRAND, Louis. (1999). « À travers les sections de l'exposition coloniale». In (S. Dir. De Jeanne CAUSSÉ et de Bruno de CESSOLE). Algérie 1830-1962, Les trésors retrouvés de la Revue Des Deux Mondes. Paris: Maisonneuve & Larose/Valmonde. PP. 425-437.
BERTRAND, Louis. (1999). « L'Alger que j'ai connu. L'Alger barbaresque ». In (S. Dir. De Jeanne CAUSSÉ et de Bruno de CESSOLE). Algérie 1830-1962, Les trésors retrouvés de la Revue Des Deux Mondes. Paris: Maisonneuve & Larose/Valmonde. PP. 311-333.
BUGEAUD, Maréchal. (1999). « Des travailleurs dans nos grandes villes ». In (S. Dir. De Jeanne CAUSSÉ et de Bruno de CESSOLE). Algérie 1830-1962, Les trésors retrouvés de la Revue Des Deux Mondes. Paris: Maisonneuve & Larose/Valmonde. PP. 137-149.
CHANGARNIER, Capitaine et autres. (1999). « Lettres écrites d'Algérie au général de Castellane 1835-1846 ». In (S. Dir. De Jeanne CAUSSÉ et de Bruno de CESSOLE). Algérie 1830-1962, Les trésors retrouvés de la Revue Des Deux Mondes. Paris: Maisonneuve & Larose/Valmonde. PP. 89-112.
DAUMAS, Eugène Général. (1999). « La Noblesse au désert ». In (S. Dir. De Jeanne CAUSSÉ et de Bruno de CESSOLE). Algérie 1830-1962, Les trésors retrouvés de la Revue Des Deux Mondes. Paris: Maisonneuve & Larose/Valmonde. PP. 151-172.
DE MAC-MAHON, Maréchal. (1999). « Souvenirs d'Algérie: 1830-1870. L'expédition d'Alger ». In (S. Dir. De Jeanne CAUSSÉ et de Bruno de CESSOLE). Algérie 1830-1962, Les trésors retrouvés de la Revue Des Deux Mondes. Paris: Maisonneuve & Larose/Valmonde. PP. 29-53.
DU PARQUET, Mme C. (1999). « Une excursion à Biskra ». In (S. Dir. De Jeanne CAUSSÉ et de Bruno de CESSOLE). Algérie 1830-1962, Les trésors retrouvés de la Revue Des Deux Mondes. Paris: Maisonneuve & Larose/Valmonde. PP. 231-265.
FROMENTIN, Eugène. (1999). « Une année dans le Sahel. Journal d'un absent ». In (S. Dir. De Jeanne CAUSSÉ et de Bruno de CESSOLE). Algérie 1830-1962, Les trésors retrouvés de la Revue Des Deux Mondes. Paris: Maisonneuve & Larose/Valmonde. PP. 173-229.
LAMCHICHI, Abderrahim. (1991). « L'islamisme ou le retour du refoulé ». Revue des Deux Mondes, N° octobre 1991, pp. 92-
LEROY-BEAULIEU, Paul. (1999). « La France dans l'Afrique du nord. Indigènes et colons ». In (S. Dir. De Jeanne CAUSSÉ et de Bruno de CESSOLE). Algérie 1830-1962, Les trésors retrouvés de la Revue Des Deux Mondes. Paris: Maisonneuve & Larose/Valmonde. PP. 365-391.

RENAN, Ernest. (1999). « Exploration scientifique de l'Algérie. La société berbère ». In (S. Dir. De Jeanne CAUSSÉ et de Bruno de CESSOLE). Algérie 1830-1962, Les trésors retrouvés de la Revue Des Deux Mondes. Paris: Maisonneuve & Larose/Valmonde. PP. 267-287.

ROUSSET, Camille. (1999). « La conquête de l'Algérie ». In (S. Dir. De Jeanne CAUSSÉ et de Bruno de CESSOLE). Algérie 1830-1962, Les trésors retrouvés de la Revue Des Deux Mondes. Paris: Maisonneuve & Larose/Valmonde. PP. 113-136.

SABATIER, Élisée. (1999). « Les problèmes algériens. Les droits électoraux des indigènes musulmans ». In (S. Dir. De Jeanne CAUSSÉ et de Bruno de CESSOLE). Algérie 1830-1962, Les trésors retrouvés de la Revue Des Deux Mondes. Paris: Maisonneuve & Larose/Valmonde. PP. 457-466.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تاريخ الجزائر في الإنتاج الأكاديمي بالجامعة التونسية خلال خمسين عاما من الاستقلال.

أ. بلوزاع براهمة،

مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية،

جامعة معسكر

يتمحور هذا العمل حول جرد للدراسات الأكاديمية التاريخية التي أنجزت بالجامعة التونسية خلال الفترة الممتدة بين 1962 و 2012 موضوعها الجزائر سواء أكانت هذه الأعمال منجزة من طرف طلبة جزائريين (و هم كثر درسوا أو سجّلوا هناك أعمالهم و أشرف عليهم أساتذة تونسيون و قد حصل لي الشرف أن كنت واحدا منهم)، أو طلبة أجانب (تونسيون وفلسطينيون خصوصا).

الملاحظ أن أغلبية الأعمال المنجزة في الجامعة التونسية احتضنتها كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية الشهيرة **بكلية 09 أفريل** لأنها الأقدم إذ تأسست في سنة 1958، و لأنها الأشهر من حيث نوعية الدراسة و كفاءة الأساتذة (خيرة المؤرخين التونسيين مروا من هناك مثل عبد الجليل التميمي، هشام جعيط، بشير التليلي، خليفة شاطر، محمد الهادي الشريف، توفيق البشروش رشاد ليمام، الهادي التيمومي، فرحات الدشراوي، علي المحجوبي، عمار محجوبي، محمد فنطر وعبد السلام بن حميدة، منيرة شابوطو، حياة عمامو، لطيفة البكاي وغيرهم كثير لا يتسع المقام لذكرهم جميعا)، كما أن أقسام التاريخ في باقي الجامعات التونسية (منوبة، صفاقس، سوسة) لم تنتشر إلا في العقد الأخير من القرن العشرين و

العقد الأول من القرن الواحد و العشرين، وبالتالي فالأبحاث التاريخية فيها مازالت في المهد.

من خلال القائمة المرفقة يتبيّن لنا مدى غياب الاهتمام بالقضايا التاريخية البين مغاربية بحيث أن نسبة الأبحاث المناقشة في الجامعة التونسية حول الجزائر لا تتعدى الخمسة بالمائة من النسبة العامة ما يعادل بحث كل سنتين على مدار الخمسين سنة من استقلال الجزائر وهذا قليل جدا مقارنة مثلا بالأبحاث المنجزة في الجامعة الفرنسية، التي تجّمل كل الأعمال التي صدرت في تونس عن الجزائر في سنة واحدة، بحيث يغلب الاشتغال على التاريخ المحلي في كل الجامعات المغاربية (خاصة الجامعات الجزائرية والتونسية والمغربية التي لنا صورة واضحة عن إنتاجها الأكاديمي بينما الصورة ضبابية فيما يخص الجامعات الليبية والموريتانية).

إن هذا المقال دعوة لتكثيف التعاون الأكاديمي بين الصروح العلمية في فضاء المغارب حتى نضع لبنتنا في هذا البناء المشترك الذي طال انتظاره.

اخترنا تقديم هذه الأعمال بالترتيب الأبجدي لمؤلفيها حتى يسهل على من أراد الاستزادة النهل من مصادرها الأولى.

1. ABAKAR (Abdelhamid) : La relation entre la région du Tchad actuel et l'Afrique du nord à l'époque médiévale (VIII^{e}-XVI^{e} s), diplôme d'études approfondies, université Tunis I, 1991, sous la direction de Mounira CHAPOUTOT.

1. AMAIMIA (Houcine) : La fédération socialiste de Constantine, université, Certificat d'Aptitude à la Recherche, Tunis I, 1990, sous la direction de Bachir TLILI.

2. BELKAHIA (Thouraya) : Médecins et agents de santé en Afrique romains, Certificat d'Aptitude à la Recherche, université Tunis I, 1990, sous la direction de Ahmed M'CHAREK .

3. BEN YOUNES KRANDEL (Alia) : La présence punique en pays Numide, DRA, université Tunis I, 1981, sous la direction d'Ammar MAHJOUBI.

4. GHARBI (Mohamed Lazhar) : Banques et crédit au Maghreb (1847-1914), thèse de Doctorat, université Tunis I, 1998, sous la direction de Mohamed Hadi CHERIF.

5. HAGGUI (Jamel) : Les Algériens en Tunisie de 1871 à 1962 : du communautarisme au nationalisme, thèse de Doctorat, université de Manouba, 2010, sous la direction d'Habib KAZDAGHLI.

6. HAGGUI (Djamel) : Les Algériens originaires du sud dans la ville de Tunis pendant l'époque coloniale (1881-1956) Mozabites, Souafas et Ouarglias, diplôme d'études approfondies, université de Manouba, 2004, sous la direction de Habib KAZDAGHLI.

7. JERBI(Mohamed) : La protection de l'industrie française et ses incidences au Maghreb entre deux guerres mondiales : (Le cas tuniso-algérien), thèse de Doctorat, université Tunis I, 2000, sous la direction de Fayçal EL GHOUL.

8. أبو جزر (أحمد): الوطنيون الجزائريون والقضية الفلسطينية (1930- 1948)، شهادة الدراسات المعمّقة ، جامعة تونس الأولى، 1996 ، بإشراف عبد الجليل التميمي.

9. براهمة (بلوزاع): كتابات الجزائريين في الصحافة التونسية (1947- 1962)، شهادة الدراسات المعمّقة ، جامعة تونس الأولى، 1999 ، بإشراف عبد الجليل التميمي.

10. بصديق (صالح): بجاية في العهد الحفصي " دراسة اقتصادية واجتماعية"، شهادة دكتوراه ، جامعة تونس الأولى، 1995، بإشراف منيرة شابوطو رمادي.

11. بصديق (صالح): بجاية في العهد الحفصي، شهادة الكفاءة في البحث ، جامعة تونس الأولى، 1978 ، بإشراف منيرة شابوطو رمادي.

12. بلعيد (محمد لطفي): دور الملوك النوميديين في الحرب البونيقية الثانية، شهادة الكفاءة في البحث ، جامعة تونس الأولى، 1980 ، بإشراف محمد فنطر.

13. التبرسقي (حاتم): الرقابة الإدارية على تنقلات الأهالي عبر الحدود التونسية الجزائرية في عهد الحماية (1881- 1956) من خلال وثائق السلسلة "A" بمؤسسة الأرشيف الوطني التونسي، المعهد الأعلى للتوثيق، 1994.

14. الجامعي (سالم): التجارة الموازية والتهريب على الحدود التونسية الجزائرية من الاحتلال حتى أواخر العشرينات، ماجستير، جامعة منوبة، 2005، بإشراف الكراي القسنطيني.

15. الجفالي (يوسف): الجالية الجزائرية بجهة الكاف من 1881 إلى 1929، شهادة الكفاءة في البحث ، 1993، جامعة تونس الأولى، بإشراف الكراي القسنطيني.

16. خمير (نبيل): ضبط الحدود الصحراوية بين تونس المستقلة و الجزائر الفرنسية (1956- 1962)، شهادة الدراسات المعمّقة ، 1998، جامعة تونس الأولى، بإشراف خليفة شاطر.

17. رابحي (حسين): نجم شمال إفريقيا، شهادة الكفاءة في البحث، جامعة تونس الأولى، 1978.

18. عبدلي (الأخضر): مملكة تلمسان في عهد بني زيان، شهادة الكفاءة في البحث ، جامعة تونس الأولى، 1987، بإشراف فرحات الدشراوي.

19. عبيد (خالد): مكتب المغرب العربي بالقاهرة (1947- 1949)، شهادة الكفاءة في البحث، جامعة تونس الأولى، 1989.

20. العريبي (عبد القادر): تونس وعلاقاتها ببلدان المغرب العربي(1974- 1980)، شهادة دكتوراه، جامعة تونس الأولى، 2000، بإشراف علي المحجوبي.

21. فروة (محمود): التجارة و التجار في تونس خلال فترة الحماية الفرنسية (1881- 1956)، دراسة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، شهادة دكتوراه، جامعة تونس الأولى، 2005 ، بإشراف عبد السلام بن حميدة.

22. قشي (فاطمة الزهراء): قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة من أواخر القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر، شهادة دكتوراه، جامعة تونس الأولى، 1998، بإشراف محمد الهادي الشريف.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

23. قصونجي (محمد): موقف البلدان المغاربية من مسألة الخلافة (1914- 1926)، شهادة الكفاءة في البحث، جامعة تونس الأولى، 1992، بإشراف عبد الجليل التميمي.

24. ماجري (عبد الكريم): الجاليات المغاربية بتونس 1830- 1939، شهادة دكتوراه، جامعة تونس الأولى، 2007، بإشراف محمد الهادي الشريف.

25. ماجري (عبد الكريم): صورة و مساهمة المغاربة في الحركات الاجتماعية و السياسية في العالم العربي الإسلامي قبيل الحرب العالمية الأولى، شهادة الكفاءة في البحث ، جامعة تونس الأولى، 1977، بإشراف بشير التليلي.

26. المشيشي (فاتن): ضبط الحدود التونسية الجزائرية بين 1881 و1962 : دلالات التحييز الفرنسي، ماجستير، جامعة تونس الأولى، 2009، بإشراف محمد رؤوف الشابيي.

27. مصباحي (نبيهة): زواوة بالبلاد التونسية في الفترة الحديثة، ماجستير، جامعة تونس الأولى، 2009، بإشراف جمال بن طاهر.

28. المؤدب (جليلة): ثلاثة رموز فكرية سياسية مغربية: الحبيب ثامر (ت 1949)، علي الحمامي (ت 1949) ومحمد أحمد بن عبّود (ت 1949)، ماجستير، جامعة تونس الأولى، 2006، بإشراف محمد الناصر النفزاوي.

29. مياسي (ابراهيم): توسع الاستعمار الفرنسي في الصحراء الجزائرية (1837- 1934)، شهادة دكتوراه، جامعة تونس الأولى، 2003، بإشراف خليفة شاطر.

30. نفطي (وافية): الحياة الاجتماعية والثقافية في منطقة بسكرة من خلال وثائق الأوقاف بين عامي 1830 و1930، شهادة الدراسات المعمّقة ، جامعة تونس الأولى، 1996، بإشراف عبد الجليل التميمي.

31. هرسي (عادل): الجزائريون في تونس (1956- 1962) ونشاطهم السياسي والثقافي، ماجستير، جامعة تونس الأولى.

ARCHIVE